



# القرن للدراسات التاريخية والمضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر  
بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين



ISSN : 1858-995 2

في هذا العدد :

- الكاروم ودوره في نشر حضارة العراق القديم في آسيا الصغرى (دراسة حضارية).  
د. نجوى محمد إكرام
- حياة السلاطين ووسائل تسليتهم ورياضتهم في دولة المماليك الجراكسة في مصر (784 - 923 هـ / 1382 - 1517 م)  
أ. مزمل حسن الصديق الطيب
- دساتير الفترات الانتقالية والتحول نحو الديمقراطية في السودان (1953 - 1985 م) (دراسة تاريخية)  
د. مهند فاروق محمد أحمد
- الهندسة المعمارية للمساجد البوسنية في العهد العثماني (دراسة تاريخية حضارية)  
أ. يحيى إبراهيم هادي حفيصي
- محمل دارفور على ضوء الوثائق العثمانية  
د. أنعم محمد عثمان الكباشي
- سياسة بريطانيا تجاه المهديّة في شرق السودان (1883 - 1891)  
د. قسم السيد حمزة أحمد برير



العدد الخامس - شعبان 1442 هـ - مارس 2021 م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة القلزم: Alqulzum Journal for:

Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021

تصدر عن دار آريشيريا للنشر والتوزيع -السودان

ردمك: 1858-9952

الخرطوم- السودان

## مجلة القلزم للدراسات الحضارية والتاريخية

### الهيئة العلمية والإستشارية

البروفسير / حسن أحمد إبراهيم- السودان  
البروفسيرة / سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية  
السعودية  
البروفسير / أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان  
البروفسير / أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان  
البروفسير / أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر  
العربية  
البروفسير / السمانى النصري محمد أحمد - السودان  
الدكتور / أحمد الياس الحسين - السودان  
الدكتور / داود ساغى محمد عبد الله- السودان  
الدكتور / سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية  
الدكتور / سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر  
الدكتور / محمد أحمد زروق- المغرب  
الدكتورة / سعاد عبد العزيز أحمد السودان  
الدكتور / أحمد محمد مركز- السودان  
الدكتور / باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا  
الدكتورة / عزة محمد موسى - السودان  
الدكتورة / حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان  
الدكتورة / ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

### هيئة التحرير

#### المشرف العام

الأستاذ الدكتور/إبراهيم البيضاني

#### رئيس هيئة التحرير

د.حاتم الصديق محمد احمد

#### رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

#### سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

#### التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

#### الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

#### التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

#### تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

## موجهات النشر

### تعريف المجلة:

مجلة (القُلُزم) مجلة علمية مُحَكَّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

### موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R.).
5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
5. لا تلتزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
- \* على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

## الخرطوم - السودان

## المَحَوَّلَات

- أسباب وعوامل تسليم السلطة للجيش في السودان 17 نوفمبر 1958م.....(20-7)
- د.نجاه أبو القاسم محمد أبو القاسم
- الهندسة المعمارية للمساجد البوسنية في العهد العثماني (دراسة تاريخية حضارية).....(44-21)
- يحيى إبراهيم هادي حفيصي
- الخروج على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الأسباب والنتائج (23هـ-35هـ/644م-656م).....(66-45)
- د. عبد المنعم يوسف عبد الحفيظ الزبير
- الكاروم ودوره في نشر حضارة العراق القديم في آسيا الصغرى (دراسة حضارية).....(92-67)
- د. نجوى محمد إكرام
- حياة السلاطين ووسائل تسليتهم ورياضتهم في دولة المماليك الجراكسة في مصر (784 - 923 هـ/ 1382 - 1517م).....(108-93)
- أ. مزمل حسن الصديق الطيب
- دساتير الفترات الانتقالية والتحول نحو الديمقراطية في السودان (1953 - 1985م)
- (دراسة تاريخية).....(130-109)
- د.مهند فاروق محمد أحمد
- سياسة بريطانيا تجاه المهديّة في شرق السودان 1883 - 1891.....(148-131)
- د. قسم السيد حمزة أحمد برير
- تاريخ مدينة بورتسودان (النشأة والتطور في الفترة الحديثة والمعاصرة).....(160-149)
- د.عبد العزيز محمد موسى إسحق
- كوش والسامري والجزر المنسية.....(180-161)
- د.عباس أحمد الحاج حمد
- محمل دارفور على ضوء الوثائق العثمانية.....(194-181)
- د. أنعم محمد عثمان الكباشي

## كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

**القارئ الكريم:**

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

**القارئ الكريم:**

هذا هو العدد الخامس من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار أربعة أعداد، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدي كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

**القارئ الكريم:**

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

**أسرة التحرير**

## أسباب وعوامل تسليم السلطة للجيش في السودان 17 نوفمبر 1958م

باحثة وأكاديمية

د. نجاة أبو القاسم محمد أبو القاسم

### المستخلص :

تلقي هذه الدراسة الضوء على أسباب وعوامل تسليم السلطة للجيش في السودان 17 نوفمبر 1958م وتتمثل أهميتها في معرفة الأسباب التي أدت إلى وأد الحكم الديمقراطي لتحل محله الدكتاتورية العسكرية بقيادة الفريق إبراهيم عبود القائد الأعلى للجيش السوداني . هدفت الدراسة للكشف عن أسباب تسليم السلطة للجيش وافترضت الدراسة أن الخلافات الحزبية عصفت بالديمقراطية وكرست لحكم الجيش وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها إن المنافسة الحزبية قامت على إعلاء المصلحة الشخصية والانتصار للذات وفشل الأحزاب في ترسيخ الحكم الديمقراطي وتوصلت الدراسة أيضا إلى ضرورة التأكيد على أهمية الدستور الدائم وحماية الجيش له.أوصت الدراسة بإجراء مزيد من الدراسات التي ترسخ لقيم الحكم الديمقراطي ومبادئه في السودان، وأوصت الدراسة أيضاً بحسم النزاعات الحدودية مع الجوار الإفريقي والعربي خاصة مصر واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

### ABSTRACT:

This study highlights the reasons and factors of giving power to the military in Sudan in 17 November 1958AD. Its importance is in Knowing the reasons which terminate the democratic rule Sudan to be replaced by the military dictatorship under General Ibrahim Aboud , the High Commander of the Sudanese Military. The study aims to uncover the reasons of giving power to the army and it assumed that the partiality dispute terminate the democracy and set the military partiality. The study affirms these results: the partiality competition depends on the permanent constitution pro-

tected by the military. The study recommends more studies which reinforce the democratic rule and its principles in Sudan. It recommends also to end the border dispute with the African and Arab neighbors specifically with Egypt. The study follows the analytical descriptive historical method.

## المقدمة:

بعد الخلافات والصراعات الحزبية السياسية بشأن الاستقلال والتدخل المصري السافر في الشأن الداخلي السوداني انقسم دعاة الاستقلال إلى فئة تدعو إلى الاستقلال والارتباط ببريطانيا وفئة تدعو للاتحاد مع مصر وبتحول دعاة الاتحاد مع مصر لدعوة الاستقلال أجمعت القوى السياسية السودانية على إعلان الاستقلال من داخل البرلمان .

عمت الفرحة البلاد بإنزال العلمين الانجليزي والمصري ورفع العلم السوداني في الأول من يناير 1956م وما أن أعلن الاستقلال حتى تجدد الخلاف والصراع بين الأحزاب السياسية لأجل الوصول للسلطة فصار البرلمان منبراً للمناوشات والمناورات الحزبية الأمر الذي أدى إلى سقوط وزارة الأزهرى الأولى بعد الاستقلال وبضغط من المعارضة على رئيس الحزب الوطني الاتحادي والذي كان رئيس الوزراء قام بإجراء تعديل وزاري أدخل بمقتضاه أربعة وزراء من المعارضة في وزارته التي أصبحت وزارة ائتلافية سقطت في 3 يوليو 1956م بعد أن سحب منها مجلس النواب الثقة إثر خروج وزراء المعارضة فلم يكن أمامها إلا الاستقالة واختار مجلس النواب في 5 يوليو 1956م عبد الله خليل رئيساً للوزارة بأغلبية 28 صوتاً ضد منافسه الأزهرى وفي 7 يوليو شكل عبدالله خليل وزارته الائتلافية الأولى التي بقيت حتى ظهور نتيجة الانتخابات العامة في مارس 1958م والتي بدأت بها وزارة عبدالله خليل الائتلافية الثانية التي مزقتها الصراع والفساد السياسي ومعركة قبول المساعدات الأمريكية والنزاع الحدودي وأزمة الدستور لتقع فريسة بيد الجيش السوداني في نوفمبر 1958م مغتصبا للحرية والديمقراطية مكرساً للدكتاتورية وحكم الفرد .

## الوضع السياسي السوداني في 1956م:

بعد أن حققت الأحزاب السودانية تقرير المصير في 1953م تحقق الاستقلال في الأول من يناير 1956م كان شعارها التحرير والتعمير<sup>(1)</sup> تم تشكيل الحكومة الوطنية الأولى وباركها السيد عبد الرحمن المهدي والسيد علي الميرغني<sup>(2)</sup> أدت هذه الحكومة اليمين الدستورية في 2/2/1956م مصطحبة لكل التناقضات السياسية فجمعت كل من اسماعيل الأزهرى ومحمد نور الدين وميرغني حمزة وعبد الله خليل ورغم العداء والتنافس بينهم وبين رئيس الوزراء أصبحوا حكومة واحدة<sup>(3)</sup> إلا أن السودان لم ينعم بالاستقرار<sup>(4)</sup> فاجتمعت عليه كثير من الأسباب التي أدت إلى سقوط الديمقراطية وتسليمها للجيش.

## أسباب تسليم السلطة للجيش 1/ الخلافات السياسية الحزبية:

اتخذ الشعب في معركة الاستقلال وسائل مهما اختلفت أو تباعدت أساليبها فقد أدت في النهاية إلى الهدف الذي ينشده الجميع والتقت مواكبه في فرحة أول يناير 1956م وتوج كفاحها بإعلان الحرية والاستقلال لتبدأ معركة أكبر<sup>(5)</sup>

دب الخلاف داخل الحكومة فانقسم الاتحاديون إلى حزبين الوطني الاتحادي برئاسة الأزهرى والشعب الديمقراطي برئاسة الشيخ علي عبدالرحمن الأمين الضرير فسقطت الحكومة وقامت حكومة ائتلافية بين حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي برئاسة الأمير آلاي عبد الله خليل<sup>(6)</sup> في 5/7/1956م عرفت بحكومة السيدين وانتقل الأزهرى إلى المعارضة فأحبطت البرجوازية المستنيرة في مواقع الانتاج وصارت تشعر بشرخ في الصف الوطني<sup>(7)</sup>

اشتد الخلاف بين عبد الله خليل وعلي عبدالرحمن<sup>(8)</sup> وبما أن الأزهرى لم يكن مرتاحاً لرئيس الوزراء عبد الله خليل لم يقبل عبد الله خليل بإدخال الحزب الوطني كشريك للحكم وعلق البرلمان وبدأ يفكر في تسليم السلطة للجيش<sup>(9)</sup> وبذا انتهى أمر الحكومة الائتلافية بتسليمها عبد الله خليل للفريق ابراهيم عبود في 17 نوفمبر 1958م<sup>(10)</sup> ايذاناً بسقوط التجربة البرلمانية الليبرالية<sup>(11)</sup> في السودان واعترافاً رسمياً بأنها نظام مستورد لا يتفق وأماني الشعب السوداني<sup>(12)</sup> لم يكن تسليم السلطة إلا عملية تسليم من رئيس الوزراء الذي كان وزيراً للدفاع إلى قائد الجيش الفريق ابراهيم عبود<sup>(13)</sup>

يرى الباحث إن الطائفية رمت بظلالها على السياسة وعمقت الخلافات والمنافسات الحزبية من أجل المصالح الشخصية والحزبية بعيداً عن المصالح القومية واعلاء مصلحة الوطن والذي كان حديث عهد بالاستقلال والحكم الوطني والحرية والديمقراطية

## 2/ نتيجة الانتخابات 10 مارس 1958م:

بقيت حكومة عبد الله خليل الأولى والتي كانت تضم حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي وحزب الأحرار الجنوبي واستمرت هذه في الحكم حتى ظهور نتيجة الانتخابات العامة في مارس 1958م والتي لقنت فيها هيئة الناخبين الأحزاب السياسية الكبيرة وقادتها درساً بامتناعها عن اعطاء ثققتها لحزب واحد فتعذر على أي حزب الانفراد بالحكم فخابت بذلك آمال الأحزاب الكبيرة التي كان كل منها يمني نفسه في الحصول على أغلبية تمكنه من الحصول على الانفراد بالحكم فأصبح تشكيل وزارة ائتلافية أمراً ضرورياً<sup>(14)</sup>

بعد ظهور نتيجة الانتخابات سعت الأحزاب ونشط اتصالاتها مع بعضها ليكون حزباً مع الآخر في الحكومة الجديدة فتمت لقاءات بين حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي وبين حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي بهذا التحالف الطائفي بين الختمية والأنصار تكون ائتلاًفاً سياسياً بموجبه تعاون الحزبان في الوصول إلى الحكم وترشح كل من السادة اسماعيل الأزهرى واستانسلاوس وعبد الله خليل الذي حصل على أعلى الأصوات وبذلك

أصبح رئيساً للوزراء وشكل حكومته الائتلافية الثانية من وزراء ينتمون إلى حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي وضمت وزيرين من أبناء جنوب السودان إلا أن هذا الائتلاف لم يستمر في الحكم لاختلافهم في السياسة الخارجية ولذلك شهدت هذه الفترة صراعاً عنيفاً بين القوى الوطنية والقوى الرجعية بشأن المحاولات الأجنبية الرامية إلى التدخل في الشأن السوداني واخضاعه للنفوذ الأجنبي<sup>(51)</sup>

الملاحظ أن كثيراً من النواب لم يهتموا بخدمة الشعب وتطوير الحياة بل كانوا يجرون وراء المناصب والمصالح الخاصة مستغلين في ذلك ثقة ناخبهم فأصبحوا بذلك تهديداً على الاستقرار السياسي .

### 3/ المساعدة الأمريكية :

بعد انتخاب ايزنهاور رئيساً لأمريكا قام بعرض المساعدة للبلدان النامية وذلك بسبب التغلغل السوفيتي في العالم الثالث وثار جدل من قبل كل الجماعات السياسية حول موقف السودان من هذه المساعدة فانقسمت الحكومة حول قبول المساعدة الأمريكية فعرض رئيس الحكومة الأمر على البرلمان وجرى نقاش حاد فرفضتها الأغلبية ورفضتها الحكومة حتى لاتضع التجارة تصديراً واستيراداً في يد الولايات المتحدة الأمريكية وتعطي أيضاً للأمريكان<sup>(16)</sup> الذين لعبوا دور المشرفين والمنفذين لمشاريع المساعدة الأمر الذي يوفر لهم حصانة دبلوماسية تمكنهم من التجسس والتخريب فبرنامج المساعدة الأمريكية كان أحد الأسباب التي أدت لتسليم السلطة للجيش<sup>(17)</sup> والتي أجيّزت في نهاية نوفمبر 1958م على أساس أنها ستساعد على تنفيذ عدد من المشروعات المهمة التي لا يمكن تنفيذها بسبب ضعف الموقف المالي للبلاد<sup>(18)</sup> وأدى قبول الاتفاقية إلى الانقسامات داخل الحكومة وأدت إلى تصدع الحياة السياسية وفساد الذمم بشراء النواب وتوجيههم بالتصويت في اتجاه معين<sup>(19)</sup> وبدلاً من أن تعد الحكومة الجماهير للقيام بدورها واستغلال أراضيها وتفجير طاقاتها وفرض وجودها والتمسك بحريتها وعدم التفريط في استقلالها اختارت أسهل الطرق وقبولها المساعدة الأمريكية<sup>(20)</sup> ونظراً لتدني أسعار القطن وبواره وقلة الانتاج وتوقف دولا ب الحكم وتقلص عائدات الدولة واختلال مركزها وبقبول الحكومة للمساعدات الأمريكية المشروطة وغير المشروطة والتي كانت قد رفضتها كثير من البلدان في أوائل 1958م وازاء هذا الخطر وارتقاء الحكومة في أحضان الأمريكان استشعرت المعارضة الخطر وجمعت صفوفها لمواجهة فتكونت جبهة للمعارضة من الجذب الوطني الاتحادي ونقابات العمال والمزارعين والطلبة والتجار والمثقفين لمقاومة الحكومة والمطالبة برفض المساعدة مما جعل الحكومة في وضع محرج<sup>(21)</sup>

أنجزت المعونة الأمريكية كثيراً من المشروعات التي تم الاتفاق عليها في ميادين الزراعة والصناعة والتعليم والطرق وغيرها وتم طريق الخرطوم الخو جلاب وانجز جزء كبير من طريق الخرطوم ود مدني وبدأ مسح طريق أم درمان دنقلا بطلب من الحكومة وظلت

دراسات الفنيين منها ومن حكومة السودان متصلة حتى آخر لحظة ومن المشروعات التي أنجزتها المساعدة الأمريكية مصنع النسيج الأمريكي بالخرطوم بحري بطلب من الحكومة وقد جلبت له رأسمال أجنبي يزيد عن العشرين مليون دولار واستوعب المشروع الذي قدمته المساعدة بعد انشائه آلاف العمال والفنيين السودانيين الذين تم تدريبهم في الخارج وكان بداية لصناعة النسيج والغزل على نطاق كبير في السودان إلا أن الحكومة الأمريكية لم تشترط مشروعات معينة ومحددة لتقوم بتمويلها وكان على السودان أن يقدم مشروعاته للدراسة والاقرار ثم التمويل لدخولها حيز التنفيذ لتتم دراسة هذه المشروعات بواسطة خبراء أمريكيان وسودانيين وموظفين من أهل الاختصاص من حيث أهميتها لاقتصاد البلاد وتطورها ومن حيث التقدير المالي ثم تنفيذها بعد ذلك بقرار من مجلس الوزراء<sup>(22)</sup>

من مبررات الحكومة قبولها المساعدات الأمريكية أن برامج المساعدة قد قبلته دول عديدة تختلف في اتجاهاتها ونظمها السياسية مثل بولندا وفرنسا ويوغسلافيا واسبانيا وإيطاليا والهند ومصر وباكستان وسيلان ودول أمريكا الجنوبية كما بررت بأن الدوافع التي دعت الولايات المتحدة لتقديم هذه المساعدة أسباب إنسانية واقتصادية وسياسية<sup>(23)</sup> وأصدرت الحكومة بياناً أعلنت فيه قبولها للمعونة خارج نطاق مشروع ايزنهاور الذي علقت البت فيه بالقبول أو الرفض وذكرت أن فريقاً من الولايات المتحدة سيصل جمهورية السودان بعد فراغه من بحث المعونة الماثلة في اليمن ولاشك أن الحكومة ينبغي عليها بحث الموضوع بدقة وعمق قبل أن توافق عليها خاصة إذا إلى خطاب روكفلر صاحب أكبر الشركات الاحتكارية في العالم بخطابه الشهير إلى الرئيس ايزنهاور وعلقت عليه صف العالم وأبدى روكفلر عدم ارتياحه لسياسة أمريكا الخارجية ربطت علناً بين العون الاقتصادي الأمريكي للأقطار المتخلفة وبين الأحلاف العسكرية مما يعني أن وراء ذلك مؤامرة خطيرة أي أن الربط بين العون الاقتصادي الأمريكي والأحلاف العسكرية يجب أن يتم تدريجياً وضرب روكفلر بايران مثلاً فقال في خطابه (لقد تم لنا بفضل العون الاقتصادي لايران أن نبني لأنفسنا مركزاً قوياً في الاقتصاد الإيراني هذا المركز الذي ساعدنا على السيطرة التامة على سياسة ايران الخارجية وبصفة خاصة على اقناع ايران بالدخول في حلف بغداد<sup>(24)</sup>)

أدى الاختلاف حول رفض المساعدة الأمريكية أو قبولها إلى الصراع داخل مجلس الوزراء والبرلمان الأمر الذي انعكس سلباً على الائتلاف وكان أحد الأسباب التي سارعت بانتهائه ووأد الديمقراطية في مهدها باستلام الجيش السوداني السلطة في نوفمبر 1958م باسماً سطوته وجبروته فالمساعدة التي أضعفت الحكومة في السودان كانت سبب ازدهار العلاقات الأمريكية التجارية والاقتصادية بينها والدول التي قبلت مساعداتها ومثل ذلك ضماناً كبيراً حال دون وقوع تلك الدول في قبضة الشيوعية الدولية

#### 4/ أزمة السويس :

لما اشتدت الدعوة لمشروع ايزنهاور جاء نائب الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون إلى السودان فعباً الحزب الشيوعي والجبهة الشارع وخرجت المظاهرات تهتف (عد لبلدك يانكسون) ثم انفجرت أزمة السويس عام 1956م وتم الاعتداء الثلاثي على مصر بواسطة بريطانيا وفرنسا واسرائيل وتصاعدت مشاعر العداء للاستعمار وانقسم الصف الوطني بين معاد للاستعمار وبين مساند له ففاقت هذه الأزمة الصراع بين الحزبين وأخذت المسافة تتباعد بين حزب الشعب وحزب الأمة<sup>(25)</sup>

أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في يونيو/ تموز 1956م تأميم شركة قناة السويس وأعربت الحكومة السودانية أن الحكومة المصرية على حق ولكن حزب الشعب الديمقراطي كان أكثر انفعالاً وكانت بيانات الحكومة من أجل تهدئة التظاهرات المؤيدة لمصر ضد العدوان الانكلى -فرنسي الذي تلا ذلك وكانت هذه البيانات رداً كافياً في نظر حزب الشعب الديمقراطي وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1956م أعلنت الحكومة الطوارئ لتضمن أن تكون موارد البلاد جاهزة لمساعدة مصر ورغم ذلك كان ك.د.د. هند رسون يرى أن قضية السويس سددت ضربة قوية لهيبة بريطانيا وأعادت هيبة مصر وبما أن السيد علي كان يهدف إلى الاحتفاظ بموطئ قدم في المعسكر المصري إلا أنه لم يتقدم بأي مبادرة علنية تعبر عن رأيه في مسألة قناة السويس وعلى النقيض من ذلك أرسلت الحكومة وفداً برئاسة رئيس الوزراء وعلي عبدالرحمن لمناقشة المصريين في الطرق والوسائل لتطوير تعاون أفضل بين البلدين<sup>(26)</sup>

في مثل هذه المواقف يتجلى الخلاف والاختلاف والبعد عن مصالح البلاد لتعلو مصالح السياسة والزعماء وتهتز بذلك كراسي الحكم ليتسلمها العسكر في طبق من ذهب

#### 5/ نزاع حلايب :

مثلث حلايب مثلث سوداني يقع إلى الشمال من خط عرض 22° وقد أرسلت مصر أثناء انتخابات 1958م مذكرة تطالب فيها السودان بالتنازل عن جميع الأراضي الواقعة شمال خط العرض 22 وأخبرت حكومة السودان الشعب بالخلاف حول الحدود وأعدت حكومة السودان شكوى إلى مجلس الأمن دون اذاعة الشكوى لحين مقابلة محمد أحمد المحجوب للرئيس المصري جمال عبد الناصر فقبل سفر المحجوب وصلته وثائق سرية من القاهرة وأوامر بالزحف على حلفا وحلايب المتنازع عليها وبعد مقابلة المحجوب لعبد الناصر أكد المحجوب أن هذه الأراضي سودانية منذ ستين عاماً وأجريت فيها ثلاثة انتخابات وطلب عبد الناصر من المحجوب اقتراحاً لحل القضية فاقترح أن تعلق القضية إلى ما بعد الانتخابات في السودان ثم تحل عن طريق التفاوض المباشر أو التحكيم ورفض عبدالناصر الاقتراح فأرسل المحجوب شكوى السودان إلى المندوب السوداني لدى الأمم المتحدة لتقديمها لمجلس الأمن ولكن حلت القضية بسرعة باتفاق المندوبين المصري والسوداني وجمدت

الشكوى ولم يثر المصريون قضية الحدود مرة أخرى<sup>(27)</sup>

نفى الرئيس عبد الناصر بأن قوات مصرية عبرت حدود السودان وذلك في برقية بعث بها للسيد عبد الرحمن كان هذا النزاع احراجاً لحزب الشعب الديمقراطي الذي كان يعمل على شرح وجهات نظره حول السياسة الخارجية والتي تتضمن ضرورة الاصرار على روابط أقوى مع مصر وتدخل السيد علي الميرغني في شباط/فبراير 1958م وكتب إلى عبد الناصر معرباً عن قلقه الشديد لما جرى وطلب من عبد الناصر وقف أي إجراء آخر في حلايب وترك الأمور على حالها حتى انعقاد الانتخابات العامة السودانية فرد عبد الناصر بطريقة ودية معرباً عن أسفه لظهور هذا الوضع وأكد للسيد علي أن مصر تدعم رغبته ورغبة الشعب السوداني في علاقات أخوية بين البلدين وأن الحكومة المصرية ستعمل على تحقيقها<sup>(28)</sup> ولقد ظل الحزب الوطني الاتحادي صامتا ازاء نزاع حلايب بينما وقف حزب الشعب الديمقراطي موقفاً مشابها ووقف حزب الأمة ضدها<sup>(29)</sup>

لما كان اهتمام المساعدة الأمريكية بالطرق واضحاً وأن حلايب تصلح لأن تكون ميناء يستغنى بها عن قناة السويس ثم يكون الطريق إلى السودان عبر الغرب<sup>(30)</sup> ولكن السودان لم يعط حلايب وأمريكا كما قالت مصر<sup>(31)</sup> وواجه هذا المشروع حملة شرسة قادتها الأحزاب السودانية والقومية العربية في البلاد العربية والأفريقية<sup>(32)</sup> وأصرت الحكومة المصرية على موقفها ومن ثم أرسلت الحكومة كتيبة من الجيش السوداني إلى حلايب وبدأت المشاعر الشعبية ضد التحرك وتقدم السودان بشكوى إلى مجلس الأمن<sup>(33)</sup> ولما التقى في الخرطوم ممثلون من جميع الأحزاب والمنظمات في 20 شباط/فبراير أدانو أعمال مصر في المنطقة الحدودية دعوا إلى حل سلمي للمشكلة وكان من بين الموقعين على القرار حزب الشعب الديمقراطي وفي اليوم التالي أعلنت الحكومة موافقتها على تأجيل تسوية مسألة حلايب الحدودية من أجل المحافظة على العلاقات الأخوية بين البلدين وقد أصدرت جميع الأحزاب السياسية بيانات ترحب بالخطوة التي اتخذها الرئيس جمال عبد الناصر ماعدا حزب الأمة الذي كان يعتبر الرد المصري غير كاف<sup>(34)</sup> إلا أن المحاولة للاستيلاء على الأراضي السودانية وحدت السودان فوراً من الناحية السياسية وأنهت الحركة الداعية إلى الاتحاد مع مصر وحينما اجتمع البرلمان في يوليو 1958م كان الوضع الاقتصادي في البلاد قد زاد تدهوراً وعمّ التذمر وواجهت الحكومة القائمة الانتقاد داخلياً وخارجياً بل حتى داخل البرلمان وزاد الخلاف والتنافر بين أعضاء مجلس الوزراء وظلّ عبد الله خليل رئيس مجلس الوزراء يواجه هجوماً مستمراً طوال عام 1958م وظلّ راديو القاهرة يصب جام غضبه على عبد الله خليل ويتهمه بأنه يخون السودان<sup>(35)</sup> ولقد تجدد النزاع في العام 1995م حين اجتاحت الجيش المصري المنطقة وأعلن تبعيتها للأراضي المصرية فرفض السودان الأمر وتقدم بشكوى للأمم المتحدة وأصدر السودان خريطة جديدة بالتنسيق بين وكالات الأمم المتحدة تشمل منطقة حلايب وشلاتين المتنازع عليها في 1995م<sup>(36)</sup>

إن ما كان يتعرض له رئيس الوزراء عبدالله خليل من احتقار وازدراء واستفزازات يومية جعله مع ما سبق من أسباب يفكر في التخلص من ادارة شؤون البلاد مستعيناً على ذلك بالجيش ومشكلة النزاع تهدأ في حال تحسن العلاقات بين البلدين وتتجدد متى توترت العلاقات وفي الفترة الأخيرة تجدد النزاع وذلك بسبب أزمة سد النهضة الأثيوبي وبالنسبة للسودان ظل يجدد شكواه كل عام للأمم المتحدة آملاً في حلول سلمية رغم تطاول أمد النزاع الذي ربما يؤدي إلى حرب في حال فشل الأطراف في حسم النزاع.

## 6/ مسألة الدستور:

يعد قانون الحكم الذاتي لعام 1953م أول تجربة تتعلق بأمر الدستور والذي نال السودان بموجبه حكماً ذاتياً باستثناء سلطة السيادة والسياسة الخارجية التي بقيت بيد الحاكم العام <sup>(37)</sup> وظل دستور ستانلي بيكر والذي عدل في 1956م ليصبح دستور السودان المؤقت وكان لابد أن ينتهي إلى دستور دائم يرضي تطلعات ما بعد الاستقلال نموذجاً اهتدت به كل التجارب البرلمانية في السودان على مدى ثلاث تجارب برلمانية وتولد الصراع السياسي مع أول تجربة سودانية للحكم من خلال قانون الحكم الذاتي الذي صيغ بواسطة بريطانيا دون اتفاق بين أعضاء اللجنة الفنية التي كلفت بكتابته ووجدت القوى السياسية نفسها في مأزق حقيقي تمثل في ارتباط إعلان الاستقلال بضرورة وجود دستور ولعدم وجود جمعية تأسيسية لها الصلاحية في اجازة الدستور جعل من استصحاب قانون الحكم الذاتي بعد ادخال بعض التعديلات عليه أمراً لا مفر منه <sup>(38)</sup>

عند تحقيق الاستقلال تم تحويل قانون الحكم الذاتي خلال الاثنتا عشر يوماً من كانون الأول / ديسمبر 1955م إلى دستور انتقالي للعمل به مؤقتاً <sup>(39)</sup> واشتمل الدستور المؤقت على المبادئ الأساسية والمتمثلة في

- أ. أن يكون مستمداً من مصالح الشعب وأن يحترم ارادته
- ب. أن يجعل جهاز الدولة جهازاً ديمقراطياً ينص على حق الشعب في مراقبة جميع أجهزة الدولة وحقه في محاسبة ممثليه وأن يشرك الشعب اشراكاً واسعاً في الحكم
- ج. أن يسمح بإطلاق كل قوى الشعب في نضاله ضد الاستعمار ومؤامراته بتوفير الحريات العامة وحرية العقيدة وحرية اعتناق الآراء السياسية والعمل بها
- د. أن يحمي مصالح العمال والمزارعين والتجار وكافة المواطنين الاستغلال ويحمي حقهم في الراحة وحقهم في العمل

هـ. أن ينص على انتهاز سياسة خارجية مستقلة وسليمة تقوم على معاملة جميع الدول على أساس المساواة والاحترام المتبادل

وبعد أن فرغ الأعضاء من إبداء ملاحظاتهم وافق البرلمان على اصدار الدستور السوداني المؤقت مع بيان أن هذا الدستور يرعاه الشعب السوداني ويطيعه إلى حين صدور أحكام أخرى <sup>(40)</sup>

وبعد أن أجريت انتخابات البرلمان في 1958م وأستقر الرأي على تكوين الجمعية التأسيسية من مجلسي البرلمان المنتخب وكان ذلك أول اجتماع لها في 22 أيار / مايو 1958م (41) لوضع الدستور الدائم للبلاد وقانون الانتخابات (42) وخلا مشروع الدستور من أي إشارة للفدریشن رغم الحاح أعضاء الجمعية التأسيسية الجنوبيين في الدعوة له مما أغضب الجنوبيين داخل وخارج البرلمان ودفعهم لتوحيد قواهم السياسية في جبهة واحدة اطلق عليها جبهة الجنوب برئاسة عضو البرلمان ساتر نينو لا هوري (43) وجاء اقتراح الجنوبيين بقيام حكومة فدرالية لهم عقب حوادث جنوب السودان في 1955م وماظهر أثناءها من دسائس الاستعمار البريطاني للقضاء على الوحدة الناشئة بين أهل السودان (44) وتكونت اللجنة القومية لكتابة الدستور من أربعة وأربعين عضواً وبشرت مهامها تحت رعاية مجلس الوزراء الذي أعطاها كثيراً من الاهتمام ووفر الكتيبات لمن يرغب في قراءتها من أعضاء الحكومة والبرلمان وغيرهم من المتتبعين لأعمال لجنة الدستور التي فرغت من اعداد مقترحاتها للدستور الدائم للبلاد استدعت الحكومة استاذ للقانون من خارج السودان لتنقيح الدستور واعداده للمناقشة (45)

كان هناك اختلاف داخل النخبة حول الشكل الذي يجب أن يتخذه الدستور وخاصة ما اذا كان يجب الاعلان بأن الجمهورية البرلمانية إسلامية ونقلت الإذاعة السودانية بياناً للسيد عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني يؤيد الجمهورية البرلمانية الإسلامية وأن تصبح الشريعة المصدر الدستوري للقانون ولكن مسألة الرئاسة لم تحل ولما كانت الحكومة الائتلافية لاتزال في السلطة أصدر حزب الأمة بياناً في 8 سبتمبر / أيلول 1958م يقول أنهم دعوا إلى حكومة وطنية لتأييد الدستور وأعلنوا تفضيلهم لنظام رئاسي كوسيلة لتأمين الاستقرار ورداً على ذلك أعلن حزب الشعب الديمقراطي أنه يفضل استمرار مجلس السيادة المكون من خمسة بدلا من رئيس أوحد للبلاد (46) ورغم أن الدستور أصبح أساساً للمفاوضات إلا أنه لم يتناسب مع الجهود التي بذلت لجعل تنفيذ المبادئ التي تضمنها ممكناً وعلى الرغم من أن الدستور قد بني على التجربة البريطانية أنه لم تتوفر له الانتماءات الوطنية اللازمة وكانت مصلحة بريطانيا تتطلب استغلال الولاءات الطائفية والقبلية مع غياب للسياسة القومية (47) استمرت قضية الرئاسة تسيطر على اجتماعات اللجنة الدستورية وفي 5 أكتوبر / تشرين الأول 1958م ذكر أن أحمد سيد أحمد أعلن أن ممثلين من الحزبين الأمة والشعب الديمقراطي اتفقا على تعيين السيد عبد الرحمن رئيساً دستورياً مدى الحياة وأن تناط سلطة فعالة بمجلس سيادة ويجب استشارة أعضاء الهيئة العامة لحزب الشعب الديمقراطي وفي الوقت نفسه نفى ناطق بلسان حزب الأمة بشدة أن حزب الأمة ألح على السيد عبد الرحمن بأن يصبح رئيساً لكنه سيكون سعيداً بأن يرى السيد علي يحل محله في حالة وفاته وظلت هذه القضية تمنع اللجنة الدستورية من إكمال ما تبقى من مهمتها فقد شرع حزب الشعب الديمقراطي بمقاطعة اجتماعاتها كما فعل الحزب الوطني سابقاً ومع تأثير مقاطعة

حزب الأحرار لعدم موافقة اللجنة على مقترحات الفدرالية بشأن الجنوب فقد فقدت اللجنة النصاب القانوني وساد الفشل الفظيع<sup>(48)</sup> ولما خلا مشروع الدستور من الإشارة للفدریشن رغم الحاح الأعضاء الجنوبيين في الجمعية وكان أكثر ما أثار غضب الجنوبيين الاستخفاف بمطالبهم وقد قدم اقتراح بتعديل مشروع الدستور ليتضمن الفدریشن ثم اخضاع الأمر كله لحكم الأغلبية في الجمعية التأسيسية ورغم كل هذا الدفاع عن الفدریشن فالنواب والشيوخ الجنوبيين قد قبلوا كل ما جاء به مشروع الدستور حول وحدة القطر وإن اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية ونص مشروع الدستور في المادة الرابعة أن واجب الدولة أن تجعل القوانين متمشية مع أحكام الإسلام حسب الكتاب والسنة<sup>(49)</sup> شريطة أن لا يخول هذا النص لأي محكمة بأن تحمل أي مواطن لا يدين بالإسلام مراعاة هذه الأحكام ونصت المادة 6 على أن تستمد القوانين من الاسلام والعادات الحميدة ونصت المادة 149 على اخضاع المواد الخمسة الأولى من المشروع للتعديل ومن بينها ما ينص على وحدة القطر وعلى أن دين الدولة هو الاسلام وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة وإن اللجنة بتضمينها لهذه المواد في الدستور كانت تسعى لإرضاء كل الأطراف في الشمال مما جعل الدستور وثيقة متناقضة<sup>(50)</sup> وفي نهاية أكتوبر / تشرين الأول ومع ازدياد الجو السياسي عتمة أدرك حزب الأمة أن الائتلاف القائم يؤول إلى نهايته وأن شكل جديد للائتلاف قيد الدراسة وأن حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي تعهدا بمناقشة تشكيل الائتلاف وتوصلا إلى اتفاق على القيام بذلك في 16 نوفمبر / تشرين الثاني 1958م عندما يعود البرلمان إلى الانعقاد في اليوم التالي وفي صباح 17 نوفمبر / تشرين الثاني قامت وحدات من الجيش بقيادة الفريق ابراهيم عبود<sup>(51)</sup> باستلام السلطة<sup>(52)</sup> لم يهتم القادة والساسة والأحزاب بأمر التنوع كما أن الدولة منذ الاستقلال ظلت تتعامل مع التنوع اللغوي بإهمال كما أن اللغات لم ترد في دساتير السودان منذ استقلاله حتى 2005م باستثناء ما جاء في عدد من القوانين والاتفاقيات الأمر الذي يعني بأن هناك عدم اعتراف دستوري الأمر الذي لا يمكن تجاوزه عند الحديث عن أسباب الصراعات التي يعيشها السودان أو عند البحث عن أساليب للفدریشن أو عند العمل على بلورة رؤية لسودان للمستقبل<sup>(53)</sup>

منذ أن نال السودان استقلاله قبل 65 عاماً لم تفلح الحكومات في وضع دستور دائم يحفظ المبادئ المتفق عليها بين المكون السياسي والاجتماعي واعلاء مصلحة البلاد بل ظل الصراع السياسي يتفاقم و كانت تغذية الطائفية وبتعقد المشهد السياسي نأت الحكومة بنفسها عن تأصيل الاستقلال وتحقيق مكاسبه مستجيبة للميول الذاتية والمصلحة الشخصية بتبوؤ المناصب والكسب الرخيص والتواطؤ مع المستعمر والانحناء أمام النفوذ الأجنبي والفشل في ايجاد دستور دائم للبلاد يعمل الجيش على حراسته بدلاً عن اعتلائه دست الحكم في نوفمبر 1958م وعلق العمل بالدستور وبتعاقب نظم الحكم بين الديمقراطية والعسكرية والظروف الاقتصادية والحروب جعلت مسألة الدستور رهينة عدم الاستقرار

السياسي توالى دورات الحكم حتى استلم الجيش السلطة في 1989م بقيادة عمر البشير الذي اقتلعت نظامه الثورة الشعبية في ديسمبر 2018م فوق المجلس العسكري المنحل وائتلاف قوى إعلان الحرية والتغيير الوثيقة الدستورية التي يعمل بها الآن في إدارة البلاد .

## الخاتمة

أدت الخلافات والصراعات الحزبية السياسية لهشاشة الوضع السياسي الأمر الذي أدى لتعدد الوزارات إضافة إلى النفوذ الأجنبي الذي مارسه الاستعمار للتدخل في الشأن الداخلي السوداني مما كان سبباً في الانقسامات والتكتلات داخل البرلمان وداخل مجلس الوزراء وأدى ذلك إلى عدم استقرار الحياة السياسية والاقتصادية وفشل الحكومة في أداء دورها والمحافظة على المكاسب الديمقراطية والحرية .

## النتائج :

1. فشلت الأحزاب في ترسيخ الحكم الديمقراطي .
2. تأثير زعماء الطوائف الدينية على الحكومة والبرلمان قصر من عمر الديمقراطية الأولى .
3. عدم القبول والرضا بنتيجة الانتخابات زاد من شدة الخلاف بين الأحزاب .
4. النفوذ الأجنبي المتمثل في المساعدات الأمريكية والنزاع على حلايب زاد من وتيرة الخلافات بين الأحزاب.
5. التأكيد على أهمية الدستور الدائم.

## التوصيات:

1. إجراء الدراسات التي ترسخ لقيم الحكم الديمقراطي ومبادئه.
2. حسم النزاعات الحدودية.
3. العمل على إيجاد دستور دائم للبلاد.
4. بناء علاقات جوار جيدة وعلاقات أجنبية دون وصاية منها .
5. أن تلعب الأحزاب دورها الطبيعي بإعلاء قيم الديمقراطية وممارستها ونبذ حكم العسكر.

## المصادر والمراجع :

- (1) أحمد ابراهيم دياب :الهوية السودانية عبر التاريخ دراسة تحليلية تأصيلية تاريخية، ط1، الدار العربية للنشر ، القاهرة 2006م ، ص165.
- (2) ظاهر جاسم محمد :التطورات السياسية في السودان 1899-1969م ، القاهرة بدون تاريخ ص200.
- (3) حسن مكي :حركة الإخوان المسلمون في السودان -1944 1969م ،معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، ط1، بدون تاريخ ص65.
- (4) علي حسن عبدالله :الحكم والإدارة في السودان، ط1، 1986م، مصر الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ ص146.
- (5) جريدة الصحافة الأربعاء 15 شعبان 1383هـ/1 يناير 1964م السنة الثالثة العدد 412.
- (6) محي الدين أحمد عبد الله:تاريخ من أجل التاريخ ،المطبعة العسكرية ، بدون تاريخ ص21.
- (7) محمد سعيد القدال : الانتماء والاغتراب ،دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، دار الجيل ،بيروت ،بدو تاريخ ص163.
- (8) أيمن كمال السيد :مجلة المؤرخ السوداني ، العدد السادس 2019م ص202.
- (9) محمد موسى جبارة: آن لنا أن نحلم ،أطروحة بالعودة لمملكة مروي ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة بدون تاريخ ص67.
- (10) الخير أحمد سليمان :القرار السياسي في السودان دراسة مقارنة بين النظم البرلمانية والرئاسية والعسكرية ، ط1مكتبة الشريف الأكاديمية ، دار الجيل ،بيروت 2005م ص84.
- (11) ابراهيم أحمد العدوي : يقظة السودان ،مكتبة الأنجلو ، ط2، القاهرة ، 1979م ص168.
- (12) نفس المرجع ص169.
- (13) الصادق المهدي: الوفاق والفراق بين الأمة والجبهة في السودان 1958-1995م ،دائرة اعلام حزب الأمة ، بدون تاريخ ، ص23.
- (14) ابراهيم محمد حاج موسى :التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم في السودان، 1970م، بدون تاريخ ص390-391.
- (15) نفس المرجع ص392.
- (16) ظاهر جاسم محمد :مرجع سابق ص205-206.
- (17) علي عبد الرحمن الأمين : الدييمقراطية والاشتراكية ص89-90.
- (18) عبد الرؤوف بابكر السيد ، السودان الثورة من النفق إلى الأفق ،طرابلس الجماهيرية

- المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1395، 1-1986م ص116.
- (19) محمد أبوالقاسم حاج حمد : السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ص315.
- (20) عبد الفتاح محمد علي البصير : الدور السياسي للزعيم اسماعيل الأزهري ، ص207.
- (21) عبد الماجد أبوحسبو : جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، ج1، دار صنب للنشر والتوزيع ، القاهرة 1987م ص163-164.
- (22) أمين التوم : ذكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية السودانية 1914-1969م ط1، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1978م ص152-154.
- (23) ابراهيم محمد حاج موسى مرجع سابق ص400.
- (24) جريدة الشعب العدد 6 السنة السابعة 7 سبتمبر 1957 م .م.
- (25) محمد سعيد القدال : الانتماء والاغتراب مرجع سابق ص167-168.
- (26) ظاهر جاسم : مرجع ساب ص204-205.
- (27) محمد أحمد المجوب : الديمقراطية في الميزان ، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة ص179-181.
- (28) ظاهر جاسم مرجع سابق ص208-209.
- (29) أمين التوم : مرجع سابق ص156.
- (30) خضر حمد : مذكرات ، الحركة الوطنية الاستقلال ومابعده ، ط1، مكتبة الشرق والغرب ، الشارقة 1980، ص291.
- (31) محجوب برير : مواقف على درب الزمان ، ط1 المطبعة العسكرية ، السودان 1409هـ - 1989م ص27.
- (32) أمين التوم ، مرجع سابق ص156.
- (33) محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م، دار الجيل، ط2، دار الجيل بيروت ، 1407هـ 1978م - ص265.
- (34) ظاهر جاسم : مرجع سابق ص209.
- (35) صحيفة ULTRA سودان الالكترونية 12/ مارس 2020م.
- (36) غراهام ف. توماس: السودان موت حلم، ترجمة عمران أبوحجلة ، ط1 ، دار الفرجاني، ليبيا طرابلس 1994م ص92-93.
- (37) اخير أحمد سليمان مرجع سابق ص80.
- (38) حسن مكي ، مرجع سابق ص36-37.
- (39) محمد أحمد المحجوب : 5 ص58.
- (40) ابراهيم أحمد العدوي : مرجع سابق ص146-147.
- (41) منصور خالد : النخبة وادمان الفشل، ج1، بدون تاريخ ، ص243.
- (42) جريدة السودان الجديد 5/ 12/ 1955م العدد 2670.

- (43) منصور خالد :مرجع سابق.ص243-244.
- (44) ابراهيم أحمد العدوي :مرجع سابق.ص150.
- (45) أمين التوم :مرجع سابق ،153-154.
- (46) ظاهر جاسم :مرجع سابق ص216.
- (47) فدوى عبد الرحمن علي طه :السودان في عهد الحكم الثنائي 189-1956م، سلسلة الدراسات السودانية ،الكتاب السادس، دار الزهراء، الخرطوم ،بدون تاريخ ص67-68.
- (48) ظاهر جاسم :مرجع سابق ص217-218.
- (49) منصور خالد ،مرجع سابق ص243-244.
- (50) المرجع السابق ص244-245.
- (51) الفريق عبود هو القائد الأعلى للجيش السوداني
- (52) ظاهر جاسم :مرجع سابق ص218.
- (53) أحمد ابراهيم أبوشوك ومجموعة مؤلفيين : انفصال جنوب السودان المخاطر والفرص، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،ط1، بيروت 2012م ص 93-94.

## الهندسة المعمارية للمساجد البوسنية في العهد العثماني (دراسة تاريخية حضارية)

طالب دكتوراه - جامعة القصيم كلية اللغة  
العربية والدراسات الاجتماعية-قسم التاريخ

أ.يحيى إبراهيم هادي حفيصي

### المستخلص:

تتكون بلاد البوسنة والهرسك (انظر خريطة رقم : 1) كما يظهر من اسمها الثنائي في عصرنا الحاضر من إقليمين البوسنة في الشمال، والهرسك في الجنوب، وهذان الإقليمان المتجاوران في غالب الأحيان كانا يتحدان وينفصلان ويتناحran تبعاً لأهواء الساسة المتربعين على عرش كل منهما خلال الحقب التاريخية. البوسنة: عبارة عن بلاد واسعة تقع في الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان<sup>(1)</sup> في أوروبا الشرقية، ويحدها من الشمال نهر صاوة البالغ طوله (979 كم)، ومن الشرق نهر دارينا، ومن الغرب بلاد دالماسيا<sup>(2)</sup> (Dalmaija)، ومن الجنوب إقليم الهرسك<sup>(3)</sup> أما عن تسميتها بهذا الاسم، فهناك عدة آراء للمؤرخين على النحو التالي: أولاً: هناك من فسره أنها اكتسبت هذا الاسم من أحد أشهر الأنهار في البلقان وهو نهر البوسنة (bosna Rijeka) الذي ينبع من سفح جبل أنمن (Igman) الواقع في جنوبها، ويمتد في أنحاء البلاد مروراً بثلاثة من أكبر مدنها وهي: سراييفو (Sarajevo)، وزينيتسا (Zeneca)، ودوبوي (Doboj)، وتتفرع منه فروع كثيرة تغذي مختلف أنحائها، وتصب في نهر صاوة شمالاً، وربما كانت تسمية نهر البوسنة مقتبسة من الكلمة الإيليرية (بوسينوس) أو كلمة (بوس) التي تعني الماء الجاري<sup>(4)</sup>، فأصبحت تقاس مكانتها بمقدار ما أسهمت من حضارة في ظل الدولة العثمانية التي لها الدور في نشر الإسلام إلى جنوب شرق أوروبا، ولا سيما في البوسنة التي تعد الجزء الذي لا يتجزأ منها، فقد أسهمت في ازدهار الهندسة المعمارية الإسلامية، لذلك أصبح التراث الهندسي المعماري في الدولة العثمانية تراثاً ضخماً، وجزء منه في أوروبا حيث تمثل العمارة العثمانية المرحلة الأخيرة من مراحل تطور العمارة الإسلامية وهندستها، وعمد المهندسون العثمانيون إلى تطوير الهندسة المعمارية الإسلامية من خلال محاولات جريئة للتجديد، والابتكار، والتميز متأثرين بالبيئة المحلية حيث أنشأوا أروع التحف المعمارية كما أن دراسة هندسة العمارة الإسلامية في منطقة البلقان تعد من الدراسات المهمة في التاريخ الحديث والمعاصر. ويهدف هذا البحث لإبراز الأعمال الهندسية المعمارية في منطقة البلقان عامة، والبوسنة خاصة، وتسلط الضوء على أهمية جانب من جوانب الهندسة الإسلامية لعمارة المساجد في البوسنة خلال الفترة العثمانية والتوعية بالمحافظة عليها، ودعمها مادياً ومعنوياً، والكشف عن تراث هذا المنطقة والاهتمام به، وزيادة البحث والدراسة حوله للمهتمين بالتاريخي العثماني الأوروبي، واخترت المنشآت

الدينية في البوسنة وخاصة مسجد خسرو باشا نموذجاً معمارياً شامخاً بعمارته إلى الآن لمكانته الدينية في نفوس المسلمين في أنحاء البوسنة مستخدماً في ذلك المنهج التاريخي الوصفي من حيث الدراسة التحليلية الهندسية لأسلوب وعمارة المنشآت الدينية في البوسنة خلال العصر العثماني، ومن نتائج البحث وجدنا المحافظة على التراث الهندسي الإسلامي في البوسنة فترات طويلة إلى عصرنا الحديث، واعتزاز أهالي البوسنة بوجود الحضارة الإسلامية على أراضيهم.

## Abstract:

The countries of Bosnia and Herzegovina (see Map No. 1), as it appears from its dual name in our present time, consist of the two regions of Bosnia in the north and Herzegovina in the south, and these two neighboring regions were often united and separated and quarreled according to the whims of the politicians on their throne during historical eras. Bosnia: It is a vast country located in the northwest of the Balkan Peninsula (1) in Eastern Europe, and it is bordered on the north by the Sava River, which is 979 km long, on the east by the Darya River, on the west by Dalmatia (2) (Dalmatija), and from the south Herzegovina Region (3). As for its name by this name, there are several opinions of historians as follows: First: There are those who interpreted that it acquired this name from one of the most famous rivers in the Balkans, the Bosna River (bosna Rijeka), which originates from the foot of Mount Anmen (Igman) in its south, and extends across the country through three of its largest cities: Sarajevo. And Zeneca (Zeneca), and (Doboj), and its many branches feed various parts, and pour into the Sava River to the north, and the name of the Bosnian River may have been borrowed from the Illyrian word (Pocinus) or the word (Bos) which means running water (4), Its position became measured by how much it contributed to the civilization under the Ottoman Empire, which had a role in spreading Islam to southeastern Europe, especially in Bosnia, which is an integral part of it. It contributed to the prosperity of Islamic architecture, so the architectural heritage of the country became Ottomanism is a huge heritage, and part of

it is in Europe, where Ottoman architecture represents the final stage of the development and engineering of Islamic architecture, and the Ottoman architects developed Islamic architecture through bold attempts to renewal, innovation, and excellence influenced by the local environment where they created the finest architectural artifacts. The study of Islamic architecture in the Balkans is one of the important studies in modern and contemporary history. The aim of this research is to highlight the architectural works in the Balkans region in general, and Bosnia in particular, and to highlight the importance of an aspect of Islamic engineering for mosque architecture in Bosnia during the Ottoman period and to raise awareness of its preservation, support financially and morally, reveal the heritage of this region and interest in it, and increase research And the study about it for those interested in European Ottoman history, and the religious establishments in Bosnia, especially the Khosrow Pasha Mosque, have chosen a lofty architectural model with its architecture to date for its religious standing in the hearts of Muslims throughout Bosnia, using the descriptive historical approach in terms of the engineering analytical study of the style and architecture of religious establishments in Bosnia during the Ottoman era And from the results of the research, we found the preservation of the Islamic engineering heritage in Bosnia for long periods into our modern era, and the pride of the people of Bosnia in the presence of the Islamic civilization on their lands.

### المقدمة:

البوسنة من دول شبه جزيرة البلقان، ومن العسير كتابة تاريخها؛ لأنه يحتاج إلى عدة لغات ومعرفة بحوادث غاية في التعقيد، فهي العالم الصغير داخل العالم الأكبر الذي لا حدود له، فأصبحت تقاس مكانتها بمقدار ما أسهمت به في التقدم والحضارة في ظل الدولة العثمانية امتدت فتوحاتها في أغلب أرجاء العالم.

إن الدولة العثمانية التي كان لها دور عظيم في حمل راية الدين الإسلامي إلى جنوب شرق أوروبا ورعايتها للمسلمين في تلك المناطق، وتوفير جميع السبل في نشر الإسلام وحضارته في أوروبا، ولا سيما في البوسنة التي تعد الجزء الذي لا يتجزأ من الدولة العثمانية.

فقد أسهمت الدولة العثمانية في ازدهار الهندسة المعمارية الإسلامية عندما أصبحت مركز ثقل العالم الإسلامي ومقرًا لتراثه المعماري الإسلامي حيث امتدت حدودها في أراضي يدخلها الإسلام أول مرة، لذلك أصبح التراث الهندسي المعماري في الدولة العثمانية الذي شيد على مدى ستة قرون تراثًا ضخمًا معظمه في الأناضول، والدول العربية، وأجزاء من أوروبا.

وتعد الدولة العثمانية أطول الدول بقاءً إذ عمرت (642) عامًا هجريًا (699-1341هـ) يقابلها (623) عامًا ميلاديًا (1299-1922م)، وحكمت شعوبًا، وملأًا، ونحلًا غير متجانسة فوق قارات ثلاث آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وأما عن العمارة العثمانية التي تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل تطور العمارة الإسلامية وهندستها بصفة عامة، فكان تأثيرها واضحًا لارتباطه بالتاريخ السياسي للدولة، وهذا الذي لم يتحقق لأي دولة أخرى، وقد مرت العمارة العثمانية خلال تاريخها الطويل بعدة مراحل من التطور حتى بلغت الغاية، وأدرجت في مصاف العمارة العالمية على يد مهندسيها المعماريين.

وقد عمد المهندسون العثمانيون إلى تطوير الهندسة المعمارية الإسلامية من خلال محاولات جريئة للتجديد، والابتكار، والتميز متأثرين بالبيئة المحلية حيث أنشأوا أروع التحف المعمارية التي مازالت شاهدةً على هذا الاهتمام، والعناية الفائقة بالنشاط المعماري إلى عصرنا الحديث، كما أن دراسة هندسة التراث الإسلامي في البلقان عامة، والبوسنة خاصة تعد من الدراسات المهمة في التاريخ الحديث والمعاصر.

ولم يقتصر دور المعمار العثماني في المحافظة على التقاليد المعمارية الإسلامية فحسب وإنما أضاف إليها وطور فيها بل ابتكر بعض الأنماط غير المسبوقة، وكذلك كان للعصر العثماني أثره الكبير في تبادل التأثيرات الفنية والهندسية المعمارية مع أوروبا وهو الأمر الذي كان من نتيجته تسرب بعض هذه التأثيرات إلى أوروبا العثمانية، ويمكن اعتبار عهد المعمار سنان باشا (945-996هـ/1538-1588م) حدًا فاصلًا بين مرحلتين متميزتين في تاريخ الهندسة المعمارية العثمانية، فتميزت المرحلة الأولى: وهي التي سبقت ظهوره بالمحافظة على التقاليد الهندسية المعمارية الإسلامية، وإرهاصات التجديد، والتطور، والابتكار من جهة ثانية، بينما تميزت المرحلة الثانية: والتي تلت المعمار سنان باشا فيما بين القرنين (11-13هـ / 17-19م) باستمرار مدرسة سنان باشا<sup>(5)</sup> لبعض الوقت من جهة، وتغلغل التأثيرات الفنية الأوروبية ومحاولات إحياء المدرسة الكلاسيكية من جهة أخرى، فالعمارة العثمانية في أوروبا ماهي إلا امتداداً طبيعياً للعمارة العثمانية في آسيا الصغرى لذلك مرت بنفس المراحل بل شارك الكثير من المعماريين العثمانيين في إرساء دعائم العمارة الإسلامية عامة، والعثمانية خاصة، فضلاً عن المعماريين المحليين وبخاصة في السناجق والإيالات الأوروبية مثل: البوسنة وغيرها من المناطق في شبه جزيرة البلقان، وكان لهؤلاء المعماريين الدور البارز في المحافظة على تلك التقاليد واستمرارها بل تطورها وابتكار أنماط جديدة والحق أن العمارة العثمانية في أوروبا تعد على جانب كبير من الأهمية سواء من حيث هندستها وتنوع تخطيطاتها ومفرداتها وعناصرها الهندسية ونقوشها الكتابية والزخرفية<sup>(6)</sup>.

ونجد أن البوسنة تختلف عن بقية الدول الإسلامية الأخرى لما تنفرد به من خصوصية في موقعها، وطبيعتها دون سواها، وإذا كان كل بلد إسلامي يمتاز بطابعه الخاص فإن البوسنة تكاد تختلف في كل شيء إذا ما قورنت بباقي دول العالم الإسلامي، فتعد البوسنة الدولة الإسلامية الوحيدة داخل أوروبا فمنذ خمسة قرون والدولة البوسنية المسلمة تعيش في القارة الأوروبية فهي جزء من الناحية الجغرافية، واكتسبت منذ زمن بعيد جزءاً كبيراً من ثقافتها وحضارتها، ولكن الاختلاف جاء من الناحية الدينية مع أوروبا، وهذا الاختلاف سبق الإسلام عندما كان البوسنيون ينتسبون إلى الكنيسة البوسنية – البوغميل – ذات التوجه المختلف<sup>(7)</sup>.

ومع بداية الحكم العثماني للبوسنة كان معظم المشيدين والمهندسين المعماريين والمسؤولين عن المشاريع من العثمانيين وكان لهؤلاء المهندسين المعماريين الكبار الفضل في تعليم البوسنيين وتكوينهم إلى أن اكتسبوا فنيات البناء الهندسي العثماني الراقي، بل تطورت بلادهم على أيديهم لتصبح أرقى وأعظم حضارة في تلك الفترة، فوجد الصدر الأعظم محمد باشا سوكوفيتش الذي طلب من المهندس المعماري المشهور سنان باشا بناء قنطرة نهر درينا في مدينة فيشغراد، وهجر الدين كبير مهندس الدولة العثمانية هو الذي شيد القنطرة القديمة في مدينة موستار، وصمم المهندس عظيم إيسر علي مسجد خسرو بك في سراييفو، وصمم رمضان آغا الذي كان يطلق عليه لقب خليفة سنان باشا مسجد ألزادا في فوكا وغيرهم، فإن هذه الأبنية والمعالم المعمارية هي زينة البوسنة ومفخرتها، فهي ثمرة التعايش مع العالم الإسلامي<sup>(8)</sup>.

وبلغ فن الهندسة المعمارية العثمانية أوجها في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حيث انتهى مسلسل الفتح الإسلامي الذي باشره العثمانيون في المنطقة غير أن هذا المسلسل كان لايزال في بدايته بالنسبة للبوسنة، وكان العصر الذهبي للعمارة الإسلامية يتحدد في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بالنسبة للمناطق المجاورة، فإنه يتحدد في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بالنسبة للبوسنة، والجدير بالذكر أن جل الأبنية المعمارية في البوسنة شيدت على طراز الهندسة العثمانية، فقد اعتنق البوسنيون الدين الإسلامي وأسهموا بشكل كبير في إثراء الحضارة الإسلامية بكل ما أوتوا من طاقات وموارد بشرية ومالية<sup>(9)</sup>. وإن النسبة الكبيرة من التراث الهندسي المعماري الهائل الذي شهدته العديد من الدول الأوروبية إبان العصر العثماني، ومنها البوسنة قد أصبح أثراً بعد عين وبالتالي فقدت هذه النسبة وضاعت إلى الأبد، ومن جهة ثانية فإن النسبة القليلة الباقية ليست كلها بحالة جيدة من الحفظ مما دعا الكثير من المتخصصين إلى المطالبة بضرورة الصيانة والترميم العاجل، وتدبير الأموال اللازمة لذلك حتى يمكن المحافظة على ما تبقى من ذلك التراث المعماري الإسلامي ولاسيما في العديد من المدن البوسنية، وعلى الرغم من ذلك نستطيع أن نتعرف على هندسة العمائر المختلفة مما تبقى لنا من التراث الإسلامي سواء منشآت دينية وغيرها، من خلال مشاهدات الرحالة المسلمين وغيرهم، ولوحاتهم، ودراسات العلماء للعديد من تصميم وهندسة العمائر قبل اندثارها وفقدانها، وما تحتوي عليه تلك الدراسات من رسوم هندسية وصور فوتوغرافية تعرفنا على مدى تطور العمارة في المنطقة<sup>(10)</sup>.

وقد شدد مظاهر الحضارة الإسلامية في البوسنة انتباه زوار البوسنة، وخاصة في مدينة سراييفو، فينسى الزائر أنه يزور مدينة أوروبية حيث يعتقد أنه في القاهرة أو دمشق فمآذن المساجد تطل من كل شارع وبعض هذه المساجد تعتبر آيات في الفن والهندسة المعمارية الإسلامية، وكانت العمارة الإسلامية هي المجال الأكثر تقدماً في البوسنة خلال الفترة العثمانية، وقد تم إنشاء أكثر من ألف بناية يتمتع كل منها بميزات هندسية معمارية، وكانت هذه الأبنية من المساجد، والجسور، والخانات، والحمامات تشكل نواة تتجمع حولها شبكة عضوية من الطرقات، والشوارع، تكون نواة للتجمعات السكنية<sup>(11)</sup>.

## العمارة الدينية في البوسنة:

تحتل المنشآت الدينية المكانة الأولى بين أنواع العمارات الإسلامية الأخرى، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى الرغبة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى حيث كانت وراء إنشاء الكثير من تلك المنشآت، وعلى رأسها المساجد والجوامع والتي كانت في كثير من الأحيان تكون النواة الرئيسية التي تشكلت حولها المدن الإسلامية في البلاد المفتوحة سواء كانت مدناً قديمة أو مدناً مستحدثة، ولم تشذ المدن في البوسنة عن هذه القاعدة عقب الفتوحات العثمانية<sup>(12)</sup>.

ولقد يسر الله على الإنسان سبل الحياة، فالصلاة تجوز في أي مكان طاهر، وبناء المساجد أمر من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)<sup>(13)</sup>، فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على بنیان المساجد ودليلنا في ذلك حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول<sup>(1)</sup> من بنى مسجداً بنى الله له مثله في الجنة<sup>(14)</sup>، وليجتمع المسلمون في مكان واحد، وعلى قلب رجل واحد، وليذكر فيه اسم الله، والمكان الذي يحميهم من التقلبات الجوية، والظروف المناخية، فالجانب الوظيفي في تصميم وهندسة المسجد لا يتعدى إيجاد الفراغ المناسب لعدد من المسلمين يقيمون فيه الصلاة متجهين في صفوفهم للقبلة - المسجد الحرام- ولكن المضمون الإسلامي للمسجد في النظرية الهندسية المعمارية يتطلب أن يأخذ شكلاً طويلاً متعامداً على اتجاه القبلة لإطالة الصفوف، فمن هنا يحدد المسقط الأفقي الأنسب للتعاليم الإسلامية الأمر الذي لا يتناسب مع المسقط الدائري أو المنحني أو المسدس أو حتى المربع، فالعبرة هنا بالأسس العقائدية<sup>(15)</sup>، لذا تعتبر المساجد الواجهة التي تعكس أكثر من غيرها النمط الهندسي الذي يميز كل دولة إسلامية، فمن خلال المساجد تتحدد الأساليب الهندسية والمعمارية<sup>(16)</sup>.

وفي الدولة العثمانية فلم يؤد المسجد الدور الذي أداه عند المسلمين الأوائل وكان ذلك في فترة وجيزة جداً لأن الدولة العثمانية كانت دولة عسكرية منذ نشأتها، ومع ذلك اهتم العثمانيون ببناء المساجد اهتماماً بالغاً حيث بلغ عدد المساجد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي في إستانبول وحدها حوالي (مائة واثنين وخمسين) مسجداً، واهتموا بالمساجد في البلاد المفتوحة، وتعد مساجدهم من أجمل وأكبر الأعمال الهندسية والفنية على وجه الأرض مثل: جامع السلطان سليم الثاني في أدرنة، والذي بني سنة (987-982 هـ / 1570-1574 م 1557 م)، وجامع السليمانية في إستانبول، والذي بني سنة (957-965 هـ / 1550-1557 م)، وغيرها من المساجد والجوامع<sup>(17)</sup>.

وارتبط بناء المساجد في البوسنة بالفتح العثماني الإسلامي لها في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان من أبرز سمات العمارة الإسلامية في البوسنة بناء المساجد، وعلى رأسها مساجد السلاطين العثمانيين في المدن البوسنية الكبرى<sup>(18)</sup>، فأوائل المساجد التي أقامها العثمانيون في البوسنة التي كانت في معسكراتهم في المناطق المفتوحة، كما حثوا المسلمين الجدد على إنشائها، وفعلاً قام هؤلاء ببناء المساجد منذ دخول الإسلام، ولم يشترك في ذلك الوزراء، والولاة فقط في البناء بل شارك المواطنون من التجار، والفلاحين وغيرهم، وكان من الطبيعي أن هذه المساجد التي بناها عامة الشعب لم تتميز بهندستها وفخامتها لكنها تميزت ببساطة تصميمها وكثرتها، وغلب على الجوامع والمساجد في البوسنة الهندسة المعمارية العثمانية التي تمثلت في القبة الرئيسية مع قبتين أو ثلاث فوق مدخل الجامع، ومئذنته الرفيعة<sup>(19)</sup>.

وقد بني أول مسجد في البوسنة في جهتها الغربية في حدود سنة (1448-1449م)، وازداد عدد المساجد فيها مع بداية الفتح الإسلامي وخلال الحكم العثماني<sup>(20)</sup>، وكان للمساجد والجوامع دور أساسي في إنشاء المؤسسات الأخرى مثل: الكتاتيب، والمدارس، والمكتبات<sup>(21)</sup>، ويعد جامع السلطان من أوائل الجوامع والنواة الأولى لمدينة سراييفو والذي بناه واليها في ذلك الوقت عيسى بك على الضفة اليسرى لنهر ملياتسكا وكان ذلك عام (268هـ / 5741م) باسم السلطان محمد الفاتح<sup>(22)</sup>.

## أنواع المساجد في البوسنة :

والمساجد والجوامع في البوسنة تأخذ من حيث الشكل الهندسي الخارجي نوعان: كل نوع يتميز بخصائصه المعمارية الإسلامية ذات الطابع الهندسي الراقى، فالنوع الأول: من المساجد ذات القبة أما النوع الآخر: وهو المساجد البوسنية ذات السطح الهرمي، وهذا النوع وجد بسبب الظروف الاقتصادية والمناخية التي عمد المهندسين المعماريين في البوسنة إليه لحل بعض الظروف الطارئة في مناطقهم والتي تختلف عن باقي الأراضي في الدولة العثمانية:

أ- المساجد ذات القبة: شكلت المساجد ذات القبة أهم الأبنية التي تم تشييدها في تلك الفترة، فقد لقيت المساجد المشيدة على الطراز الهندسي العثماني نجاحاً كبيراً في البوسنة التي شهدت عدة أنماط هندسية معمارية منها النمط السلجوقي مروراً بالأسلوب البروسي، والاستنبولي القديم، ووصولاً إلى الطراز العثماني الكلاسيكي، ومن مزايا هذا النوع من المساجد أنها شيدت حسب هندسه معمارية تجعل من المسجد فضاء موحدًا، ومتجانسًا يلتقي فيه الشق الداخلي بالباحة الخارجية، ويعد هذا النمط من أكمل الأنماط الهندسية المعمارية في العالم حيث يستجيب إلى الحاجيات الوظيفية، والروحية، والجمالية، وهذا الأسلوب في البناء يجمع بين البساطة والكمال الهندسي والأمانة الفنية والدقة العلمية في الإنشاء<sup>(32)</sup>.

ومن أمثلة هذه المساجد التي شيدت على الطراز التركي الكلاسيكي:

- مسجد ألداز في موكا بني عام (551م).
- مسجد بيني في ترافنيك ( انظر صور رقم : 1 ) بني عام (9451م).
- مسجد شكركشيا في سراييفو بني عام (6251م).

- مسجد علي باشا في سراييفو (انظر صور رقم : 2 ) بني عام (2651م).
  - مسجد القصير في سراييفو بني عام (5651م).
  - مسجد الغازي خسرو بك في سراييفو (انظر صور رقم : 3 ) بني عام (0351م).
- والمسجد الأخير مسجد الوالي خسرو بك في سراييفو سوف يكون نموذجاً للهندسة المعمارية نصف ونحلل هندسته المعمارية لكي نستدل بها على البحث حيث يعد نموذجاً للمساجد والجوامع في البوسنة في الفترة العثمانية وخاصة في مدينة سراييفو.
- ب)- المساجد ذات السطح الهرمي: إلى جانب المساجد ذات القبة، وأنصاف القبة ازدهر في البوسنة بناء المساجد ذات السطح الهرمي المسطح وذلك تماشياً مع الظروف الاقتصادية والمناخية للمنطقة، وهي مساجد متواضعة تكمن أهميتها أساساً في تأقلمها مع الوسط الذي توجد به لكن هذا لا يمنع من وجود بعض المساجد ذات الأبنية الكبرى المصممة على هذا الشكل كتلك التي شيدت خارج البوسنة، وفي البوسنة صمم مسجد سليمان القانوني الموجود في مدينة ترافنيك على هذا النمط الهندسي وهو يتكون من طابقين الطابق الأرضي عبارة عن مركز تجاري (بازستان) والطابق العلوي يحتضن المسجد المعروف - بالمسجد الملون- لما تحتوي عليه واجهته من زخارف ملونة، كما يعد مسجد رزنامة الدين بموستار أحد أنجح المشاريع الهندسية المعمارية المصممة بهذا الأسلوب رغم صغر حجمه، وعلاوة على ذلك ثمة مساجد بقبة من الخشب، ونذكر مسجد غادانفريا في مدينة بانالوكا<sup>(24)</sup>، كما نجد نوعاً آخر من المساجد لا يقل تميزاً في هندسته كمسجد المغربية في مدينة سراييفو الذي تتكون قبته، من أقواس خشبية، وعلى الرغم من أن استعمال الخشب في بناء القبة أمر غير منطقي إلا أن الهدف منه كان توفير المساحة الضرورية للمسجد<sup>(25)</sup>
- فهذه الجوامع والمساجد الأولى التي كانت تنشأ داخل الحصون أو معسكرات الجيش أو الأسواق القديمة فإنها كانت مركز بناء لمباني أخرى تنشأ حولها أمثال: البيوت السكنية والدكاكين، وهكذا أصبح الجامع أو المسجد مركز المدينة في بداية الأمر حتى تبنى المنشآت الخدمية الأخرى حسب توسع المدينة نفسها، فكان الأغلب من مؤسسي المساجد والجوامع في البوسنة بداية الأمر من رجال الدولة العثمانية الكبار، وذلك لأسباب عدة أهمها: وعيهم الإسلامي القوي من المسلمين المحليين الجدد ثم مكانتهم، وقدرتهم المادية على بناء مثل هذه المنشآت الدينية التي يغلب عليها الطراز المعماري للجوامع والمساجد العثمانية السائدة في تلك الفترة ذات القبة الرئيسة مع قبتين أو ثلاث فوق مداخل الجوامع مع مئذنة رفيعة، ونجد أن معظم منشئي المساجد والجوامع في البوسنة اهتموا بالناحية المعمارية وجمال منشآتهم ومدركين أنها ستكون رمزاً لدينهم وبلادهم وآثارهم في المستقبل، وتحت معنى الجوامع والمساجد يمكن أن نضع منشأة سميت بالمصلى: وهي عبارة عن قطعة من الأرض خارج المدينة بني حولها سياج مع محراب تجاه الكعبة وكانت تستعمل للاجتماعات الكبيرة كصلاة العيدين، وإنشاء الجامع أو المسجد المركزي تكون أهم نقطة في توسع المدينة حيث تتشكل وتتطور حولها شبكة العمران الإسلامي وتنسج بعناية حول هذه النقطة وكأنها نبع الحياة، وتشيد إلى جانبها المؤسسات الاقتصادية، والتربوية، والثقافية، وغيرها<sup>(62)</sup>.

ويتم اختيار مواد البناء بطريقة عقلانية ومنطقية في البوسنة حيث بنيت الجوامع والمساجد، أساساً من الحجر حتى تكون صلبة وقوية، وخلافاً لذلك بنيت المحلات التجارية بمواد أقل مقاومة وصلابة، واستعمل القرميد والأخشاب في سقوف هذه المنشآت، والأبنية<sup>(72)</sup>، وكان يضاها الطابع الذي اتسمت به الدولة العثمانية، والعناية التي أبدتها السلطانين بإنشاء العديد من المساجد الكبرى التي غدت رمزاً مجسداً للفن والهندسة المعمارية العثمانية وما بلغه من تطور هندسي حيث أثر الفن البيزنطي فيه<sup>(82)</sup>، وقد كان في البوسنة وحدها خلال القرون الماضية ما يزيد عن (ألف) مسجد<sup>(92)</sup>.

ونجد في أنحاء مختلفة من البوسنة جوامع ومساجد مميزة ذات منارات، وماذن تبرز الفن المعماري العثماني المقتن، وما بلغه من تطور حيث أمتزجت بشيء من جمال الفن البيزنطي حتى أنها تختلف في شكلها المعماري عن المساجد التي نراها في الدول الإسلامية الأخرى<sup>(30)</sup>.

#### أشهر الجوامع في البوسنة:

وهنا سوف نذكر أهم الجوامع والمساجد في تلك الفترة، ونفصلها في نموذج اخترناه ليكون نموذجياً هندسياً عمرانياً غاية في الإتقان ألا هو مسجد الغازي خسرو بك في سرايفو الذي يعد تحفة هندسية عمرانية باقية إلى الآن من ذلك الزمن الجميل الذي عاشته البوسنة وأهلها تحت الحكم العثماني الإسلامي، ومازال أهل البوسنة يتفاخرون بهذه المنشآت العمرانية الخالدة في بلادهم التي هي همزة وصل مع العالم الإسلامي والتي تنبعث من أنحائها عبق الإيمان والحنين إلى المقدسات الإسلامية، ويربطهم قبل ذلك بخالقهم سبحانه الذي أنعم عليهم بهذه النعمة نعمة الإسلام، ومن هذه الجوامع:

1. جامع علي باشا: في سرايفو أنشئ هذا الجامع سنة (968هـ / 1563م) أي بعد موت الواقف بخمس سنين، ونجد تاريخ البناء منقوشاً فوق باب الجامع أما وقفه كتب سنة (965هـ / 1557م).
2. جامع السلطان أو جامع العتيق: في سرايفو وهو أول جامع أسس في سرايفو، وحوله أول محلة إسلامية بناه مؤسس سرايفو عيسى بك بن إسحاق وذلك سنة (862هـ / 1457م)، وأهداه إلى السلطان محمد الفاتح وسمي بذلك هكاريية (Hongarija) أي جامع السلطان، وسمي فيما بعد جامع العتيق علماً بأن المبنى الحالي للجامع يعود لعام (1565-1566م)، والذي مازال وكتب على جداره شيد زمن السلطان سليمان القانوني، وقبته المركزية وبقية القبة مغطاة بالرصاص وبه مئذنة حجرية<sup>(31)</sup>.
3. جامع الإجا (Aladza): في مدينة فوتشا (Foca)، ولقد اشتهرت هذه المدينة بكثرة مساجدها، ويعتبر مسجد الإجا من أروع المساجد هندسة في البوسنة، فقد بني المسجد حسب تخطيط المهندس العثماني الشهير رمضان آقا - الذي كان أحد تلاميذ المهندس معمار سنان، وقد بني هذا الجامع سنة (957هـ / 1550م) حيث توفي مؤسسه حسن بن يوسف سنة (961هـ / 1553م)، وكان من أهل فوتشا ومن رجال الدولة بلقب جلبلي<sup>(32)</sup>.
4. جامع فرهاد باشا سوكولوفيتش<sup>(33)</sup>: في بانجالوكا (Banjaloka)، وهي مدينة تقع في نهر فورباس (Vr-bas)، وبفضل موقعها الجغرافي الممتاز زادت قيمتها في القرن الوسيط لكن هذه المدينة ازدهرت أيام الحكام العثمانيين عندما فتحوها سنة (925هـ / 1528م)، وأصبحت المدينة منذ سنة (988هـ

1580م) مركزاً لـبكلربك البوسنة، فهذا الجامع في المدينة من أشهر المؤسسات التي أقامها محمد باشا سقولوفيتش، فهو يشبه جامع الغازي خسروك في سرايفو من الناحية الهندسية تماماً، وزين الجامع بقبة كبيرة ومئذنة رفيعة، واشتهر في البوسنة باسم فرهادية نسبة لـبانيه، وكان في هذه المدينة قرابة (خمسة وأربعين) مسجداً<sup>(34)</sup>.

5. وفي نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي انتشرت حركة البناء واتسعت في البوسنة، وأحدثت المشروعات الهندسية العمرانية ترابطاً بين مدن البوسنة المحيطة بمركز السنجق، وسرعان ما تطورت البوسنة، وأصبحت من أهم المناطق التابعة للدولة العثمانية بمنطقة البلقان، وفي سرايفو مركز السنجق شيد أكبر عدد من المساجد والجوامع، وكانت كلمة مسجد أو جامع تعني مكاناً تقام فيه الشرائع الإسلامية، وفي سرايفو كان يشيد الجوامع كبار المسؤولين العثمانيين وأعيان البوسنة وأثريائها وأصحاب الحرف والمواطنون كل على قدر استطاعته، ولم تكن المساجد مرتبطة بمن يشيدها فقط بل بمصمميها المهندسين المعماريين، ولأشك أن وجود الجامع السلطاني الذي هو النواة العمرانية قبل فتح البوسنة بأكملها والذي كانت تقام به صلاة الجمعة، والعيدين، ووجود السوق، وغيره من العنصر يعتبر من أهم شروط الإدارة العثمانية للاعتراف بتحول أي تجمع سكني إلى مدينة ثم تتدرج إلى أعلى المستويات الإدارية والتنظيمية<sup>(35)</sup>.

وبعد وصفنا لبعض الجوامع والمساجد الأثرية ذات الطابع الهندسي المعماري الإسلامي في البوسنة خلال الفترة العثمانية للمنطقة في تلك الفترة نفصل الأسلوب الهندسي من خلال منشأة معمارية لها قيمتها الدينية في نفوس سكان البوسنة، وهو مسجد الغازي خسروك الذي يعد من رموز الإسلام الباقية في المنطقة بل في أوروبا العثمانية. الهندسة المعمارية لمسجد الغازي خسروك (انظر صورة رقم 4):

ويعد جامع خسروك (1251-1451 م) من أكبر الجوامع في مدينة سرايفو بل هو الجامع الرئيسي الذي استمر عامراً بالمصلين إلى عصرنا الحاضر، وقد بني عام (739هـ / 0351م) حسبما كتب عليه تاريخه وكما تفيدنا اللوحة الحجرية التذكارية على مدخل الجامع المكتوبة باللغة العربية، ويقع بوسط المركز التجاري القديم المعروف باسم باشجارشيا، ويعرف باسم جامع بيكوف-fokuoB-،<sup>(63)</sup> وقد كتب على هذه اللوحة الحجرية العبارات التالية:

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| جامع الأبرار خسروك بنا   | حبسه لله دار الساجدين     |
| قاتل الأعداء معين للغزاة | ناشر الإحسان نصر العابدين |
| الهم لله لنا تاريخه      | مجمع الأبرار دار الحامدين |

ويعد جامع الغازي خسروك نموذج معماري فريد ينتهي إلى النمط العثماني التقليدي ذي المئذنة الواحدة، والقبة الواحدة، ومربع الشكل بأطوال (09,01×09,01) رواقه الخارجي معمول على ثلاث قباب صغيرة، وتعد مأذنته طويلة ورفيعة على النمط العثماني<sup>(73)</sup>، وبنيت من الحجر ويبلغ ارتفاعه (سبعة وأربعين) متراً حتى الشرفة، وتقع

بالجهة الشمالية الغربية من حرم الجامع وهي مضلعه الشكل عدد أضلاعها (ست عشر) ضلعا، ولها باب خشبي (انظر صورة رقم : 5 ذو مصراعين يفتح على حرم الجامع، ومن الضلع الجانبي يتم الدخول إليها عبر درجتين حجريتين وذات شرفة بأسفلها) (انظر صورة رقم : 6)، ومقرنصات حجرية كما أن قاعدتها الحجرية ذات مقرنصات<sup>(83)</sup>.

- القبة والرواق الخارجي: وله قبة كبيرة بارتفاع (واحد وعشرين) متراً وعرض القبة (ثلاثة عشر) متراً تدعمها أنصاف قباب صغيرة وتدعمها أيضاً أقواس خارجية مزدوجة، وهي خمس قباب صغيرة محمولة على (ستة) أعمدة رخامية ذات تيجان مقرنصة<sup>(39)</sup>، وقد تم الربط بين كل قوس حجري بعوارض حديدية، وعلى طول الرواق ارتكزت على حائط مدخل الصلاة بالجهة العرضية لحفظ البناء، ويوجد محرابان حجريان بالرواق الخارجي (انظر صورة رقم : 7) ذو مقرنصات، وعلى جدار مدخل قاعة الصلاة أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، ويميز هذا الرواق كلا النهايتين مسدودة بجدار ولها نافذة، ويتم الصعود إليها عبر خمس درجات حجرية يمتد على طول الضلع لقاعة الصلاة وبذلك يكون طول كل قسم من الرواق (ستة ونصف) المتر، وهو مصفوف (بخمسة) قباب صغيرة (انظر صورة رقم : 8) ويحوي الرواق شرفة خشبية ذات درابزون خشبي يتم الدخول إليها من داخل قاعة الصلاة تستخدم للوعظ، وتنوعت وتعددت أشكال القباب وراقها الداعمة ما بين:

- أ- القبة المركزية لقاعة الصلاة، وهي نصف كروية.
- ب- قباب الرواق الصيفي ذات عنق مثنى الأضلاع.
- ج- القبة ذات الرقبة المثلثة الأضلاع كما في قبتي الغرفتين الجانبيتين الداعمة للقبة المركزية، وكذلك نصف القبة الداعمة للقبة المركزية من جهة القبلة<sup>(40)</sup>.
- السور الخارجي، والبوابات (انظر صورة رقم : 9): يحيط بالجامع حرم مسور بسور حجري، وبه فتحات محمية بقضبان حديدية مشبكة، ويضم ثلاثة مداخل من جهة الشمال والغرب والشرق، وهو قريب من المقبرة والحرم الداخلي شبه مربع وأرضية الحرم مبلطة بحجارة مستطيلة الشكل<sup>(41)</sup>.
- قاعة الصلاة: مربعة الشكل تعلوها القبة المركزية للجامع بارتفاع (ستة وعشرين) متراً ذات نقوش ملونة، وتدير قاع الصلاة (واحد وخمسون) نافذة منها (اثنا عشر) بالأسفل والباقية موزعة بالجزء العلوي في القاعة، وتبلغ سماكة الجدران من ثلاث جهات المئتين بينما الجهة الرابعة وهي الجنوبية الشرقية يوجد قنطرة مهيبية، وترتكز على عامودين حجريين ضخمين تحمل نصف قبة كبيرة تمتد في جدار المحراب من الداخل، وعلى الجدار الداخلي للجامع توجد نقوش غنية بالأشكال الرائعة<sup>(42)</sup>.
- الموضيء (إبدست خانة) (انظر صورة رقم : 10): يقع بحرم الجامع بالزاوية القريبة بقسمين أحدهما: للرجال والآخر للنساء، ويعود بناؤه لعام (1530م)، وكانت المياه بفصل الشتاء يتم تسخينها عن طريق حرق الحطب تحت سخانات خاصة بالمياه<sup>(43)</sup>.
- المحراب (انظر صورة رقم : 11): يقع بمنتصف الجدار المواجه لمدخل الجامع، وهو من الحجر الرخامي ومزين بالنقوش والمقرنصات يبلغ عددها (سبعة) صفوف على يمين ويسار المحراب، ويوجد أربعة شمعدانات نحاسية تحمل شمعة من الزجاج كانتا تستخدم قديماً للإنارة<sup>(44)</sup>.

- المنبر: يقع يمين المحراب ومبنى من (سبعة) أنواع من الرخام وعلى النمط العثماني التقليدي، ويتم الصعود إليه عبر درج حجري تفصله عن قاعة الصلاة بوابة خشبية معمولة على شكل قوس حجري ذات نقوش نصها: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله'<sup>(45)</sup>.
  - المحقل (السدة) (انظر صورة رقم : 12): يقع يمين المدخل لقاعة الصلاة وهو من الحجر، ومحمول على (ثمانية) أعمدة رخامية يمتد على طول الجدار الشمالي لقاعة الصلاة، ويطل على المحراب بشرفة حجرية صغيرة بارزة ذات درابزون خشبي يتم الصعود إليه عبر باب في الجدار الذي يضم بوابة الدخول لقاعة الصلاة<sup>(46)</sup>.
  - المنصة الحجرية للأذان (انظر صورة رقم : 10) تاش وبالتركية تعني صخرة: وهي صخرة ارتفاعها (72) سم تقع بالجهة اليمنى للمدخل أمام الشاذروان بوسط حرم الجامع، وتستخدم للأذان من قبل المؤذن بحالات خاصة<sup>(47)</sup>.
  - الشاذروان (انظر صورة رقم : 13): نافورة الوضوء، وتعود القديمة منها إلى عام (1530م)، والموجودة الآن بنيت لاحقاً بسبب تلفه بالعوامل الطبيعية، وهو يقع وسط الحرم الداخلي، ويصله الماء من نبع تشرنيل عبر قناة ماء تمتد مسافة (سبعة) كيلو مترات، ونقش بأعلى الشاذروان آية قرآنية (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ونقوش إسلامية أخرى<sup>(48)</sup>.
  - مدخل قاعة الصلاة (انظر صورة رقم : 14): بوابة مصنوعة من الخشب السميك ضمن مدخل حجري بارز على حائط قاعة الصلاة ومزين بزواييته العلويتين بمقرنصات حجرية بديعة الصنع، وزين مدخل قاعة الصلاة من الخارج بعمودين رخامين مزدوجين لكل طرف وبدون أي: نقوش<sup>(49)</sup>.
  - سبيل الماء (انظر صور رقم : 15): وموقعه بالزاوية الشمالية الغربية من سور الجامع، وعلى خارج السور على الشارع<sup>(50)</sup>.
- وفي ما سبق، وصف هندسي لأهم مساجد البوسنة في الفترة العثمانية خلال فترة الدراسة التي تبحث في عمق تفاصيلها، وبعد هذا العرض الموجز وجدنا الاهتمام بالمساجد وعمارتها من قبل أهالي البوسنة باختلاف طبقاتهم، وأيضاً من حيث الإنتاج العمراني المميز لهذه المنشآت الدينية التي تعد عصب التوسع العمراني في أي نقطة من الأرض حيث إن المسجد هو النواة الأولى لإنشاء وتوسع مدينة ما كما هو الحال في سراييفو، فعند بناء أي مسجد أو جامع تُشيد حوله مباني الخدمات الأخرى مما يجعل الناس تتركز حول هذا البناء، وتبدأ بالتوسع في كل الاتجاهات ويظهر مجتمع عمراني متكامل من كل النواحي الحياتية. وفي البناء الهندسي والتخطيط العمراني بشكل عام أصبح بناء المساجد والجوامع من أساس الهندسة العمرانية لأن المسجد هو المركز الديني الذي يسيطر على حياة المدينة اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، ومن حوله تلتف بقية المنشآت الهندسية العمرانية، فكانت تقام حول المسجد الأسواق، والحوانيت، كما كانت تعقد فيه الاجتماعات، وتوزع ألوية الجيش وبنوده، كما كانت له أهمية من الناحية التعليمية في القيام بنفس وظيفة المدرسة<sup>(51)</sup>.

## الخاتمة:

وهنا نجد أن امتداد الحضارة الإسلامية بين الشرق والغرب نقلت البوسنة في العهد العثماني إلى تطور سريع وازدهار عمراني لم يسبق له مثيل في العصور السابقة قبل الفتح الإسلامي حيث بقيت آثار التراث الإسلامي فترات طويلة فيها إلى عصرنا الحديث مما جعل أهالي البوسنة يفخرون ويعيشون عقب التاريخ الإسلامي بمنشآته الدينية وخاصة الجوامع والمساجد التي لها مكانة إيمانية في نفوس مسلمين البوسنة التي زادت من تمسكهم بعقيدتهم ومحافظةهم على هذا التراث الإسلامي والديني في المقام الأول.

وقد بين البحث في طيات أسطره السابقة المنشآت الدينية في البوسنة وهندسة بنائها واصفين المواد المستخدمة في بناء المساجد التي كانت مما توفره البيئة المحلية، وتمثلت في الأحجار والأخشاب والرصاص كمادة أساسية في البناء، وكما أن للمناخ تأثير على الأساليب المعمارية للمساجد، والتي اتخذت شكلاً هرمياً وقباب دائرية الشكل، وتضمن البحث وصفاً للعناصر المعمارية لمسجد الغازي خسروك من خلال الوصف المعماري لأجزائه الداخلية والخارجية التي مازالت شامخة وباقية شاهدةً على تاريخ البوسنة الإسلامي.

## النتائج:

1. اعتزاز وافتخار البوسنيون بوجود الحضارة الإسلامية على أراضيهم والمحافظة عليها.
2. كشف البحث عن الأساليب الهندسة المعمارية المختلفة المستخدمة في إنشاء المساجد في البوسنة.
3. بين البحث أن هناك علاقة بين إنشاء الوقف، وإنشاء المساجد الذي كان له دوراً فعالاً في المحافظة على التراث العمراني الكبير في البوسنة.

## المصادر والمراجع:

- (1) البلقان Balkan شبه جزيرة جبلية جنوبي شرق أوروبا يدخل فيها عدة كيانات مثل البانيا، واليونان، جنوب شرق رومانيا، بلغاريا، تركيا الأوربية وغيرها، محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة: 1380هـ / 1960 م، ص 399، 400.
- (2) منطقة تقع على الساحل الشرقي من البحر الأدرياتيكي تقع معظمها في كرواتيا الحديثة .
- (3) محمد الخانجي: الجوهر الأنسي في تراجم علماء وشعراء البوسنة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة هجر للطباعة ط1، الجيزة، 1996م، ص 10.
- (4) جمال سيد محمد: البوسنة والهرسك، دار سعاد الصباح ط1، الكويت، 1992م، ص 11.
- (5) سنان باشا: كبير المعماريين في البلاط العثماني فيما بين 945هـ-996هـ/1588-1538م، والذي شيد حوالي 477 منشأة عمرانية في الأناضول وأوروبا العثمانية، وبعض الأقطار العربية، انظر خالد عزب: العمارة الإسلامية من الصين إلى الأندلس، ط1، دار الصدى، دبي، 2001م، ص 55.
- (6) محمد حمزة الحداد: العمارة الإسلامية من الصين إلى الأندلس، ط1، دار الصدى، دبي، 201م، ص 9-10.
- (7) كمال سوكتيش: فن العمارة الإسلامية في منطقة البلقان والبوسنة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، ط1، مقر الإيسيكو، 1424هـ/2003م، ص 7.
- (8) المرجع نفسه، ص 47، 48.
- (9) المرجع نفسه، ص 55.
- (10) محمد حمزة الحداد: مرجع سابق، ص 165.
- (11) صفوت سيد أحمد حسين: البوسنة الهرسك من الفتح العثماني حتى مؤتمر برلين 1463هـ/1878م رسالة ماجستير في التاريخ جامعة طنطا مصر 1999م، غير منشورة، ص 279.
- (12) محمد حمزة الحداد: مرجع سابق، ص 167.
- (13) سورة التوبة: الآية <sup>(18)</sup>
- (14) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، رقم الحديث 450، ابن حجر، فتح الباري، 1/716.
- (15) خالد عزب: العمارة الإسلامية من الصين إلى الأندلس، ط1، دار الصدى، دبي، 2001م، ص 20.
- (16) كمال سوكتيش: مرجع سابق، ص 55.
- (17) صالح أحمد صالح: الثقافة الإسلامية والعربية في البوسنة والهرسك من سنة 869-1295 / 1463-1878م، المركز الإسلامي، ط1، موستار، 1435/2014م، ص 132.
- (18) Mustafa imamoric historija bosnjaka prepord izdavavacko 1997, Sarajevo: p177
- (19) صالح أحمد صالح: مرجع سابق، ص 133.
- (20) Mustafa imamoric historija bosnjaka: p107

- (21) عثمان سميلوفتش: واقع الثقافة الإسلامية والتحديات التي تواجهها في البوسنة والهرسك، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، 1432/1433 هـ، ص 113
- (22) أحمد ابو زيد: سرايفو عقب الحضارة الإسلامية في قلب أوروبا، المجلة العربية شهرية، العدد 447، ربيع الآخر، الرياض، 1435 هـ / 2014 م ص 90.
- (23) كمال سوكتيش: مرجع سابق، ص 56.
- (24) المرجع نفسه، ص 57.
- (25) المرجع نفسه، ص 73، 74.
- (26) نیاز محمد شكريش: مرجع سابق، ص 181.
- (27) كمال سوكتيش: مرجع سابق، ص 105- 107.
- (28) عبد العزيز محمد المنشاوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، جامعة القاهرة، ط 1، القاهرة، 1980 م، ص 54.
- (29) قاسم دوبراتشا: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية، ج 1، سرايفو، 1963، ص 8.
- (30) عاكف اسكندروفيتش: الدعوة والدعاة في يوغسلافيا مطبعة آموس قراف، ط 1، سرايفو، 1430 هـ / 2009 م، ص 153.
- (31) 31- صالح أحمد صالح: مرجع سابق، ص 135، 134.
- (32) المرجع نفسه، ص 137، 136.
- (33) فرهاد باشا سوقولوفيتش: هو أول أمير أمراء (بكلربك) في البوسنة فهو من أسرة سوقولوفيتش التي أعطت للدولة العثمانية عدداً من الشخصيات البارزة ولد في مدينة رودو (Rudo) قرب ويشغراد (Visegrad)، وكان له سمعة حسنة في بلاط السلطان مراد الثالث (982-999 هـ / 1574-1590)، وأصبح سوقولوفيتش والياً على البوسنة سنة 982 هـ / 1574 م، وعين بوظيفة بكلربك سنة 988 هـ / 1580 م .
- (34) صالح أحمد صالح: مرجع سابق، ص 137، 138.
- (35) أحمد أبو زيد: مرجع سابق، ص 88-93.
- (36) محمد ناصر العبودي: يوغسلافيا في ذاكرة الماضي، مجلة المنهل، ع 509، مج 55، جماد الأولى، 1414 هـ أكتوبر - نوفمبر 1993 م، ص 60-73.
- (37) محمد بشار الرفاعي: مرجع سابق، ص 72، 73.
- (38) المرجع نفسه، ص 126، 128.
- (39) المرجع نفسه، ص 75.
- (40) المرجع نفسه، ص 100-105.
- (41) المرجع نفسه، ص 84، 85.

- (42) المرجع نفسه، ص 114-117، 123-125.
- (43) المرجع نفسه، ص 147.
- (44) المرجع نفسه، ص 90-94.
- (45) -45 المرجع نفسه، ص 95، 96.
- (46) المرجع نفسه، ص 98.
- (47) المرجع نفسه، ص 155.
- (48) المرجع نفسه، ص 134.
- (49) المرجع نفسه، ص 107-113.
- (50) المرجع نفسه، ص 146.
- (51) سعيد عمر آل عمر: المدن الإسلامية في أفق الحضارة الإسلامية، ط 1، مكتبة المتنبي، الدمام، 1431/2010م، ص 245.

### الملاحق



خريطة البوسنة رقم: (1) المجتمع مجلة المسلمين في أنحاء العالم / <https://mugtama.com>



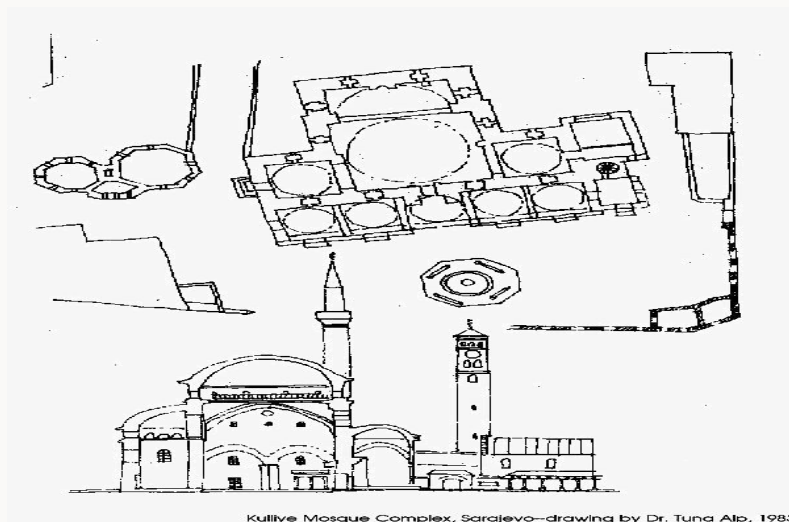
. صورة مسجد بيني في ترافنيك رقم: (1) صور للباحث من الرحلة العلمية للبوسنة 1436هـ



صورة مسجد علي باشا في سرايفو رقم: (2) صور للباحث من الرحلة العلمية للبوسنة 1436هـ.



صورة مسجد الغازي خسرو بك في سرايفو رقم: (3) محمد بشار الرفاعي: دراسة مقارنة بين جامعي الخسروفيه حلب وسوريا والخسروفيه سرايفو والبوسنة والهرسك، ناشري للنشر الإلكتروني، صفر 1435هـ، ديسمبر 2013م، ص 10.



صورة هندسية لمسجد الغازي خسرو بك الإنشائية رقم: (4) المرجع نفسه، ص 70.



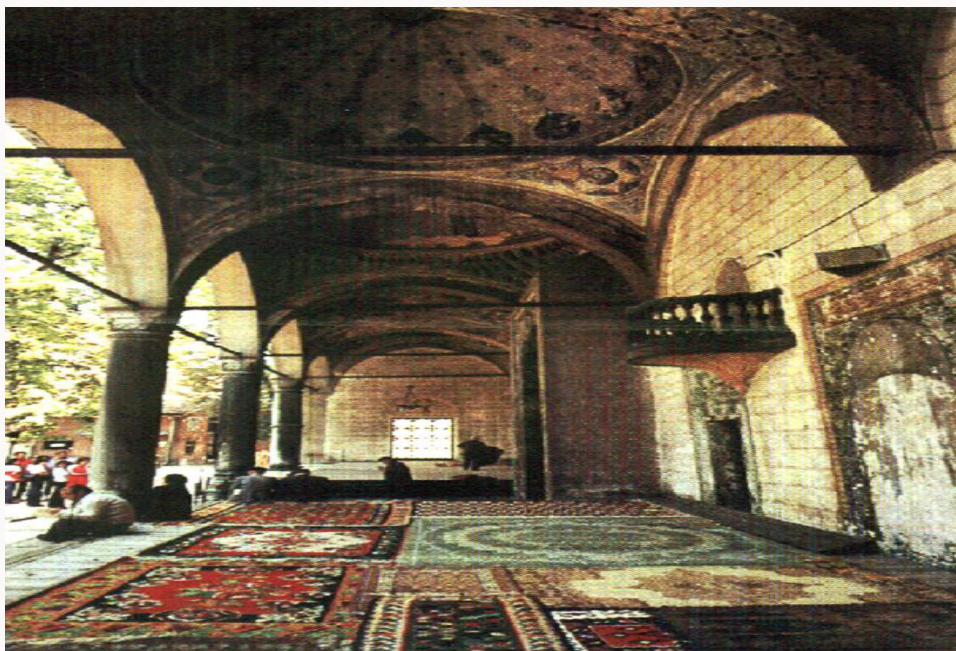
صورة من الباب الخشبي رقم: (5) المرجع نفسه، ص 128.



صورة من الشرفة المأذنة رقم: (6) المرجع نفسه، ص 126.



صورة من الرواق الخارجي رقم: (7) المرجع نفسه، ص 59.



صورة من القباب الصغيرة على الرواق رقم: (8) المرجع نفسه، ص110.



صورة من السور الخارجي رقم: (9) المرجع نفسه، ص78.



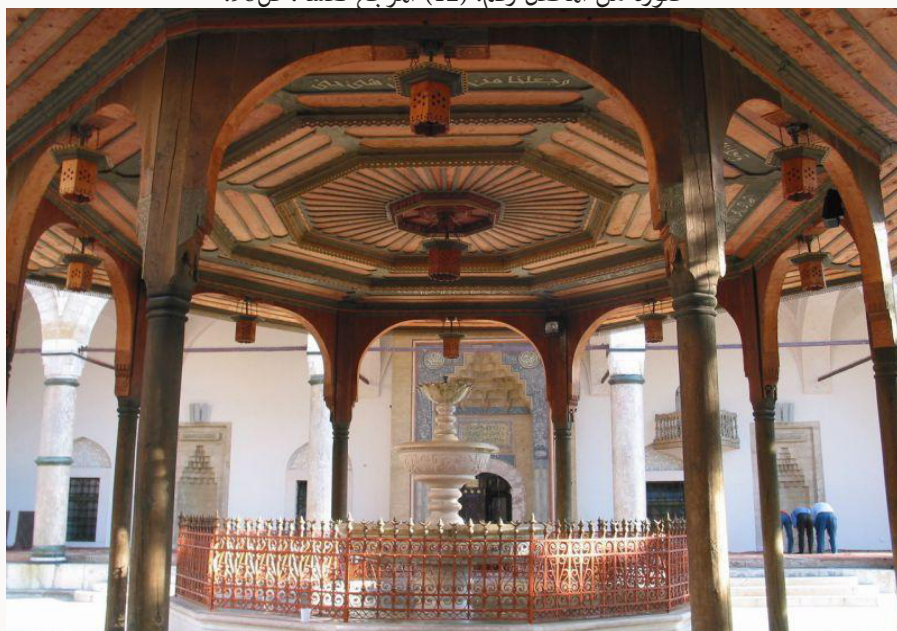
صورة من الموضنة والمنصة الحجرية للأذان رقم: (10) المرجع نفسه، ص134. ص89.



صورة من المحراب رقم: (11) المرجع نفسه، ص55



صورة من المحقل رقم: (12) المرجع نفسه، ص 98.



صورة من الشاذروان رقم: (13) المرجع نفسه، ص 138.



صورة من مدخل الصلاة رقم: (14) المرجع نفسه، ص112.



صورة من سبيل الماء رقم: (15) المرجع نفسه، ص29.

## الخروج على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الأسباب والنتائج (23 - 35هـ/644-656م)

أ.مشارك - كلية التربية - جامعة القضايف

د. عبد المنعم يوسف عبد الحفيظ الزبير

### المستخلص :

تناولت هذه الورقة الخروج على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أسبابه ونتائجه (23هـ-35هـ/644م-656م) وهدفت الورقة للتعرف على شخصية سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ومناقبه، و الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا الخروج، معرفة حقيقة الخوارج وأهدافهم. اتبعت الورقة المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي، وتوصلت الورقة لمجموعة نتائج منها، أن الخروج في حد ذاته مقصود به سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ولكن قُدر أن يتزامن مع خلافته، إن الذين خرجوا على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لم يكونوا من أهل المدينة المنورة، حادثة الإسلام في نفوس أهل الأمصار وكان الدافع الكبير في خروجهم على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

Exodus to our master Othman bin Affan (may God be pleased with him), causes and consequences (23AH-35AH / 644AD-656AD)

Dr. Abdel Moneim Yousif Abdel-Hafeez Al-Zubair

Associate Professor –Faculty of Education - University of Gadarif  
Abstract :

This paper dealt with the departure from our master Osman bin Affan (may God be pleased with him), its causes and consequences (23 AH-35AH / 644AD-656AD). The paper aimed to identify the character of our master Othman bin Affan (may God be pleased with him), and his merits, and to identify the real reasons Which led to this exit, knowledge of the reality of the Kharijites and their goals, the paper followed the historical, descriptive and analytical method, and the paper reached a set of results, including that the exit in a subjective limit is intended by our master Othman bin Affan (may God be pleased with him), but it was destined to coincide with His succession, that those who went out

against our master Othman bin Affan (may God be pleased with him) were not from the people of Medina, the modernity of Islam in the hearts of the people of the regions and the great motivation in their departure from our master Othman bin Affan (may God be pleased with him)

## المقدمة :

آلت الخلافة لسيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد استشهاد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وذلك عندما طُلب منه تعيين من يخلفه، فقال : لا أجد غير الست الذين توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو راضٍ عنهم وسمى عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن عوام وسعد أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنهم) جميعاً، وتمت البيعة لسيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من بين الست.

## شخصية سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي<sup>(1)</sup> بن غالب، أمه أروى بنت كريب بن ربيعة، كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو فلما أسلم كني بأبي عبد الله وهو ابنه من السيدة رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أسلم قبل دخول الرسول (ﷺ) دار الأرقم، وهاجر الهجرة الأولى من مكة إلى أرض الحبشة عندما اشتد عذاب المشركين بهم فدعاهم الرسول (ﷺ) إلى الذهاب إلى نجاشي الحبشة، آخى الرسول (ﷺ) بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، سمي بذئ النورين وذلك لزواجه من ابنتي رسول الله (ﷺ) رقية (رضي الله عنها) ولما توفيت تزوج بأُم كلثوم (رضي الله عنها)، وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لو كان عندي ثالثة لزوجتها لعثمان)<sup>(2)</sup>.

ومن مناقبه (رضي الله عنه) أنه جهز جيش العسرة<sup>(3)</sup> حين نادى الرسول (ﷺ) لتجهيزه فقال عثمان (رضي الله عنه): عليّ مائة بأحلاسها وأقتابها، - يعني مائة بعير - ثم حث الرسول (ﷺ) مرة أخرى فقال عثمان (رضي الله عنه): عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فقال عبد الرحمن بن خباب السلمي: (رأيت النبي (ﷺ) يقول بيده يحركها: ما على عثمان ما عمل بعد هذا) - أي ما على عثمان إثم بعد اليوم (4) .

وذكر ابن سعد أنه لما أسلم عثمان (رضي الله عنه) أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه في رباط وقال له: ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أدعك أبداً حتى تدع ما أنت عليه، فقال عثمان (رضي الله عنه): والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه<sup>(5)</sup>.

## بيعة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

طلب المسلمون من سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يوصي ويستخلف من بعده، فقال: (ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ: فسمى علي وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن (رضي الله عنهم) <sup>(6)</sup> وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء فإن أصابت إلا مرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم من أمر فإني لم أعزله عجزاً أو خيانة، ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل عن محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم درء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أهل العرب ومادة الإسلام وعليه أن يأخذ حواشي أموالهم ويردها على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله (ﷺ) وأن يوفى لهم ويقاوتل من ورائهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم <sup>(7)</sup>.

فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء النفر فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن بن عوف: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه - ينظر أفضلهم - سكت الشيخان عثمان وعلي، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو من فضلكم، قالوا: نعم. فأخذ بيد أحدهما وقال: لك قرابة من رسول الله (ﷺ) والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: أرفع يدك يا عثمان فبايعه ثم بايع علي وولج أهل الدار فبايعوه <sup>(8)</sup>.

وكان ذلك يوم الإثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وقيل ببيع عثمان عام الرعاف وخرج عثمان وصلى بالناس ووفد أهل الأمصار للبيعة وكان أول من فعل ذلك <sup>(9)</sup>.

## الخروج على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

يرى ابن خلدون أن اتساع الدولة والملك واحتكاك المسلمين بالأمصار والابتعاد عن المدينة المنورة كان وراء تغير نفسية المسلمين بصورة واضحة مما دفعهم إلى الخروج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ولم يكن المقصود (رضي الله عنه) لذاته بل وافق ذلك لخلافته ويقول أيضاً: (لما استكمل الفتح واستكمل للملة الملك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان المختصون بصحبة رسول الله (ﷺ) والافتداء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم) <sup>(10)</sup>.

أما سائر العرب من بني بكر وبني وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان، إلا قليلاً منهم وكان لهم في الفتوحات

قدم فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاً وهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كان فيهم من الذهول والدهشة لأمر النبوة وتردد الوحي وتنزل الملائكة، لما انحسر العباب ونسي الحال بعض الشيء وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنقض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم فألقت نفوسهم منه ووافق أيام عثمان (رضي الله عنه) فكانوا يظهر الطعن في ولاته بالأمصار والمؤاخذه لهم باللحظات والاستبطاء عليهم في الطاعات والتجني عليهم و سؤال بالاستبدال منهم والعزل ويقضون في النكير على عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وتنادوا بالظلم والشكوى من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة (رضي الله عنهم) بالمدينة فارتابوا لها وأفاضوا وطالبوا بعزل سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وحمله على عزل أمرائه وبعث (رضي الله عنه) إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر فأرسل (رضي الله عنه) محمد بن سلمي إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه فرجعوا إليه وقالوا ما أنكرنا شيئاً، ولكن عمار بن ياسر لم يرجع من مصر إذ استماله بعض الأشرار فيها<sup>(11)</sup>.

وهنا أمران مهمان يجب الوقوف عندهما أما الأول هو حرص سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على الوقوف على حقيقة أمر أمرائه في الأمصار والتحقق ما وصله من ادعاءات ضدهم، وأما الثاني فهو ثبوت أن الادعاءات باطلة ولا أساس لها من الصحة.

أما ما سيق حول أن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أخذ بطانة من أقاربه يركن إليها ويعتمد عليها سيما مروان بن الحكم وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية<sup>(12)</sup>، وكانت فلسفة سيدنا عثمان (رضي الله عنه) في ذلك الميل إليهم لثقتهم فيهم ولأمنه جانبهم ولامتثالهم إلى مساعدتهم، ثم أن كفاءة من اعتمد عليهم لا ينكرها أحد وكذلك مكانة بني أمية بين العرب ليست موضع شك، لكل ذلك ولاهم عثمان (رضي الله عنه) واستكثر منهم، فالكوفة كانت للمغيرة بن شعبة فنقلها إلى سعيد بن العاص وكانت حمص إلى عمير بن سعد فضمها إلى معاوية ودمشق ومصر كانت لعمر بن العاص فنقلت إلى عبد الله بن أبي السرح أخ عثمان (رضي الله عنه) من الرضاة وهكذا .....، على أن هؤلاء الولاة لم يكونوا كولاة عمر (رضي الله عنه) الذين كانوا يخشونه خصوصاً من كان منهم من بني أمية، فلم يعودوا يخشون عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كما أن مروان بن الحكم أخذ عثمان (رضي الله عنه) مستشاراً له وميزه وأعطاه خاتمه<sup>(13)</sup>.

وردت قصة عبد الله بن سبأ<sup>(14)</sup> والذي كان يحرض الناس ضد سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وهو يعرف بابن السوداء يهودياً من أهل صنعاء هاجر أيام عثمان (رضي الله عنه) فلم يحسن إسلامه وأخرج من البصرة والتحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه منها فلحق بمصر وكان يكتر الطعن في عثمان (رضي الله عنه)، ويدعو في السر لأهل البيت ويقول إن محمداً يرجع كما عيسى (عليه السلام) وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة وأيضاً ادعى أن علياً وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث لم ينجز وصيته وأن عثمان (رضي الله عنه) أخذ الأمر بغير حق (حسب ادعائه)<sup>(15)</sup> وكان يحرض

الناس على القيام في ذلك الطعن على الأمراء فاستحل الناس ذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم البعض وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشير وأقنعوا عمار بن ياسر بعدم السير إلى المدينة ليعاون عثمان (رضي الله عنه) بالخبر الصحيح الذي وصل إلى المدينة عن ظلم عماله في الأمصار<sup>(16)</sup> وبهذا يكون قد لعب ابن سبأ اليهودي دوراً كبيراً في الخروج والتحريض على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وحاول ابن سبأ الاستفادة من بعض الشخصيات التي كان لها موقف مسبق مع عثمان (رضي الله عنه) فكان يكتب بالبصرة مثلاً حمران بن أبان<sup>(17)</sup>، ولما ذكره ابن خلدون يبدو أن ابن سبأ أن صحت روايته وجد الأرض الخصبة للقيام بهذا التحريض ضد سيدنا عثمان (رضي الله عنه).

وكان مما أنكره على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أيضاً إخراج أبي ذر الغفاري<sup>(18)</sup> من الشام ومن المدينة إلى الربذة<sup>(19)</sup> وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر الغفاري وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ويأخذ بالظاهر في ذم الادخار<sup>(20)</sup>.

وتحدث أبو ذر مع معاوية حول حال المسلمين فشكاه معاوية إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فاستقدمه (رضي الله عنه) إلى المدينة وقال له: ما لأهل الشام يشكون منك فأخبره، فقال: يا أبا ذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما علي أن أقضي بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد فقال: أبو ذر: لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للريان والإخوان ويصلوا القرابة، فقال له كعب الأحبار: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبو ذر فشجه وقال يا ابن اليهودية ما أنت وهذا، فاستوهب عثمان من كعب شجته فوهبه ثم استأذن أبو ذر عثمان (رضي الله عنه) في الخروج إلى الربذة حسب وصية الرسول (ﷺ) له ونزل بالربذة وبني فيها مسجداً وأعطاه عثمان إبل ومملوكين وأجرى عليه رزقاً وكان يتعاهد المدينة<sup>(21)</sup>.

وظل أبو ذر بالربذة حتى مات في ذي الحجة 32هـ ولم يكن معه امرأته وأولاده وقدم عليهم عبد الله بن مسعود في نفر من الصحابة وكانوا بالعراق فغسلوه ودفنوه وجمع عثمان (رضي الله عنه) أهله إلى أهله<sup>(22)</sup>.

اعتبر بعض المسلمين ممن خرج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) خروج أبو ذر من المدينة تقصيراً من الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وخروج أبي ذر من المدينة كان باختياره، أورد البخاري عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أني بأبي ذر، قلت: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام واختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(23)</sup> قال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم، وكان بينه وبينني ذاك فذكروا ذلك لعثمان (رضي الله عنه) يشكون إليه فكتب إلى عثمان (رضي الله عنه) أن أقدم إلى المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان (رضي الله عنه) فقال: إن شئت تنحيت فكنت غريباً، فذلك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت<sup>(24)</sup>، وروى ابن الجوزي عن ابن سيرين قال: قدم أبو ذر المدينة فقال لعثمان (رضي الله عنه): كن عندي فقال أبو ذر: لا حاجة لي في دنياكم ائذن

لي أخرج إلى الربذة فأذن له بذلك<sup>(25)</sup>، وبذلك يتضح أن خروج أبي ذر لم يكن نفيًا له من المدينة ولكنه كان باختياره وطوعه وهذا لا يعتبر تقصيرًا من الخليفة عثمان (رضي الله عنه).

وأيضاً أخذوا عليه إعطاء مروان خمس مغانم أفريقية والصحيح أنه اشتراه بخمس مائة ألف، ومما يزيدوا عليه أيضاً زيادة النداء الثالث على الزوراء<sup>(26)</sup> يوم الجمعة وإتمام الصلاة في منى وعرفة مع أن الأمر في حياة الرسول (ﷺ) والشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) كان على القصر. فسأله عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) واحتج عليه بذلك فقال له: بلغني أن بعض حاج اليمن والجفافة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتي وقد اتخذت بمكة أهلاً ولي بالطائف مال فلم يقبل ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: زوجتك بمكة ومالك بالطائف على أكثر من مسافة القصر وأما حاج اليمن فقد شهدوا ذلك مع رسول الله (ﷺ) والشيخين بعده<sup>(27)</sup>، وأيضاً أخذوا عليه سقوط خاتم الرسول (ﷺ) منه في بئر أريس (28). وكان لعزله للوليد بن عقبة<sup>(29)</sup> دوراً في الخروج عليه (رضي الله عنه)، وذكر المسعودي أن سبب عزله للوليد بن عقبة شربه للخمر ولإحضاره مشعوذاً يهودياً إلى المسجد، وضربه جندب بن كعب الأزد بسيفه وقتله<sup>(30)</sup>.

وعين خلفاً له سعيد بن العاص والذي أخذ الناس يحرضون عليه وعلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكتب سعيد إلى عثمان (رضي الله عنه) يخبره بأن رهطاً من أهل الكوفة قد خرجوا للفتنة فأمر عثمان بإخراجهم إلى معاوية (رضي الله عنه)، وأثبت معاوية أنهم خرجوا للفتنة وكتب عثمان (رضي الله عنه) بذلك فخرجوا من معاوية قادمين إلى الجزيرة ومروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فوبخهم حتى أخافهم وقالوا له تبنا إلى الله وبقي معه الأشر وخرجوا إلى معاوية ثم إلى سعيد فأطلقوا ألسنتهم فضاق بهم سعيد فكتب فيهم عثمان (رضي الله عنه)<sup>(31)</sup>.

لما اشتدت الإشاعات وتفشت المقالات بالطعن والإرجاف على الأمراء اعتزم سعيد بن العاص على الوفاة على عثمان (رضي الله عنه) سنة أربعة وثلاثين من الهجرة وكان من قبل قد ولي أمراء على أذربيجان والري وهمدان وأصهبان والبابا وغيرها من الجهات ثم استخلف على الكوفة عمرو بن حريث فأظهر الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد بن قيس يريد خلع عثمان (رضي الله عنه) فبادره القعقاع بن عمر الذي عين على الحرب من قبل سعيد بن العاص فقال إنما نستعفي من سعيد وكتب يزيد إلى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص في القدوم إليه فساروا لذلك<sup>(32)</sup>.

وخرج الرهط من الكوفة بعد سماعهم مقولة الأشر وقطعوا الطريق على عمرو بن العاص وردوه إلى عثمان (رضي الله عنه) وأخبره أن القوم يختارون أبا موسى الأشعري<sup>(33)</sup> فولاه عثمان (رضي الله عنه) عليهم وكتب لهم بذلك<sup>(34)</sup>، وخاطب أبو موسى الأشعري أهل الكوفة بلزوم الجماعة وطاعة عثمان (رضي الله عنه) ففعلوا<sup>(35)</sup>.

ولكن سرعان ما أوقدت نار الفتنة مرة أخرى وعزم الرهط على عزل عثمان (رضي الله عنه).

أجمعوا أمرهم على عامر بن عبد القيس الزاهد وحضر عثمان (رضي الله عنه) وأبلغه أنه ارتكب جرماً عظيماً ويجب أن يتوب إلى الله، وبعد أن سمع منه عثمان (رضي الله عنه) أرسل في طلب معاوية وعبد الله بن أبي السرح وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص (رضي الله عنهم) فجمعهم وشاورهم في الأمر فممنهم من أشار إليه باسترضاء الناس ومنهم من أشار إليه بشغلهم بالجهاد ومنهم من أشار إليه بترك أمرهم إلى أمرائهم<sup>(36)</sup> ولما كثر الطعن في عثمان (رضي الله عنه) وعماله اجتمع الناس بعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكلموه في أمر عثمان (رضي الله عنه) وذكروه بأمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكلّمه علي (رضي الله عنه) وذكر له ما كان من أمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فخرج عثمان (رضي الله عنه) وتحدث للناس وذكرهم بأن القوم قد تجرأوا عليه لرفقه و لينه<sup>(37)</sup>.

ونلاحظ أن الذين خرجوا على عثمان (رضي الله عنه) كانوا على مراتب، فيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا في إنكارها الموبقات، وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لهم في الإسلام سابقة فحسدوا أهل السابقة من قريش وفتوحهم فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد وفيهم المتضررون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم وأضغنوا في قلوبهم الإحنة والغل لأجلها وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف قلوبهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان (رضي الله عنه) ومعروفه نحوه فكفر معروفة عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرياسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه ومنهم من أصابهم شيء من عثمان (رضي الله عنه) بسبب تعزيره لهم لبوادر بدرت منهم مخالفة أدب الإسلام فأغضبهم التعزير الشرعي منه ولو أنهم نالوا من عمر (رضي الله عنه) أشد منه لرضوا به طائعين، وفيهم المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها اغتراراً بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تعززها الحكمة فثاروا متعجلين بالأمر قبل أوانه<sup>(38)</sup>.

وبالإجمال فإن الرحمة التي جبل عليها سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وامتلاً بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ورأوا أن يتخذوا منها مطية لأهوائهم وقد سمعوا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها فوعظوا وزجروا وأقاموا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وتوعدهم حتى تابوا فأرسل بهم إلى عثمان (رضي الله عنه) فتابوا وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد فأرسلهم، فلما سار كل إلى ما اختار أنشئوا الفتنة وألبوا الجماعة وجاءوا إليه بجملتهم<sup>(39)</sup>، ولما استفحل أمر الأمصار ووصل إلى الصحابة كاتب عثمان (رضي الله عنه) أهل الأمصار بأنه قد رفع إليه أهل المدينة أن عماله قد أوقعوا أضراراً بالناس فمن كان له حق علينا فليأتنا ليأخذ حقه منا: (أما بعد، فمن ادعى شيئاً من ذلك فليوافي الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين) (40) ثم أرسل في طلب عبد الله بن عامر وابن أبي السرة ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم) (41) فقدموا إليه فأدخل معهم سعيد بن العاص وعمرو بن العاص (رضي الله عنهم) (42) وسألهم عن الأمر خشية أن يكون حقيقة فقالوا له إن الأمر يرجع إليك وقد أتتك رسلك بالخبر اليقين ولما اختلفوا في

الرأي عنده أيقن عثمان (رضي الله عنه) أن الأمر كائن ثم تحدث (رضي الله عنه) عن أن الناس يتحدثون عن آل بيته وأنه قربهم إليه فقال لهم إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوصى بذي القربى وإنهم إن يرفضوا ذلك يأخذ منهم فقالوا له أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً ومئاة خمسة عشر ألفاً فقال نأخذ منهم ذلك فرضي الناس (43).

ثم طلب معاوية أن يذهب معه إلى الشام حتى لا يؤتى على حين غرة أو يرسل له جنوداً لحراسته فرفض عثمان (رضي الله عنه) ذلك وقال لا ابتغ غير جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً وحسبي الله ونعم الوكيل (44). ووصى سيدنا معاوية سيدنا علياً (رضي الله عنه) وطلحة والزبير (رضي الله عنهما) عنهم جميعاً، فقال: (إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبن عليه حتى بعث الله نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وكانوا يتفاضلون بالسابقة والاجتهاد فإن أخذوا بذلك الأمر أمرهم فالناس لهم تبع وإن طلبوا الدنيا بالتغالل سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم وأن لله على البذل لقادر، وأنا قد خلفت فيكم شيئاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه، تكونوا أسعد منه بذلك (45)، وتكاتب الخارجون على عثمان (رضي الله عنه) بعد أن فشل مخططهم بالثورة عند الأمراء بالمدينة فكاتب الرهط في المدينة أهل الأمصار أن هلموا إلينا للجهاد عندنا (46) فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في ستمائة وقليل في ألف وفيهم كنانة بن بشير التجيبي وسودان بن حمران السكوني وعروة بن شيم الليثي وغيرهم وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح بن عباد وبشير بن سريح العيسى وابن المرسى وعليهم مرقوس بن زهير السعدي وكلهم في مثل عدد أهل مصر وخرجوا جميعاً في شوال من عام 35 هـ مظهريين للحج ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل وتقدم من أهل البصرة جماعة فنزلوا ذا خشب وكانوا يريدون طلحة ونزل من أهل الكوفة الأعوص ونزل معهم من أهل مصر وكانوا يريدون الزبير وعلي وتركو عامتهم بذي المروة (47)

ويتضح من هذا أنه أصبح في المدينة فريقان، فريق مع سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وهم كبار الصحابة (رضي الله عنهم) وهذا بالطبع يؤكد سلامة موقف سيدنا عثمان (رضي الله عنه) لأن أهل المدينة هم أهل السابقة في الإسلام وهم الذين شهدوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الغزوان وحملوا معه لواء الدعوة ونصروا من بعده الشيخين أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، واما الفريق الآخر كان فيه من تجرأ على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ووقف ضده وهم الخارجون عليه.

كاتب عثمان الولاة والأمراء في الأمصار وأطلعهم على حقيقة الخوارج، فأرسل معاوية حبيب بن مسلمة الفهرسي وبعث عبد الله بن أبي السرح معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وتسابقوا إلى المدينة قام بالكوفة رهط يدعون على إعانة أهل المدينة وكذلك بالبصرة ومصر والشام (48).

وخرج عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على الخوارج الوافدين إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخطب فيهم من على منبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمسجده، وأوضح لهم أنهم ملعونون على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأهل المدينة أعلم بذلك وأمرهم أن يرجعوا عن ذلك ودار شيء من الجدل انتهى

بإخراج الناس من المسجد وسقط عثمان (رضي الله عنه)، مغشياً عليه فحمل وأدخل داره وكان المصريون لا يأملون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا ثلاثة نفر فإنهم كانوا يراسلونهم وهم محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومحمد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر (رضي الله عنه)، وأصيب عثمان بالحصبة وعاده علي وطلحة والزبير (رضي الله عنهم) وكان معه نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم، فقام وتحدث مع علي (رضي الله عنه) عن هذا الأمر وقال إننا لن ندع هذا الحق ولن نقبل فخرجوا منه وهم غاضبون<sup>(49)</sup>.

وصلى عثمان (رضي الله عنه) بالناس ثلاثين يوماً ثم منع من ذلك وصلى بالناس أمير مصر الغافقي بن حرب<sup>(50)</sup>، وفي هذا التصرف تجرؤوا على مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعلى صحابته (رضوان الله عليهم)، حيث أعطى الخوارج أنفسهم الحق في تعيين من يصلي على منبر. ركب علي (رضي الله عنه) في ثلاثين من المهاجرين والأنصار وأتوا المصريين وتولى الكلام علي (رضي الله عنه) ومحمد بن مسلم فرجعوا إلى مصر بعد أن أوضحوا لهم أن عثمان (رضي الله عنه) ما ذهبوا إليه غير صحيح، وأخبر علي عثمان (رضي الله عنهما) برجوع المصريين فطلب عثمان (رضي الله عنه) من مروان أن يخبر الناس برجوع المصريين<sup>(51)</sup> ولكن المصريين بعد أن رجعوا إلى عسكرهم هجموا على المدينة وحاصروا سيدنا عثمان (رضي الله عنه)، لزم الناس بيوتهم وسأل علي (رضي الله عنه) الخارجين على سيدنا عثمان (رضي الله عنه)، ما ردكم علينا بعد أن رجعتكم فقالوا إنا وجدنا كتاباً<sup>(52)</sup> يريد فيه قتلنا وقال البصريون والكوفيون بأمر الكتاب، أن هذا الأمر حيك بليل، فقالوا اجعلوه كيف شئتم فلا حاجة لنا بصاحبكم<sup>(53)</sup>.

يرى الدكتور طه حسين أن قصة الكتاب غير صحيحة وإنما أراد الثوار تبرير عودتهم إلى المدينة مرة أخرى لأنهم لم يحضروا من مصر وحدها بل من البصرة والكوفة علماً بأن الكتاب كان موجهاً لأمر مصر كما زعم الثوار، فكأنما كان للخارجين أعوان داخل المدينة أخبروهم بهدوء الحال فيها وانفضاض الناس من حول الخليفة عثمان (رضي الله عنه)<sup>(54)</sup>، زعم هؤلاء البغاة أنهم تلقوا مكاتبات من علي (رضي الله عنه) وطلحة والزبير (رضي الله عنهما) يدعونهم فيها للثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بدعوة أنه غير سنة الله<sup>(55)</sup> وهذا بالطبع ادعاء باطل لأن كبار الصحابة (رضي الله عنهم) رفضوا مجيء الثوار إليهم بل وزجروهم، والسؤال المهم من الذي كتب هذا الكتاب فالخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ليس من خلقه أن يكتب مثل هذا الكتاب الذي ادعاه الخارجون عن أمره ولأنه ليس من شيمته إراقة الدماء حتى من الذين عصوه وتآمروا عليه، ولذلك يكون كتبه أحد اثنين إما نفر من زعماء الخوارج وإما مروان بن الحكم وليس غريباً على الخارجين المتآمرين على سيدنا علي (رضي الله عنه) أن يفعلوا مثل هذا الفعل، وإن لم يكونوا فهو مروان<sup>(56)</sup> وليس بعيداً عليه أيضاً لأنه كان حريصاً على بقاء سيدنا عثمان (رضي الله عنه) في الخلافة وهو الذي أشار إلى سيدنا عثمان (رضي الله عنه) بأن يحدث الناس وخطب فيهم بما أشار إليه مروان بأن ما بلغهم باطل فقام الناس وقالوا اتق الله وتب إليه وكان أولهم عمرو بن العاص ورفع عثمان (رضي الله عنه) ورفع يده وتاب إلى الله، وقيل أن علي (رضي الله عنه) أشار إلى عثمان (رضي الله عنه)

أن يسمع الناس ما اعتزم عليه قبل أن يجيء غيرهم ففعل واستغفر وتاب وبكى وبكى الناس معه، وعندما رجع إلى منزله اجتمع نفرٌ من بني أمية وعابوا عليه ذلك فوبختهم نائلة زوج عثمان (رضي الله عنه)، واعتزم القوم الذين نزلوا بذئ خشب قتل عثمان (رضي الله عنه) وأتى رسولهم إلى علي (رضي الله عنه) ليلاً وإلى طلحة وإلى عمار بن ياسر (رضي الله عنهما) وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم كتاباً إلى علي (رضي الله عنه) فجاءوا به إليه (رضي الله عنه) ليعلم ما فيه، وكان الناس قد اجتمعوا بباب عثمان (رضي الله عنه) وقد أردفوا من الزحام فطلب (رضي الله عنه) من مروان أن يكلمهم فأغلظ عليهم وقال لهم: إنا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا (يعني الإمارة والحكم)، فبلغ ذلك علياً (رضي الله عنه) فأنكر ذلك، وسأل (رضي الله عنه) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قائلاً: أسمعت خطبته بالأمس وقول مروان للناس وغلظته عليهم؟ وخرج علي (رضي الله عنه) إلى عثمان (رضي الله عنه) واستقبح مقالة مروان وعاتبه عليها، وسمعت نائلة زوجة قول علي (رضي الله عنه) فأشارت إليه باستصلاح علي فبعث إليه فلم يأتها فأتاه عثمان (رضي الله عنه) ليلاً يسترضيه فأبى (رضي الله عنه) بعد أن أطاع عثمان (رضي الله عنه) مروان بن الحكم (57).

وعندما وجه سيدنا عثمان (رضي الله عنه) بأمر الكتاب أقسم أنه لا علم له بذلك فقالوا له: كيف يتجرأ شخص يختم كتاب بخاتمك؟ فهذا يوجب خلعتك أو قتلك. وعندما قال لهم أتوب عن ذلك، قالوا رأيك تتوب وتعود (58)، وحاصر المصريون عثمان (رضي الله عنه) بعد أن خرج منه علي (رضي الله عنه) الذي أتى معهم يستوثق من حديث المصريين بشأن الكتاب الذي فيه أمر قتلهم وكتب عثمان (رضي الله عنه) إلى معاوية يستحثهم، وقام يزيد بن أسد فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان (رضي الله عنه) وبلغهم مقتله قبل وصولهم إلى المدينة، وقيل إن بطانة عثمان (رضي الله عنه) أشاروا عليه أن يبعث إلى علي (رضي الله عنه) في كف أهل مصر عنهم وجاءه علي (رضي الله عنه) وكتب لهم كتاب بأن يرد المظالم ويعزل من كرهوا من عماله ولكن مضى الأجل دون أن ينفذ عثمان (رضي الله عنه) ما جاء بالكتاب فحاصروه وقتلوه، وكان حصاره أربعين يوماً وكان (رضي الله عنه) قد أقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلا الحسن بن علي ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، وعندما سُمع خبر مقدم الجنود من الأمصار بعد حوالي ثمانية عشر يوماً من بداية حصاره شددوا في حصاره ومنعوا عنه الماء فكاتب علي طلحة والزبير وأمّهات المؤمنين وجاء علي (رضي الله عنه) ووبخهم على ذلك ولكن لم يرجعوا وجاءت كذلك أم حبيبة (رضي الله عنها) زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فردوها كذلك، فلزم طلحة والزبير بيوتهم بعدما سمعوا ما حدث لعلي (رضي الله عنه) وأم حبيبة (رضي الله عنها) زوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) (59).

وكان ابن عباس (رضي الله عنه) من الذين لزموا بيت سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فأقسم عليه أن يحج بالناس ففعل ولما علم البغاة باقتراب جنود الأمصار وانشغال الناس عنهم اعتزموا قتل عثمان (رضي الله عنه) ودافع عنه الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد أبناء العاص وقاتلوا القوم ومعهم أبناء الصحابة (رضوان الله عليهم) وصدوهم عن باب سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ولكنه منعهم عن القتال (60).

فدخلوا على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان يصلي وبعد فراغه من الصلاة أخذ

يقرأ من المصحف قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(61)</sup>. وقال لمن معه إن رسول الله (ﷺ) عهد علي عهداً وإني صابر عليه، وقُتِلَ المغيرة بن الأخنَش مدافعاً عنه (رضوان الله عليه) وجاء أبو هريرة<sup>(62)</sup> يذود عنه ولكن أقتحم منزله من ظهره من جهة دار عمر بن حزم وامتلات الدار بالبغاة وانتدب رجل لحوار عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في الخلع فأبى فخرج ودخل آخر ثم آخر وكلهم يعظه فيخرج وفارق القوم فجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان (رضي الله عنهم) وحاوره طويلاً ثم خرج ودخل السفهاء من القوم فضربوه وحاولت نائلة زوجة الدفاع عنه فانكبت عليه فضربوها بالسيف في أصابعها حتى قطعت، وقتلوه وسال دمه على المصحف الشريف وقتلوا معه بعض الغلمان الذين كانوا بالدار ونهبوه ثم ساروا إلى بيت المال فنهبوه أيضاً وكان ذلك في يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 35هـ<sup>(63)</sup>.

قُتِلَ (رضي الله عنه) مع سبق الإصرار والترصد، وجزاء القتل العمد عند الله غضبٌ ولعنةٌ وذلك في قوله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(64)</sup> ذكر اليعقوبي أن الذين تولوا قتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) هو محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن أبي حذيفة وقيل كنانة بن بشير التجيبي وعمر بن الحميق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي وسودان بن حمران، دفن وحضر دفنه حكيم بن حزام وجبير بن مطعم وحويطب بن عبد العزى وابنه عمرو (رضي الله عنه) ودفن (رضي الله عنه) بالمدينة في موضع يعرف بحُش كوكب<sup>(65)</sup>.

وصلى عليه هؤلاء الأربعة<sup>(66)</sup> وقد ذكر ابن سعد ما يضعف هذا الرأي وقال أنه صلى عليه ثم دُفِنَ، لا يوجد ما يؤكد ما ذهب إليه اليعقوبي في مسألة اشتراك محمد بن أبي بكر في قتل عثمان (رضي الله عنه) والراجح عندنا ما ذهب إليه ابن سعد في أن قتلة سيدنا عثمان (رضي الله عنه) هم كنانة بن بشير وسودان بن حمران وعمر بن الحميق<sup>(67)</sup> وأيد هذا الرأي المسعودي فقال: (أخذ محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) بلحية سيدنا عثمان (رضي الله عنه) فقال له يا محمد والله لو رآك أبوك ما قبل منك هذا، فتراخت يده وخرج عنه ودخل من قتله وصرخت امرأته وقالت: قد قُتِلَ أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين (رضي الله عنهما) ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه قد فاضت روحه الطاهرة فبكوا عليه فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعد (رضي الله عنهم) وغيرهم من المهاجرين والأنصار فاسترجع القوم ودخل علي (رضي الله عنه) الدار وهو كالوالد الحزين وقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتم بالباب؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له الزبير لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن، لو دافع عنه مروان ما قتل. وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا ولم يوجدوا، وقال علي (رضي الله عنه) لنائلة بنت الغرامضة زوج سيدنا عثمان (رضي الله عنه) من قتله وأنت كنت معه، قالت: دخل رجال وفيهم محمد بن أبي بكر وقصت

قصته إلى سيدنا علي (عليه السلام) ولم ينكر محمد بن أبي بكر ما قالت، وقال: والله لقد دخلت عليه أريد قتله، فلما خاطبني بما قال خرجت ولم أعلم بتخلف الرجال عني، والله ما كان لي في قتله سبب، ولقد قتل وأنا لا أعلم قتله (68) وبرواية نائلة يكون محمد بن أبي بكر بريء من قتله (رضي الله عنهما). ويظهر من توارد الأحداث بالمدينة المنورة أن الصحابة (رضوان الله عليهم) لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى مرحلة القتل (69) ويلاحظ أن سيدنا عثمان (عليه السلام) منع الصحابة من القتال كما رفض الذهاب إلى الشام ورفض مطالبة الخوارج له بالتخلي عن الخلافة وقال: لن أخلع قميصاً ألبسنيه الله تعالى (70) وعثمان (عليه السلام) من وجهة نظره يرى أن ما أقدم عليه صواب وبالطبع فإنه لا يوجد مسوغ للخوارج لقتله وقد وردت أحاديث كثيرة تمنع العباد من الخروج على الخليفة ناهيك عن قتله، روي عن أبي حازم أنه قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعتة يحدث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأن لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر، قالوا وما تأمرنا، قال فوا ببيعة الأول فالأول وإعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم، هذا الحديث يشير إلى ضرورة إيفاء البيعة للخلفاء وتتضمن هذه البيعة عدم الخروج عليهم، وبهذا يندرج مقتل سيدنا عثمان (عليه السلام) في باب الخروج عن طاعة ولي الأمر.

ويقول الإمام القرافي: ضبط المصالح العامة واجب ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلفت عليهم أو أهينوا تضررت المصلحة، فالله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، يجب ألا يتخذ من أخطاء السلطان ذريعةً وسبيلاً لإثارة الناس عليه وتغيير في قلوبهم عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتن بين الناس كما أن ملء القلوب على ولاة الأمور يحدث الشر والفتنة والفوضى، وألوا الأمر لهم مكانة عالية ومنزلة رفيعة وولية منحهم الشارع إياها لتتناسب قدرهم مع علو وظيفتهم ورفيع منصبهم وعظم مسؤولياتهم فإن منصبهم منصب الأمانة إنما وضع ليكون خلفاً للنبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا فإن الناس لا يسوسهم إلا قوة الإمام وحزمه فلو لم يعطه الشارع ما يناسب طبيعة عمله من فرض احترامه وتعظيمه ونحو ذلك لامتتهنه الناس ولم ينقادوا له ومن ثم يحل البلاء وتعم الفوضى وتفتت المصالح فتفسد الدنيا (71).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ربعي بن حراش قال: انطلقت إلى حذيفة بالمدائن ليلة سار الناس إلى عثمان (عليه السلام) فقال: يا ربعي ما فعل قومك؟ قلت: عن أي تسأل؟ قال: من خرج منهم إلى الرجل (يعني عثمان)؟ قال: فسميت له رجالاً فيمن خرج إليه، فقال: حذيفة سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده (72)، فاتباع الجماعة واجب نصاً في القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ ۚ فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (73) والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين في غير معصية مجمع

عليه عند أهل السنة والجماعة وهي أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء ويوجبوا هذه الطاعة حتى وإن جار ولي الأمر أو ظلم أو فجر أو فسق (74).

وذكر الإمام النووي في الحديث الذي رواه عن ابن عمر (رضي الله عنهما) (من خلع بدأ في طاعة لقي الله تعالى يوم القيامة لا حجة له، أي لا حجة له في فعله ولا عزله في ذلك) (75). قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (76). كل مل ورد يوضح أن الرأي الفقهي لا يجوز الخروج على ولي الأمر ويصبح بذلك ما سيق من أسباب لتبرير الخروج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وقتله وهذه المبررات واهية و ضعيفة .

ونلاحظ أن ما أثار غضب الخوارج تصرف مروان بن الحكم وحديثه مع الناس بغلظة وهذا بالطبع يرجح ما ذهب إليه البعض بأنه وراء تزوير الكتاب الذي وجده الخوارج مع غلام سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ودوافع مروان بن الحكم كانت سياسية بحتة إذ إنه متشبث بالسلطة ولا يريد أن يذهب أمر الخلافة بعيداً عن بني أمية، وذكر ابن الأثير أن الخروج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) بدأ بإساءة القول ثم التصرف مع الخليفة، وقال: إن أول من تجرأ على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) جبلة بن عمرو الساعدي عندما سلم عثمان (رضي الله عنه) على جماعة من بني ساعده وكان معهم جبلة فردوا السلام ولم يرد هو على عثمان (رضي الله عنه)، بل وبخ قومه فقال: أتردون على رجل فعل كذا وكذا، وعدد الاتهامات التي اتهمه بها الخوارج، وعندما كان يخطب في إحدى المرات على المنبر بعضا خطب بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) من بعده أخذها وكسرها (77) وهذه الجرأة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هي التي قادت إلى أكثر منها وأدت في نهاية الأمر إلى مقتله ونهب بيت المال بالرغم من أن الخوارج أعابوا عليه صرف المال في غير موضعه كما زعموا. وروى ابن الأثير في ذلك أن سيدنا عثمان (رضي الله عنه) أعطى بني أمية إبلاً من الصدقة قدم بها إليه فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف أخذها ووزعها على الناس ولم يعترض سيدنا عثمان (رضي الله عنه) على ذلك (78).

شكك البعض في رواية عبد الله بن سبأ والذي دارت حوله قصة تدبير الخروج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) وذكر العسكري أن ما أورده الطبري ضعيف لأن سيف بن عمر والذي اعتمد الطبري على روايته شخص غير موثوق في روايته ويرجح أن رواية غير سيف بن عمر عند الطبري هي الأصح ويقول في ذلك: (منذ ألف سنة والمؤرخون يكتبون عن ابن سبأ الأول كثيراً وينسبون إليه السبئيين أتباعه أعمالاً مدهشة وخطيرة وذكر الرواية السبئية في الخروج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) (79)، يجب أخذ رواية السيد مرتضى العسكري بحرص وحذر شديدين إذ أنه ربما كان يهدف من هذه الرواية التشكيك في مذهب ما وتصحيح مذهب آخر لكن يجب عدم تجاهل ما ذهب إليه ووضعه في الاعتبار إذ إن الرجوع لكتب

التفسير يقوي ما ذهب إليه العسكري وذلك من خلال النظر في تفسير سورة (ص) ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (\*) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ <sup>ط</sup> وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ <sup>ط</sup> وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿\*) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ <sup>ط</sup> وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ <sup>ط</sup> وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿﴾ (80) .

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات أنه في كثير من الإسرائيليات لأن ما ذكر لا يليق بمقام نبي عصمه الله تعالى (81) ، وهذا يضع تفسير الطبري في دائرة الإسرائيليات: (أن النبي داود (عليه السلام) نظر من خلال فتحة ووجد امرأة تغتسل فأراد الزواج منها وهي امرأة رجل من جنوده فأرسله إلى الجهاد) (82). وذكر الجكني الشنقيطي في تفسيره أن ما ذهب إليه الطبري في هذه الآيات لا يليق بمقام نبي الله داود (عليه السلام) (83). أما القاسمي فذكر في تفسيره أن ما ذكر عن تفسير هذه الآيات فيه الكثير من الإسرائيليات والتي تهدف إلى تشويه وإفساد العقيدة لأن ما ذكر لا يليق بمقام نبي (84) وكذلك أكد الدكتور طارق السويدان أن ما جاء في تفسير هذه الآيات غير صحيح ولا يليق بعظم مكانة النبي داود (عليه السلام) (85).

وذكر ابن الأثير أن عمرو بن العاص قال لسيدنا عثمان (رضي الله عنه): إنك لنت للناس حتى جاءوا بما جاءوا وأرى أن تشد عليهم، فقال عثمان (رضي الله عنه) لكل امرئ باب يؤتى منه وإني لأخذ الناس باللين إلا في حدود الله فإن رعى الفتنة لدائرة فطوبى لمن مات ولم يحررها (86).

من كل ما ورد يتضح أن كل ما سيغ من مسوغات للخروج على خليفة المسلمين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) واهية وغير مقبولة، ويرى البعض أن الخروج هو انعكاس لما أحدثه الإسلام من تغير واضح في الأنظمة السياسية والعقدية في العالم المحيط به (78).

## الخاتمة :

بعد التوسع الكبير الذي شهده عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، اختلط المسلمون بأمم مترفة ، دخلت مجموعات كبيرة في الإسلام لم تعاصر العهد الأول للدعوة، و الدليل على ذلك أن من خرج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه) كانوا من خارج المدينة المنورة (مصر، البصرة والكوفة) وقد ساعد على تفاقم قضية الخروج اللين الذي جُبل عليه سيدنا عثمان (رضي الله عنه) مع عدم رغبته في أخذ الناس بالقوة والشدة .

## النتائج :

- تمت البيعة لسيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من بين الست الذين تم اختيارهم بواسطة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
- لم يكن الخروج في حد ذاتية مقصودا به سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، و لكن قُدر أن يتزامن مع خلافته .
- الذين خرجوا على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لم يكونوا من أهل المدينة المنورة.
- حادثة الإسلام في نفوس أهل الأمصار و كان الدافع الكبير في خروجهم على سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه).
- دعة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) و لينه الذي جُبل عليه زاد من جرأة الخوارج عليه وعلى أهل المدينة.
- كل ما صاغة الخوارج من مبررات لخروجهم كانت ضعيفة وواهية.
- حاصر الخوارج سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في بيته أربعين يوماً.
- وقف أبناء كبار الصحابة على باب سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لحمايته من الخوارج الذين حاصروه.
- استشهد سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد أن هاجم الخوارج منزله من الجهة الخلفية.

## المصادر والمراجع :

- (1) ابن حزم الأندلسي (374هـ - 456هـ) قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب، التعليق والتقديم كامل سليمان الجبوري، الجزء الأول، منشورات المكتبة العالمية ومطبعة أوفست ، بغداد ، 1407هـ / 1971م، ص31/72.
- (2) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، ج3، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 2001م. ص39/40.
- (3) جيش العسرة هو جيش تبوك وكان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة قبل حجة الوداع، ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار الريان ، دمشق ، 1986م ، الجزء السابع، ص713/714.
- (4) ابن حجر، المصدر نفسه، ص67.
- (5) ابن سعد، مصدر سابق ، الجزء الثالث، ص39/40.
- (6) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزة بن قصي بن كلاب، هو ابن عمه رسول الله (ﷺ) وأمه صفية بنت عبد المطلب كانت كنيته (أبا الطاهر) على كنية أخيها الزبير وكُني بابنه عبد الله أسلم وعمره اثني عشرة عاماً وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لكل نبي حوارياً وحواري الزبير، أما طلحة فهو طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب أحد العشرة المبشرين بالجنة وكان سابقاً في الإسلام وأسلم على يد سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال عنه رسول الله (ﷺ) الفياض، وسعد بن أبي وقاص اسمه سعد بن مالك بن اهيب بن عبد مناف وهو أول من رمي بسهم في سبيل الله وولاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الكوفة حيث بناها وتوفي سنة 51هـ وعبد الرحمن بن عوف هو أحد المبشرين بالجنة وكان يفتي في عهد رسول الله (ﷺ) ووصفه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأنه سيد من سادات المسلمين وكان قد اعتق ثلاثين ألفاً من الرقيق، ابن حجر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ) ، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت، ج4، 2، ص 553 و555 و73+546 و246 على الترتيب.
- (7) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثاني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة، 1960-1969 ، ص575.
- (8) المصدر نفسه .
- (9) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت 282هـ، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، (دت)، (دن)، ص139.
- (10) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر

في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء الثاني، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1956-1961، ص138/139.

(11) المصدر نفسه .

(12) بن سعد، الطبقات، الجزء الخامس، ص28.

(13) جلي، محمد أحمد محمد، دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام، الخوارج و الشيعة، الطبعة الثانية، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض، 1408هـ / 1988م، ص38.

(14) عبد الله بن سبأ، اسم مركب من أربعة ألفاظ (عبد) و(الله) و(بن) و(سبأ) والألفاظ الأربعة خاصة باللغة العربية خلافاً لإبراهيم وإسماعيل من الكلمات الأعجمية التي تسمى بها العرب، إذاً فهو عربي وليس يهودي وعاش في العقد الرابع من القرن الأول الهجري وتوفي عام 170هـ وهو عبد الله بن وهب بن راثب بن مالك بن مبدعان بن مالك بن نصر بن القوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، العسكري، السيد مرتضى، دراسات في الحديث والسيرة، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، الطبعة السادسة، المجتمع العلمي الإسلامي، طهران، المجلد الأول، 1413هـ/1992م، ص33.

(15) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص532.

(16) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثاني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. -، دار المعارف، القاهرة، 1960-1969، ص614.

(17) حمران بن أبان كان قد عاقبه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بالجلد لزوجاه من امرأة قبل أن تتم عدتها فحقد عليه لهذا السبب، ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص141.

(18) هو جندب بن جنادة أسلم بمكة فكان رابع أو خامس خمسة، وهو أول من حيا الرسول صلى الله عليه وسلم) بتحية الإسلام ودعا له الرسول (صلى الله عليه وسلم)، هاجر إلى المدينة بعد الخندق ولزم الرسول (ﷺ) حضراً وسفراً وروى عنه الكثير من الأحاديث، ابن كثير، الدمشقي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ)، البداية والنهاية، الجزء السابع، دار الريان للتراث، بيروت، 1408 هجرية، ص164.

(19) الربذة: الربذة خفة القوائم في المشي وخفة الأصابع في العمل، والربذة قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، ياقوت الحموي، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله الرومي البغدادي، معجم البلدان، الجزء الثالث، دار

- صادر، بيروت، 1977 م - 1397 هـ ص24.
- (20) الطبري، مصدر سابق، ص615.
- (21) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص139.
- (22) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، ص165.
- (23) سورة التوبة الآية 34 ﴿...﴾.
- (24) البخاري، الصحيح، الجزء الثاني، ص111.
- (25) ابن الجوزي، صفوة، الجزء الأول ص596/597، خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ص80.
- (26) موضع عند سوق المدينة قرب المسجد وهو مرتفع كالمنارة، وقيل سوق المدينة نفسه، ياقوت، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص175.
- (27) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص139.
- (28) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص615.
- (29) الوليد بن عقبة هو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ الحجرات الآية (6)، فوصفه المولى عز وجل بالفاسق وذلك عندما كلفه الرسول (ﷺ) بجمع الزكاة فأخبر الرسول (ﷺ) بأنهم منعوا عنه الزكاة وعندما أرسل الرسول (ﷺ) خالداً استقبلوه وأدوا ما عليهم من زكاة ولم يحاربوا الرسول (ﷺ) (صلى الله عليه وسلم)، راجع ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، الزرقاء، مكتبة المنار، بيروت، 1410 هـ/1990 م، ص187.
- (30) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، تحقيق يوسف اسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، 1973، ص548.
- (31) ابن خلدون، التاريخ، ص141.
- (32) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص650.
- (33) هو عبد الله بن قيس جاء من اليمن عندما سمع نداء التوحيد فأسلم بين يدي الرسول (ﷺ) (صلى الله عليه وسلم)، ثم رجع إلى اليمن وقدم ومعه بضع وخمسون رجلاً دعاهم للإسلام فأسلموا كان من بينهم أخويه أبو رهم وأبو بُرد، قال عنه الرسول (ﷺ) (أبو موسى سيد الفوارس)، خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الجيل، بيروت، 1416 هـ/1996 م، ص624/626.
- (34) الطبري، التاريخ، ص650.

- (35) لطبري، المصدر نفسه .
- (36) ابن خلدون، التاريخ ، ص142/143.
- (37) ابن خلدون ، المصدر نفسه .
- (38) ابن العربي، القاضي أبي بكر، العواصم من القواصم، تحقيق مجد الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت - لبنان - 1399هـ/1979م، ص58.
- (39) المصدر نفسه.
- (40) ابن الأثير، عز الدين بن الحسن الشيباني ، الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، ص155.
- (41) معاوية بن أبي سفيان بن حرب أسلم بعد فتح مكة واستكتبه الرسول (ﷺ) ودعا له بقوله ( اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ) عينه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على الشام بعد وفاة شقيقه يزيد وكان مشكوراً في عهد عمر (رضي الله عنه) ولم يتظلم منه أحد، ابن تيمية، الفتاوى، الجزء الرابع، ص458، والجزء الخامس والثلاثون، ص64.
- (42) عمرو بن العاص أسلم مع خالد بن الوليد في العام الثامن للهجرة النبوية وكان النجاشي سبباً في إسلامه، يدعى بفتح مصر لأنه كان سبباً في فتح الطريق أمام سكان مصر وأفريقيا للدخول في الإسلام وتم له ذلك في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ص646.
- (43) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص142.
- (44) طه حسين، الفتنة الكبرى 1 (عثمان)، - دار المعارف المصرية ، القاهرة 1966، م - ص215.
- (45) ابن الأثير، الكامل، الجزء الثالث، ص158.
- (46) لم يعثر على إي مكاتبات بهذا المعنى ولم يشار إليها في المصادر التي تناولت هذا الموضوع .
- (47) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص654 .
- (48) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص154.
- (49) الطبري، التاريخ ، ص654/655، ابن الأثير، الكامل، الجزء الثالث، ص10.
- (50) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص146.
- (51) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص655.
- (52) تضاربت الآراء حول الكتاب الذي ادعى المصريون أن سيدنا عثمان قد كتبه إلى عامله في مصر لقتل الخارجين عليه فذكر ابن العربي أن نحو هذه المعاني قد ورد في الكتاب

( إذا قدم عليك فلان وفلان فأجلدهم مائة جلدة وأحلق رؤوسهم ولحياتهم ) ، ( إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فأقتلهم وأبطل كتابهم ) وفي رواية ثالثة أمر واليه في مصر بالقطع والقتل، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص 96 حاشية (5) - لم يوجد أي نص كامل الكتاب الذي ادعى المصريون أنهم وجدوه مع غلام سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

(53) ابن خلدون، التاريخ، ص 145.

(54) طه حسين، الفتنة الكبرى، (1) و (عثمان)، ص 210.

(55) ابن العربي، مصدر سابق، ص 59.

(56) خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، وداعاً عثمان، دار ثابت للنشر، القاهرة، 1406هـ / 1986م، ص 380 / 381.

(57) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص 655.

(58) المصدر نفسه، ص 656.

(59) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص 149.

(60) الطبري، التاريخ، الجزء الثاني، ص 656.

(61) سورة آل عمران الآية ﴿173﴾.

(62) هو عبد الرحمن بن صخر، الإمام الفقيه المجتهد صاحب رسول الله (ﷺ) حمل عنه علماً كثيراً طيباً وروي أن الرسول (ﷺ) قال له: ( لا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ ) قلت: أسألك أن تعلمني مما علمك الله فترع غرة كانت على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى النمل يدب عليها فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال: أجمعها فصرها إليك، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني، الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، إعداد محمد بن حسن بن عقبة، دار الاندلس الخضراء للنشر، 1415 هـ، 1995 م، ص 195 / 197.

(63) ابن خلدون، التاريخ، الجزء الثاني، ص 150.

(64) سورة النساء الآية ﴿93﴾.

(65) حش كوكب، بفتح أوله وتشديد ثانيه وبضم أوله أيضاً، والحش في اللغة البستان، وبه سمي المخرج حشاً لأنهم كانوا إذا أرادوا الحاجة خرجوا إلى البساتين، وكوكب الذي أضيف إليه: اسم رجل من الأنصار وهو عند بقيق الغرقد اشتراه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وزاده في البقيق ولما قُتل أُلقي فيه ثم دفن في جنبه، ابن كثير، البداية و النهاية، الجزء السابع، ص .

- (66) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، 1960م ، ص174.
- (67) المسعودي، المروج، الجزء الأول، ص549.
- (68) الضبي، سيف بن عمر، الفتنة الكبرى وموقعة الجمل، جمع وتحقيق وتصنيف احمد راتب عرموش، الطبعة السابعة، دار النفائس، بيروت، 1413هـ/1993م، ص22/19.
- (69) ابن الأثير، الكامل، الجزء الثالث، ص84.
- (70) الامام مسلم ابي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ( 206-261 هـ ) ، صحيح مسلم ، الجزء الخامس ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، - دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، دار الكتب العلمية ، بيروت ،، 1412هـ - 1991 م ، ص17.
- (71) عبد الكريم عبد السلام بن جرجس بن ناصر، معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الخامسة، ، العبد الكريم، الرياض ، 1417هـ/1996م، ص44/47.
- (72) الإمام ابن حنبل ، احمد بن حنبل الشيباني ، الفتح الرباني في مسند الإمام أحمد ، الجزء الخامس، رتبته أحمد عبد الحمن البناء ، دار العلم للطباعة ، بيروت ، ص387.
- (73) سورة آل عمران الآية. ﴿﴾
- (74) عبد الكريم، مرجع سابق، ص111.
- (75) النووي، محي الدين أبي زكريا بن يحيى بن شرف ، (631 776هـ- ) ، شرح صحيح مسلم، الجزء الثاني عشر حقيقه وعلق عليه ووضع فهارسه لجنة العلماء بإشراف الناشر، دار القلم ، بيروت ، ( د . ت ) ص240.
- (76) سورة النساء الآية ﴿59﴾ .
- (77) ابن الأثير، الكامل، الجزء الثالث، ص84.
- (78) لعسكري، السيد مرتضى، دراسات في الحديث والسيرة، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، المجلد الأول ، الطبعة السادسة، المجمع العلمي الإسلامي، طهران، 1413هـ/1992م، ص33.
- (79) لمرجع نفسه .
- (80) سورة ص الآيتان ﴿23﴾ و ﴿24﴾
- (81) ابن كثير، التفسير ، المجلد الخامس، ص132.
- (82) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت ، 1410هـ/1990م، الجزء الثاني عشر، ص141/150.
- (83) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن، السعودية، طبع على نفقة سمو الأمير احمد بن عبد العزيز، الجزء السابع، 1983م، ص24.

(84) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي، محاسن التأويل، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ، 1398هـ/1978م، الجزء الثالث عشر، ص156/157.

(85)السويدان، طارق السويدان، قصص الأنبياء، مادة مسجلة، جمعية الإصلاح الاجتماعي، لجنة الصحبة الصالحة، فرع الفيحاء، الرياض، قرطبة للإنتاج الفني، شريط رقم (9)، 1417/12/2هـ.

(86)ابن الأثير، الكامل، الجزء الثالث، ص78.

(87) ابن العربي، العواصم، ص63.

## الكاروم ودوره في نشر حضارة العراق القديم في آسيا الصغرى (دراسة حضارية)

أ.مشارك -التاريخ القديم - جامعة أم القرى  
- المملكة العربية السعودية

د. نجوى محمد إكرام

### المستخلص:

البحث هو دراسة حضارية للمراكز التجارية التي أسسها التجار الآشوريون في آسيا الصغرى مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد وعرفت باسم «كاروم»، كان من أبرزها وأهمها في مدينة «قانش» ومدينة «خاتوش» وموقعها الأثري اليوم هما «كول تبه» و«بوغازكوى» في تركيا. لعبت هذه المراكز التجارية دوراً مهماً كوسيط بين الآشوريين وسكان آسيا الصغرى، وكذلك في نشر حضارة العراق القديم في بلاد الأناضول وتشمل الجوانب الفكرية والأدبية والاقتصادية، ومن أهمها وأبرزها انتشار الخط المسماري واللغة الأكادية.

- الكلمات المفتاحية: الكاروم ، التجار الآشوريين، آسيا الصغرى.

### Abstract:

This paper is a civilization study about Assyrian commercial center which had been established by Assyrian merchants in Asia Minor at the beginning of the second millennium BC., that was known by the name “Karum” the most important of those were the ancient cities Kanesh (Kultepe) and Khattusha (Bogazkoy), both are located today in Turkey. These commercial center played significant and important role as an intermediary between Assyria and Asia Minor, in regard to commerce and the spreading of Iraq ancient civilization that consist of intellectual, literary, religious, and economical aspects, particularly, the spread of the Cuneiform and Akkadian language.

Key words: Karum, Assyrian Merchants, Asia Minor, Civilization

## المقدمة :

كان لموقع العراق القديم الاستراتيجي دوراً بارزاً في نشوء وتطور التجارة الخارجية، كما كان لافتنقار العراق القديم إلى بعض المواد الخام الضرورية مثل المعادن والحجارة والأخشاب أثره في دفع العراقيين القدماء للعمل على توفير تلك المواد من الخارج، كما أن الفائض من الإنتاج الاقتصادي لعب دوره في نشأة التجارة وتطور حركة الاتصالات الخارجية مع الأقاليم والبلدان المجاورة، وكانت من أقدم تلك الصلات مع آسيا الصغرى (بلاد الأناضول)<sup>(1)</sup>، التي جُلِبَتْ منها أنواع المعادن<sup>(2)</sup> والأحجار وأيدي عاملة ماهرة، لسد متطلبات حاجة المعابد والسكان إليها، وقد بدأت تلك الصلات منذ عصور مبكرة إلى أن وصلوا إلى ذروتها، حيث ازدهرت في عهد الإمبراطورية الآشورية، وأن الازدهار الاقتصادي كان حقاً أساسياً للرفاهية الآشورية، ويعزى هذا الرفاه الاقتصادي إلى النجاحات العسكرية التي حققها الآشوريون في مختلف الجهات، بالإضافة إلى الرحلات التجارية إلى المحطات والمراكز التجارية، مما دفع الملوك الآشوريين إلى التفاخر بالرفاه الاقتصادي واعتدال الأسعار في عهدهم بالرغم من أن ذلك يرتبط بصورة خاصة بازدهار الزراعة أكثر من التجارة<sup>(3)</sup>، وهذا ما عكسته النصوص المسمارية المكتشفة بقيام التجار<sup>(4)</sup> الآشوريين برحلات منتظمة لجلب تلك المواد ونشاطهم في عمليات النقل، التي أخذت الطابع الجماعي، أو ما عُرفَ بالرحلات التجارية<sup>(5)</sup>. يأتي هذا البحث للتعرف على دور حضارة العراق القديم في نشوء النظام التجاري الخارجي، وتأتي أهمية هذا الموضوع من أهمية حضارة العراق القديم وأثرها الكبير في غرس وتعزيز التجارة الخارجية وما ي صاحبها من دور في مجالات حضارية، ومنها المراكز التجارية، والتعريف بها، وما ي صاحبها من دور في بعض المجالات الحضارية.

## أولاً : تجارة العراق القديم مع آسيا الصغرى:

إنه مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، صاحب إقامة دولة آشور في القسم الشمالي من العراق القديم نشاط سياسي واقتصادي كبير للآشوريين جهة الشمال والشمال الغربي، وأولى الآشوريون اهتماماً كبيراً بالتجارة مع آسيا الصغرى (الأناضول)، حيث أقاموا فيها مراكزهم التجارية (كاروم)- (Karum) لمزاولة النشاط التجاري على أوسع نطاق، ولو أن من الباحثين من يرى أن هذه المراكز التجارية مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الآشوريون للسيادة وفرض النفوذ على آسيا الصغرى<sup>(6)</sup>، وربما قام هذا الرأي على أساس أنه يصعب تحقيق استغلال اقتصادي كامل بدون سيطرة سياسية وعسكرية، فضلاً عن بعض المعايير الأخرى. وعلى أية حال، فإن الباحثة ستسلط الضوء على المركز التجاري (الكاروم)، أخذاً بنظر الاعتبار أهم المعلومات المتعلقة بهذا البحث من حيث المادة الأكاديمية ومنهج البحث التاريخي التحليلي.

لقد شكلت التجارة الركن الثاني من أركان الاقتصاد في بلاد الرافدين، فنمو الزراعة وتطورها والتخصص في العمل أدى إلى التبادل والمقايضة والتي كانت بمنزلة

البداية في التعامل التجاري الذي أصبح الأساس الذي قامت عليه التجارة في العصور المبكرة<sup>(7)</sup>. ومن ثم فقد أقام ملوك بلاد الرافدين علاقات تجارية مع الدول والمدن المجاورة عن طريق اتفاقيات ومعاهدات بنوعها التبعية والمتكافئة<sup>(8)</sup>.

هذا، وكنتيجة للعناية التي أولاهها الملوك الآشوريين للتجارة استخدموا طرق شتى من أجل تأمين سلامة الطرق والقوافل التجارية والمراكز التجارية وضمان تدفق البضائع والمواد الخام الضرورية، وقد بلغ الاهتمام بخدمات الطرق درجة كبيرة من النمو والتطور، إذ ازداد من تحديد مساراتها وحمايتها وتوفير الحيوانات البديلة والعربات، كي يتسنى للقوافل والرسل والمسافرين من مواصلة السير.

ونظراً للأهمية التي شغلتها خدمات الطرق، سواء أكان ذلك في تأمين متطلبات الدولة الآشورية من السلع والحاجيات المختلفة من مصادرها الداخلية والخارجية، أم في ضمان إيصال الأوامر والتعليمات الملكية إلى حكام المدن والمقاطعات والمراكز الآشورية بالوقت الممكن<sup>(9)</sup>، فقد دفع بالدولة الآشورية إلى حماية وتأمين تلك الطرق بمحطات أو مراكز (عسكرية أو شرطية) أطلق عليها تسمية بيت مرديت<sup>(10)</sup> (Bet-Mardeti). بالإضافة إلى قيادة الحملات العسكرية ضد البلدان والأقاليم التي تعترض تجارتها<sup>(11)</sup>، أو عن طريق فرض معاهدات تبعية على تلك الأقوام والبلدان والأقاليم التي خضعت للسيطرة الآشورية من خلال توفير المواد الأولية التي تحتاج إليها بلاد آشور على شكل إتاوات سنوية<sup>(12)</sup> قد فرضها الملوك الآشوريين على تلك المناطق مقابل حصولهم على الدعم السياسي والعسكري الآشوري ضد أي اعتداء خارجي أو ثورات داخلية<sup>(13)</sup>، إلى جانب تنظيم المتاجرة مع بلاد آشور عن طريق عقد المعاهدات والاتفاقيات تارة أخرى<sup>(14)</sup>.

في حقيقة الأمر، تُعد القوافل التجارية الآشورية على درجة من الأهمية وأبعدها عمقاً وتأثيراً في تطوير - كما سبق - الصلات الحضارية مع مدن وأقاليم آسيا الصغرى، فقد عكست تلك القوافل نتائج حضارية متنوعة خلال الألف الثاني ق.م، شملت الاقتصاد والمعتقدات والأفكار ذات العلاقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية، فضلاً عن اللغة والكتابة<sup>(15)</sup>. على أية حال، فقد كان للآشوريين اتصالات تجارية متميزة مع السكان هناك واختلطوا معهم وأقاموا في مدنهم لفترات ليست بالقصيرة، فكان لذلك آثارهم الواضحة في نقل كثير من الأسس والعناصر الحضارية إلى الأقوام القاطنة في آسيا الصغرى آنذاك، ومما يثبت ذلك نتائج التنقيبات في مواقع الآثار الأناضولية، إذ قدمت معلومات دقيقة عن طبيعة الحقائق الاقتصادية والاجتماعية وألقت ضوءاً عن مدى تأثير الحضارة الآشورية فيها<sup>(16)</sup>.

ومما ساهم في توطيد تلك الصلات الحضارية تشجيع الملوك الآشوريين وحكام مدن وممالك آسيا الصغرى على نشاط تلك القوافل التجارية وتسهيل حركة التبادل والمداورات التجارية، فضلاً عن تأمين طرق المواصلات الممتدة من نينوي وآشور تجاه المحطات والمراكز (الكاروم) التجارية عبر شمال سوريا إلى مراكز المدن التجارية في آسيا الصغرى<sup>(17)</sup>.

هذا، وقد بلغ الاهتمام بخدمات الطرق العامة درجة كبيرة من النمو والتطور، منذ العصر الآشوري الوسيط، غير أنه ازداد الاهتمام – في العصر الآشوري الحديث – بخدمات الطرق من حيث تحديد مساراتها وحمايتها وتوفير الحيوانات البديلة والعربات، كما يتسنى للقوافل التجارية مواصلة السير، فكانت العاصمة الآشورية ترتبط من جميع أقسام الدولة بشبكة من الطرق السريعة فضلاً عن الطريق الملكي، والذي كان محمياً بنقاط من الحراسة المشددة<sup>(18)</sup>.

ونظراً للأهمية التي شغلته خدمات الطرق العامة في بلاد آشور، بالإضافة إلى طرقها إلى المناطق الأخرى، وعلى وجه الخصوص الطرق المؤدية إلى آسيا الصغرى، سواء أكان ذلك في تأمين متطلبات الدولة الآشورية من السلع والحاجيات المختلفة من مصادرها، مما دفع الملوك الآشوريين، في العصر الآشوري الحديث، إلى حماية وتأمين تلك الطرق بمحطات ومراكز (عسكرية أو شرطة)<sup>(19)</sup>، أطلق عليها تسمية (بيت مرديت) (Bet-Mardeti)<sup>(20)</sup>.

### ثانياً: المركز التجاري (الكاروم):

أطلق الآشوريون على المركز التجاري تسمية كاروم (Karum) وجمعها: كارو (Karu)، وتعني في اللغة الأكديّة معانٍ عديدة<sup>(21)</sup>، منها: سد، حاجز، منطقة الميناء، جدار (حائط) ميناء يقع على نهر أو قناة وتُجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد (Miksikari)<sup>(22)</sup> (neberi). ثم اتسع مفهوم الكاروم (karum) ليعني منطقة في المدينة مخصصة للتجارة والبحارة، أي محطة تجارية ومجمع للتجار، وبالتالي هي السوق على جانب الرصيف<sup>(23)</sup>. أما ما يقابل هذا المصطلح في اللغة السومرية فهي: (KAR)، ولعل المسمى الأكدي مشتق من أختها السومرية<sup>(24)</sup>.

هناك من يلاحظ أن استخدام الآشوريين لمصطلح كاروم في نصوص الألواح القبادوشية لم يقصد به ميناء نهري غالباً، إذ لم يقع أي من كاروم كانش (كول تبه) أو خاتوش (بوغازكوي)، وربما أيضاً ما لم يتسن تحديده تماماً من هذه الكارو، مثل كاروم تاوينا (Tawinia)، وكاروم بوروشخادوم، وكاروم واخشوشانا (Wakhshshana)، جميعها لم تقع على نهر. ويعني هذا التعبير في النصوص القبادوشية غالباً مجموعة الرجال، الذين تولوا إدارة المركز التجاري وهم من أصحاب رؤوس الأموال والتجار الآشوريين<sup>(25)</sup>.

كما يدل هذا المصطلح على البيوتات الصغيرة التي تقوم بتأجير العبيد، حيث نص يذكر: «... الكاروم أجّر العبيد<sup>(26)</sup> لدفع سيلاً من الخبز عن كل يوم...»<sup>(27)</sup>.

هذا، وهناك من يذهب إلى كون هذا البيت ملحقاً بمجتمع الكاروم، أو أن يكون معزولاً في مكان ما<sup>(28)</sup>.

وقد أشارت النصوص إلى وقوع هذا البيت في أحيان معينة عند مدخل البوابات، حيث نص يذكر: «... بيت الكاروم الواقع عند بوابة الملاحين...»<sup>(29)</sup>.

إن المصطلح بيت كاريم (Bit Karim)، أي بيت الكاروم، ويقابل بيت أليم (Bit Alim) بمدينة آشور<sup>(30)</sup>. يعني المكان أو المكتب الذي تدار فيه سلطة الكاروم، ويقابله بالسومرية (EKAR)، وكان بمثابة غرفة تجارية وبيت تخليص للتجارة<sup>(31)</sup> (الجمارك الآن). كما كان بيت كاريم - أيضاً - وكيلاً للإكالوم (القصر) يتولى عنه تسديد أثمان مشترياته<sup>(32)</sup>. هذا، ولا شك في أنه وجد تعاون تام بين كل من بيت كاريم، وإكالوم، فكلهما كان يخدم هدفاً مشتركاً، إذ كانت ضريبة العشر<sup>(33)</sup> (Ishratum)، والتي كانت عشر البضائع التجارية، وضريبة الخمسة في المائة (Metum Khanshat)، وغيرها من الضرائب<sup>(34)</sup> ورسوم الدخل الأخرى التي تحصل من القوافل التجارية، تدفع أحياناً للإكالوم، وفي أحيان أخرى لبيت كاريم<sup>(35)</sup>.

هناك ضريبة الشادوتوم (Sadduutu)، والتي كانت تخضع لبعض التعليمات والقوانين، حيث يجري عليها أن تضاعف في أحيان معينة، وعلى وجه الخصوص، إذا لم يلتزم الشخص بدفع المستحقات الواجبة عليه، حيث يذكر النص:

«...أعلن هناك في الكاروم وبذلك سوف لم تتم مضاعفة ضريبة الشادوتوم...»<sup>(36)</sup>.

كما يذكر نص آخر: «...كمية من الفضة المصفاة، وضريبة الشادوتوم البالغة 4 كانت من القصدير والتي تعود إلى فلان وفلان، كانت قد دفعت إلى الكاروم...»<sup>(37)</sup>

أما عن الحسابات التي تجري في المركز التجاري الآشوري، فهي منها ما يكون بشكل يومي، وهو بالضرورة، والآخر بشكل دوري، وهو ما يُعرف بالحساب السنوي، ومن ثم فقد تحتاج تلك الحسابات اليومية والدورية إلى أكثر من شخص يتولون تلك المهام<sup>(38)</sup>، وتشير بعض النصوص إلى ذلك مثل<sup>(39)</sup>:

«...بعد أن طلبوا الحساب من الكاروم...؛ والذين عينوا لجمع الضرائب في رقيم نهاية السنة...».

أما مصطلح رب كاريم (Rabi Karim)، رب كاروم (Rub Karum)، فهو يعني الشخص المسؤول عن مكان الكاروم بالمركز التجاري أو الميناء، وما يقابله بالسومرية (GALK AR. RA)<sup>(40)</sup>. وكان للكاروم سلطة قضائية، وجهاز إداري على رأسه «حاكم الكاروم» (رب كاروم).

ويتضح أن رب كاروم كان يمثل السلطة التنفيذية للكاروم ويتأسسها، وغالباً غير خاضع لحكام آشور، وأنه اتخذ من أجهزة معاونة هي الحكومة التي رأسها، أما بيت كاريم، الذي كان بمثابة بيت مال يقدم له ما يحتاجه من تمويل.

هذا، ولقد عمل موظفون في الكاروم، منهم<sup>(41)</sup>:

## 1- ليموم Limum:

موظف آشوري كان يعين لمدة عام واحد. ويتبين من أوجه نشاطه أنه يمكن أن نرى فيه راعياً للمصالح التجارية الآشورية بالكاروم، بيد أنه لا يُعرف، على وجه التحديد، مدى اختصاصات هذا الموظف، إلا أنه من الواضح أنه كان يقوم بدور نشط في الكاروم، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون المالية والتجارية والقضائية التي ترتبط غالباً بالمعاملات التجارية.

## 2 - إبونيم Eponim:

كان من اختصاص هذا الموظف تسويات الديون التي كانت تودع - مع غيرها من الأموال المسددة الأخرى - في بيت ليموم (Bit Limum) (دار البلدية؟)، وكان بيت ليموم مقراً للإبونيم يمارس فيه وظيفته.

هذا، ولما كان كل الإبونيم، من الناحية العملية، من التجار الكبار المعروفين، فقد شاركوا في النشاط الاقتصادي الآشوري بالكاروم، فقدّموا رؤوس الأموال وقاموا ببعض عمليات الإقراض لحسابهم، كما كان عليهم - أيضاً - تحديد وتنظيم مسائل الأسعار، وكانت الكاروم تقوم بدور الوسيط بين الدولة الآشورية الأم وبين الدويلات المحلية في بلاد الأناضول<sup>(42)</sup>.

وعلى أية حال، يتضح أن الكاروم، هو عبارة عن مقر كبير تقام فيه الأعمال الاقتصادية، ومنها التجارية، وأن لهذا المقر رئيس يتحكم بقراراته، كما يرتبط اختيار هذا المكان بالموقع الجغرافي المطل على الميناء، والذي عادة ما يستقبل السفن والقوارب المحملة بالبضائع، أو على الطريق التجاري البري، ومن ثم أياً كان الموقع فإنه على المستوى العملي يشبه غرفة التجارة<sup>(43)</sup>.

هذا، ومن صلاحية رئيس المركز التجاري الآشوري، شأنه شأن بقية قيادات ورؤساء المؤسسات العظمى للدولة الآشورية، بأن تكون له حماية وحراسة، من الحراس أو العاملين تحت إمرته يقومون بتنفيذ أوامره، وخاصة بأنه يمثل مركزاً رئيسياً لحفظ الأموال والبضائع، وقد أشارت النصوص المسمارية إلى حارس المركز التجاري باسم (Massarkarim)<sup>(44)</sup>، حيث هناك نص: «حارس الكاروم كان أخذ الصوف مني...»<sup>(45)</sup>.

فهناك إشارة إلى مصادرة المركز التجاري الآشوري بضائع على متن سفينة، حيث يذكر النص: «...مسؤول الكاروم جاء في بوابة القناة على متن سفينة في الليل مع 20 رجلاً وأخذوا بالقوة من السفينة العديد من الملابس وخنجر مصنوع من الحديد وثلاث شيفلات من الفضة...»<sup>(46)</sup>.

ومن اختصاصات رئيس المركز التجاري الآشوري المخولة في عدم السماح بمرور البضائع والأشخاص إلى المدينة أو المركز التجاري نفسه، إذ يقوم في بعض الأحيان باحتجاز البضائع وعدم السماح لها بالمرور<sup>(47)</sup>، حيث يذكر النص التالي<sup>(48)</sup>: «...نحن جلبنا بحدود 220 كور من التمر، ولكننا احتجزنا في المدينة عن طريق مسؤول الكاروم، رسالة

سيدي يجب أن تصل إلى هذا المسؤول لكي يسمح لنا بالعبور...». وهكذا يتضح وجود صلات ما بين آشور وبلاد الأناضول من بداية العصر الآشوري القديم في الألف الثاني قبل الميلاد وذلك بوجود جماعات من التجار الآشوريين كانت تعيش في شرق بلاد الأناضول في مراكز تجارية ذات تنظيمات إدارية وقانونية خاصة بها، ويبدو أن الوجود الآشوري هناك ربما كان سلمياً يتمثل في النشاط التجاري الواسع وتأسيسهم هذه المراكز المتعددة في وسط الأناضول وذلك لاستغلال ثروات هذه البلاد، وممارسة نشاطهم التجاري الواسع من دون الحاجة إلى حرب لأن النصوص خلت من الإشارة إلى حملات حربية سيّرها الآشوريون على بلاد الأناضول<sup>(49)</sup>، في حين أن بعض الباحثين يرى أن هذه المراكز التجارية مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الآشوريون للسيطرة على آسيا الصغرى، وكانت مدينة «قانش Kanesh هي مركز الإدارة الآشورية الحاكمة»<sup>(50)</sup>.

وعلى أية حال، فلقد كانت هذه المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول (الكاروم) تقوم بدور الوسيط بين الدولة الآشورية الأم، وبين الدويلات المحلية (دويلات مدن) في بلاد الأناضول، ونستدل من نصوص الوثائق أن العائلات والأسر الآشورية أسست لها مراكز تجارية في بلاد الأناضول، والغالب أن عميد الأسرة كان يقيم في بلاد آشور ويدير شؤون أعماله التجارية في إقليم «كبادوكيه» (Cappadocia) وغيرها من الأقاليم وكلّوهم من أفراد أسرته حيث كانت المراسلات مستمرة ما بين عميد الأسرة وبين هؤلاء الوكلاء، وقد ترك أولئك التجار مجموعة مهمة من تلك المراسلات والرسائل<sup>(51)</sup>.

كانت القوافل التجارية التي تنقل البضائع تستخدم وسائل النقل الرئيسية وهي الحمير والعربات التي تنتقل ما بين بلاد آشور وبين المراكز التجارية في بلاد الأناضول، وكانت الفضة والذهب والنحاس والأحجار الكريمة في مقدمة السلع المستوردة من بلاد الأناضول إلى بلاد آشور التي كانت تصدر المنسوجات الصوفية والقصدير (Tin) أو الرصاص (Lead)، حيث كان الآشوريون يجلبون القصدير أو الرصاص أصلاً من أذربيجان لكثرة الطلب عليه في بلاد الأناضول لخلطة بالنحاس ليصنع منه البرونز<sup>(52)</sup>.

### ثالثاً: بعض المجالات الحضارية:

إن الإشراف على تنظيم قوافل التجارة وسيرها ومحطاتها وتزويدها بالمؤن وتوفير الحماية اللازمة لها، وكان من شأن هذه الإجراءات دعم نشاط تلك القوافل والمواد التجارية المتبادلة، والتي أفرزت نتائجها المهمة في نمو وتعزيز اقتصاد كلا الجانبين لما كان يحققه من مردودات مالية كبيرة انعكست على رفاهية الأفراد العاملين من التجار ومن ثم على أوضاع البلاد عموماً<sup>(53)</sup>.

فقد كانت الدولة الآشورية آنذاك تعيش في زمن ازدهار وتمر بدورة قوة في عهد الملك إيلوشوما (1906-1940 ق.م). وخليفته أريشوم (1867-1906 ق.م). وحفيده سرجون الأول الآشوري (1885) (Sharrum-Ken-1840 ق.م.)؛ وقوة هؤلاء عمّلت على

تقوية نشاط التجار الآشوريين وإعطائهم سنداً لمواصلة تلك القوافل<sup>(54)</sup>، ومن جانب آخر سعى أولئك الملوك الآشوريون في جعل بلاد آشور مركزاً تجارياً وسوقاً رائجة، لذا فتحو الأفاق لعمل الوسطاء (السماسرة) وجذب التجار الأجانب من خلال تشجيع مبادلاتهم ونقل الصادرات من بابل إلى آشور وإلى مراكز التجارة في آسيا الصغرى<sup>(55)</sup>.

وفي الحقيقة إن أعمال النشاط التجاري الآشوري بدأت - كما سبق - منذ حركة الملك الآشوري إيلوشوما في بداية الألف الثاني ق.م.، ومن ثم تبع استمرار حركة هذا النشاط في زمن خلفائه من الملوك.

هذا، واستناداً على النصوص المسمارية المكتشفة<sup>(56)</sup>، فإنه كان خلال منتصف القرن التاسع عشر ق.م، ووفقاً إلى تخمين قُدِّرَ بأكثر من ألفين من السكان الآشوريين كانوا يساهمون في الأعمال التجارية، وبوجه التقريب حوالي ثلث هذا العدد كانوا يعيشون ويسافرون بانتظام إلى آسيا الصغرى، وفي الواقع إن هذا الشمل الكثير للناس لابد وأن أحدث نقلة نوعية مهمة في المجتمع الآشوري، وكان له تأثيره الكبير في التواصل الحضاري ونقل مقوماته إلى المراكز التجارية (كاروم) (Karum) الآشورية في آسيا الصغرى<sup>(57)</sup>.

إن تجمع تلك القوافل التجارية - كما سبق - واستمرارها كان يعود إلى سلطة الدولة ورغبتها في دعم مقومات استمرار تلك التجارة وإيجاد المؤسسات الإدارية الكبيرة المشرفة على حركتها ومنها مؤسسة (معتمدي المدينة)، وكذلك بيت المدينة (Bit Alim) التي أخذتا على عاتقهما مسؤولية حماية قوافل التجارة في الطرق وجمع الضرائب والرسوم عن الصادرات والواردات وتكاليف الحسابات المركزية وتوجيه أعمال التجار ونشاطاتهم، وإذا كان يتم ختم نهاية كل عقد تجاري (معاملة) بختم المدينة، وبطبيعة الحال فإن هذه المؤسسات الرسمية كانت تؤدي دوراً مهماً في تنظيم حركة التجارة والقوافل وتوسيعها، ومن جانب آخر كان من شأن هذه الإجراءات جميعها أثرها المهم في نمو علاقات جيدة ووثيقة بين الإدارة المركزية والتجارة بشكل عام<sup>(58)</sup>.

هذا، ولقد أسفرت أعمال التجارة الآشورية في آسيا الصغرى إلى عقد معاهدات تجارة بين ممثلي (معتمدي) الدولة الأناضولية وحكام المدن الآشورية التي كان التجار الآشوريين يقيمون فيها ويؤسسون لتجارتهم معها، وبحسب النصوص كان هناك مندوب آشوري في مدينة قانش (في كبادوكية)<sup>(59)</sup> يحمل مسمى إيشثناككوم، وهو يمثل الإدارة المركزية الآشورية هناك<sup>(60)</sup>.

وفي حقيقة الأمر، هناك العديد من الإشارات عن دور التجارة الملكية، مثلاً التجارة بين آشور وكبدوكيا سندت بمعاهدات تجارية بين ممثلي الحكومة الآشورية وحكام المدن الأناضولية التي كان التجار الآشوريين يرغبون في تأسيس تجارتهم فيها<sup>(61)</sup>. وكانت هناك معاهدات لضمان حمايتهم وتحديد نشاطاتهم من الكاروم. فقد ورد في نص رسالة لتاجر آشوري، قد تعرض لظلم من أحد حكام آسيا الصغرى الذي رفع بدوره شكواه إلى موظف

كاروم الآشورية حيث جاء فيها: «تعامل نحن بهذه الشاكلة رغم وجود يمين اتفاق»<sup>(62)</sup>. إن معاهدات الدولة الآشورية الحديثة وما احتوته من فكر سياسي من جانب الآشوريين توضح لنا بأنهم كونوا قوة اعتمدت على القدرة السياسية إلى جانب القوة والسلاح في تحقيق ما يصبون إليه، فقد استغل الآشوريون هذه القدرة في تطوير سياسة المعاهدات في سبيل بناء امبراطوريتهم الواسعة وبشكل مثالي<sup>(63)</sup>، ومن ثم فقد استغلوا ذلك في تجارتهم الخارجية. وهكذا كانت التجارة وأمورها تنظم بشكل دائم عن طريق وجود معاهدات واتفاقيات بين الدول والممالك والمدن، وعكس ذلك كانت التجارة والقوافل التجارية تتعرض للمخاطر، بالإضافة إلى توقف التجارة عند توتر العلاقات السياسية بين الدول.

ووفقاً لمضامين ما تذكره بعض النصوص أنه كان هناك أحد عشر جالية تجارية آشورية في آسيا الصغرى من نوع (كاروم) وعشرة أنواع من (وايارتوم) كانت تمتد من آشور حتى سهل قونيا<sup>(64)</sup>. وبذلك كانت الاتصالات الآشورية الأناضولية ذات طبيعة تجارية متنوعة في الكاروم، وخاصة في كاروم قانيش (Kanesh) الذي ضم حياً مهماً خاصاً بسكن التجار الآشوريين<sup>(65)</sup>.

إن النصوص التجارية تكشف عن طبيعة المساهمات ومنها بشكل خاص إقامة الشركات التجارية أو المشاريع التجارية وأبرز التجار وأسمائهم وعوائلهم ممن ذاع صيتهم في هذا المجال، فضلاً عن الأرباح المتحققة من هذه المشاريع وتوزيع أموال المساهمين، كما تتضمن تلك النصوص كيفية نقل البضائع وأنواعها بواسطة قوافل الحمير من آشور إلى بلاد الأناضول، وكيفية بيع البضائع المصدرة وتصريفها كالمالابس والقصدير أو المستورد منها وعودة أولئك التجار إلى آشور بعد شراء شحنات من الذهب والفضة والنحاس، فقد كانت هذه المعادن على درجة من الأهمية في الصناعات المعدنية الآشورية<sup>(66)</sup>.

في حقيقة الأمر، فإنه من الضروري تقديم تلك التفاصيل – كما سبق – عن القوافل التجارية الآشورية لتوضيح الهدف الأساسي من هذه الدراسة، وهو تبيان أهمية تلك القوافل في الجانب الحضاري<sup>(67)</sup>، بالإضافة إلى ذلك كان لإقامة التجار الآشوريين في مدن بلاد الأناضول لفترات طويلة – كما سبق – أهمية في نقل مقومات حضارية إلى هناك<sup>(68)</sup>، كما أن البعض منهم اختلطوا مع المجتمع المحلي وتزوجوا من البنات الأناضوليات، فضلاً عن إقامتهم علاقات اجتماعية مع السكان القاطنين فيها<sup>(69)</sup>. وهو ما أدى إلى سعة عمليات التبادل التجاري، والتي شملت خلالها نقل عناصر حضارية وصلت حد التشابه وظلت هذه الصلات بين الأفراد والعوائل وتوارثها الأبناء عن الآباء، فنقرأ بهذا الخصوص عن تزويج تاجر اسمه (اشترو) ابنته (خاتالا) من تاجر آشوري<sup>(70)</sup>.

كما إن من أولى المقومات الحضارية التي انتقلت إلى بلاد الأناضول من التجار الآشوريين كان استخدام الخط المسماري في توثيق التعاملات التجارية فقد عثر المنقبون في إقليم كبدوكيا على مجاميع من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري، وكان القسم

الأعظم من تلك المكاتبات كشف عنها في موقع كول تبة (Kultupe) (قانش Kanesh قديماً) شرقي قيسارية (قيصريه)، وقد عدد تلك النصوص بنحو أربعة عشر ألف رقم طيني، دُونت جميعها باللغة الأكديّة بلهجتها الآشورية القديمة<sup>(71)</sup>، مما يوضح أن التجار الآشوريين المقيمين في المراكز الآشورية نقلوا إلى السكان أسلوب استخدام تلك الكتابة في توثيق المعاملات والمراسلات، وقد استمر اقتباس الخط واستخدامه فيما بعد في المدونات الحثية، الذين هاجروا إلى الأناضول، فيما بعد<sup>(72)</sup>.

وهكذا عد الباحثون انتشار الخط المسماري واللغة الأكديّة في بلاد الأناضول من أعظم الإسهامات الحضارية التي قدمها الآشوريين هناك، فقد علّموا السكان فيها كيف يكتبون الكلمة ويسجلون التاريخ، كما تمخض انتشار الخط واللغة عن نتائج مهمة في انتقال الكثير من العادات والتقاليد والمفاهيم من خلالها إلى السكان في بلاد الأناضول<sup>(73)</sup>، وضمن هذا الجانب - أيضاً<sup>(74)</sup> - الكشف عن بعض النصوص في بلاد الأناضول التي ضمت مواد قانونية مدونة بالخط المسماري واللغة الأكديّة، وعلى الرغم من تلف معظم أجزائها، إلا أنها تُعد على درجة من الأهمية، فهي تمثل من أقدم القوانين الآشورية المكتشفة<sup>(75)</sup>، ويفهم من بعض أجزائها المتبقية فقرات تخص شؤون المحاكم ومجالس القضاء التي أنشأها التجار الآشوريون في بلاد الأناضول للنظر في الدعاوى التي كان يتقدم بها التجار مع بعضهم البعض أو ضد السكان المحليين<sup>(76)</sup>.

ومن المجالات الحضارية المهمة التي نقلها التجار الآشوريون إلى بلاد الأناضول بعض التأليفات الأدبية الشهيرة التي ذاع صيتها آنذاك ومنها ملحمة جلجامش<sup>(77)</sup>، كما وجد أجزاءها مترجمة إلى اللغة الحثية فيما بعد أعمال الكشف التي تمت من النصوص في بوغاز كوي (Bogazkoy) (حاتوشا Khattusha عاصمة الحيثيين قديماً)، فضلاً عن العثور على نصوص من قصص قصيرة وأساطير أخرى فيها، ومنها أسطورة الخليفة<sup>(78)</sup>، حيث يجمع الفكر الديني الحثي في قواه الإلهية بين آلهة القوى الطبيعية الكائنة في البيئة الأناضولية وبصفة خاصة الكائنة في الجبال والأنهار والشمس والقمر والهواء والزواجر والمطر، وبين القوى الإلهية الآشورية في العراق القديم.

وقد تشكلت تلك القوى الإلهية في شكل أسر مقدسة تستطيع الجموع الشعبية تفهمها والإحساس بها بيسر<sup>(79)</sup>، كذلك يظهر جوانب ذلك التواصل الحضاري واضحاً في مجال بعض المفاهيم والمعتقدات الدينية التي انتقلت من خلال الرحلات التجارية إلى آسيا الصغرى، ومنها في مجال أسماء المعبودات التي انتقلت إلى هناك أسماء الآلهة أنو، أنليل، أيا، تملينا<sup>(80)</sup>، وإله الشمس، والذي يُعد من أهم الآلهة الحثية، التي تعتبر سيدة السماء، وكان يطلق عليها فيما قبل الحثية الإلهة وورو سمو، وأحياناً الإلهة أرينيتيا<sup>(81)</sup>، الذي عدّوه إله العدل والحق عند العراقيين القدماء<sup>(82)</sup>.

هذا، وفي مجال الأدب الديني عثر على عدد كبير من النصوص الدينية الخاصة بالعبادات والاحتفالات الدينية. ومن أهم أمثلة الأدب الديني الحثي الأساطير الدينية التي

تمجد القوى الإلهية وتنسب إليها الخير وعودة الطمأنينة إلى المجتمع. وينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن أسطورة الخلق في العراق القديم قد ترجمت إلى اللغة الحثية، مما يؤكد حقيقة تأثر الحثيين بالفكر الديني العراقي القديم، ويتضح ذلك أيضاً في تنظيم الفكر الديني الحثي من حيث الاعتقاد في وجود جمعية عمومية إلهية<sup>(83)</sup>.

هذا وبالإضافة إلى ذلك فقد تم العثور في مواقع الآثار الأناضولية على النصوص مع تراجمها الحثية في مجال السحر ونصوص تخص أدب الفأل التي استمدت من الآشوريين، منها في مجال فؤول الولادة وفؤول ظواهر الطبيعة (شمس، قمر، نجوم...)، وأسلوب فحص كبد الحيوانات التي كانت تقدم كقربان آنذاك<sup>(84)</sup>، فضلاً عن مفاهيم تنبئية تخص تفسير حركات الطيور وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة بالسحر اقتبسها سكان الأناضول آنذاك من الآشوريين<sup>(85)</sup>، وكان يتم تفسير تلك الفؤول من قبل الكهنة بما ينبئ عن شؤون مستقبل الأيام في البلاد وحكم الملوك.

كذلك شملت بعض المجالات الحضارية التي تأثر بها سكان الأناضول، ومنها رأس السنة (أكيتو) (akitou)، التي كانت تعتبر من أهم الاحتفالات الدينية لدى البابليين والآشوريين، وهو عيد كان يقام في رأس السنة لدى البابليين والآشوريين يتلون فيه ملحمة التكوين «إينوما أيليشن»، فضلاً عن استخدام نظام المواقيت أو التقديم الآشوري<sup>(86)</sup>.

إن من أكثر المظاهر الحضارية الذي ظهر أثره واضحاً في بلاد الأناضول جانب التنظيمات الاقتصادية الذي نقله الآشوريون إلى هناك ومنها الأوزان والمقاييس<sup>(87)</sup>، ويمكن التخمين إن أسس التعامل التجاري كانت تستند في البداية إلى مبدأ المقايضة، إلا أنه وبتطور التعاملات التجارية ونشاطها اقتضت الضرورة إيجاد وسيلة لتسيير أسلوب التعاملات في الصفقات التجارية وتوزيع نسب الأرباح بين التجار المساهمين، فكان أن استخدم سكان الأناضول الأوزان والمكاييل والمقاييس التي استخدمت عند التجار الآشوريين، كما يتضح ذلك من العقود المكتشفة ذات العلاقة بالحياة التجارية كالميناء والشغل وأجزائها، كما استخدموا معدن الفضة وأجزاءه المذكورة بالأوزان كوحدات أساسية لتقييم الأثمان في مختلف التعاملات<sup>(88)</sup>، ويمكن الإشارة بهذا الخصوص إلى اثنين من النصوص عن ذلك<sup>(89)</sup>:

«سوف ترسل لي ملابسها ولأجل ذلك يمكنني أن أعمل

(تحقيق) أقصى ربح لأجلهم شغل فضة».

وفي مضمون النص الآخر ورد الآتي:

«أعمل أقصى جهدك لأجلي (وربما سأقدم) شغل فضة

لبيع ملابس شولويكا».

وهكذا كان للمراكز التجارية الآشورية أهميتها في استخدام هذا الأسلوب التجاري في بلاد الأناضول؛ إن مجالات ذلك التواصل الحضاري تشمل أيضاً تحديد تعريفات الأسعار ونسبة الأرباح بموجب نصوص موثقة بأسماء الشهود، إذ إن سعة التعاملات التجارية

وتطورها فرضت تنظيم هذا الشأن أيضاً ضمن مجموعة الشؤون الاقتصادية المتنوعة ونقلها إلى التجار الآشوريين ومنهم إلى بلاد الأناضول<sup>(90)</sup>. وهكذا كانت هذه المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول مراكز إشعاع حضاري انتشرت فيها معظم عناصر الحضارة الآشورية، وسادت مدة طويلة، وقد ذكر باحث بهذا الخصوص فكتب: «أدت العلاقات التجارية مع البلدان والأقاليم دوراً رئيسياً في نقل النظم الاقتصادية والمالية بل إن بعض البلدان عاشت في ظل الأنظمة العراقية لفترة طويلة، كما هي الحال بالنسبة لبعض أجزاء آسيا الصغرى والمراكز التجارية الآشورية فيها»<sup>(91)</sup>.

## الخاتمة

«الكاروم» هي التسمية التي أطلقها الآشوريون على كل مركز من مراكزهم التجارية التي أسسها التجار الآشوريون في آسيا الصغرى ما بين نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد. أبرز المراكز التجارية التي قامت في آسيا الصغرى (بلاد الأناضول) ومواقعها الأثرية كانت مدينة «قانش» kanesh القديمة وهي «كول تبه» Kul-te، ومدينة «خاتوش» Khattush عاصمة الحيثيين وهي «بوغاز كوى» Bogazkoy، وقد استدل عليها العلماء من خلال اكتشاف الآلاف من الألواح الطينية بالنصوص المسمارية في منطقة «كبادوكيه» Cppadocia في آسيا الصغرى، وجميعها يقع في تركيا اليوم. كان التجار الآشوريون، الذين يقيمون في آسيا الصغرى، يديرون هذه المراكز التجارية وفق تنظيمات إدارية وقانونية خاصة بها، وكانت تقوم بدور الوسيط بين الآشوريين من جهة وسكان آسيا الصغرى من جهة أخرى. النشاط التجاري بين بلاد آشور وآسيا الصغرى لعب دوراً بارزاً ومهماً في نشر حضارة العراق القديم في منطقة واسعة من آسيا الصغرى، ودليل ذلك انتشار استخدام الخط المسماري واللغة الأكادية. نقل التجار الآشوريون عدد من المجالات الحضارية المهمة إلى بلاد الأناضول فظهر تأثير الفكر الديني العراقي القديم في بلاد الأناضول، منها على سبيل المثال ملحمة جلجاش، أسطورة الخليفة وملحمة التكوين، وأسماء الآلهة والمعبودات، ومراسيم الشعائر وأداء التراتيل والصلوات وكذلك الاحتفالات الدينية، والسحر.

## قائمة الاختصارات

- ANET = Preitchard, J.B. (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1974, (Third Printing of the Third Edition).
- A.St.= Anatolion Studies, London.
- BE= Poebel, A., The Babylonian Expedition at the University of Pennsylvania, Series A: Cuneiform Texts, Philadelphia, 1909.
- CAD= Gelb, I.J., and Others, The Assyrian Dictionary, Chicago, 1964ff.
- CAH, Vol.I, The Cambridge Ancient History, Third Edition, Volume I, Part II, Cambridge, 1978.

- **CCT=** Smith S., Cuneiform Texts from Capadocian Tablets in the British Museum, Part 5, London, 1956.
- **HUCA=** Hebrew Union College Annual, Cincinnati.
- **Iraq=** Iraq. British School of Archaeology in Iraq, London.
- **JCS=** Journal of Cuneiform Studies, New Haven.
- **Kraus Ver-** Kraus, ER., Königliche Verfügungen  
**fugungen=** in altbabylonischer Zeit.
- **MSL=** Landsberger, B., The Series Hi- Sa  
and Related  
Texts.
- **Nbn =** Strassmaier, J.N., Inschriften Von Nabonidus, Leipzig, 1892.
- **Orientalia =** Orientalia Comment Periodici Pontific.  
Inst. Biblici, Nova Series, Rome.
- **RHA =** Revue Hittite et Asiatique, Paris.
- **TCL =** Jean, C.F., Contraintes, Paris, 1926.
- **VAS =** Kultepe Text and Siegelabrollungen,  
Berlin, 1992

## المصادر والمراجع

- (1) آسيا الصغرى (Asia Minor) تعرف أيضاً بإسم بلاد الأناضول (Anatolia) وهي تشمل اليوم كل الجزء الآسيوي من تركيا. انظر: (Encyclopedia Britannica, Vol.1, P.813)
- (2) من المعادن التي افتقرت إليها بلاد الرافدين الذهب، حيث جاء في النصوص المسمارية وبالصيغة السومرية (KV.GL) ويقابله بالأكدية (Hurasu) تفصيلاً، أنظر: CAD, H, P.245؛ والفضة وجاءت بالسومرية (KV.BABBAR) وبالأكدية (Kaspu)، تفصيلاً، أنظر: CAD, K, P.245؛ والقصدير الذي أطلق عليه بالسومرية (AN-NA) ويقابله بالأكدية (Annaku)، تفصيلاً، أنظر: CAD, A, P.127؛ والحديد (AN-BAR) بالسومرية ويقابله بالأكدية (Parazillu)، تفصيلاً أنظر: رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: ألير أبونا وآخرون، مراجعة وإشراف: عامر سليمان، بغداد، 2004، ص 49، Olmstead, A.T., History of Assyrian, Chicago, 1968, PP.44-53
- (3) شيماء علي النعيم، «من النشاطات الاقتصادية لمعابد بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (911-612 ق.م)»، مجلة دراسات موصلية، العدد (30)، شعبان 1431هـ/ آب 2010م، ص 72.
- (4) التاجر تمكارو Tamkaru بالأكدية والسومرية (IBIBA, TIBIRA) أنظر: CAD, P.397 رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص 53؛ كان التاجر محور الناشط التجاري، وكان يوكل إليه مهمات حكومية، أي كان وكيل حكومي أو رسول في مهامه ونشاطاته التجارية بالنيابة عن الملك. تفصيلاً أنظر: غيث سليم الزركاني، التمثيل الدبلوماسي في بلاد الرافدين (2800-539 ق.م)، بغداد، 2014م، ص 66.
- (5) حسين ظاهر حمود، «أهمية الرحلات التجارية الآشورية إلى بلاد الأناضول وتوطيد الصلات الحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد»، مجلة دراسات موصلية، العدد الثامن والعشرون، صفر 1431هـ/ شباط 2010م، ص 96؛ هيفي سعيد عيسى، وابتهاال عادل إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية لمعاهدات واتفاقيات بلاد الرافدين (2800-539 ق.م)»، مجلة الآداب، ملحق العدد (28)، آذار 2019م/ 1440هـ، ص 201.
- (6) تفصيلاً، أنظر: سامي سعيد الأحمد، «المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى»، مجلة سومر، العدد (33)، بغداد، 1977م، ص ص 70-96؛ Lewy, J., "On Some institutions of the Old Assyrian Empire", HUCA, 27, 1966. PP.13-21.
- Mellaart, J., "Anatolia c.2300-1750 B.C." CAH, Vol. I., part 2, P.694.
- (7) حسن النجفي، التجارة والقانون بدءاً من سومر، بغداد، 1982م، ص 52 كان للموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية في بلاد الرافدين دوراً مهماً في قيام التجارة، حيث أن موقعه

جعله مفتوحاً على الخارج وارتبطت أغلب أقسامه بطرق المواصلات الطبيعية فكان ذلك دافعاً مهماً للإهتمام بالشؤون التجارية والنقل، حيث توفرت طرق برية ونهرية للتفصيلات، أنظر: رضا جواد الهاشمي، «التجارة» موسوعة حضارة العراق، بغداد، 1985م، 2/197-200؛ هيفى عيسى، وإبتهال إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية»، ص207.

(8) رضا الهاشمي، «التجارة»، 2/196. تفصيلياً عن المعاهدات والاتفاقيات، أنظر: هيفى عيسى، وإبتهال إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية»، ص ص 202-203.

(9) ياسر هاشم الحمداني، جوانب من الخدمات في مدن العراق القديم: دراسة تاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، 2014م، ص216.

(10) استخدم هذا المصطلح في مراسلات العصر الآشوري الحديث ويعني هذا المصطلح (بيت مراقبة الطريق، أو محطة الطريق، مخفر الشرطة، محطة بريد)، إذ أن مصطلح (Bet) يعني بيت أو محطة، ومصطلح (Mardeti) يعني مرحلة أو مسافة بين أماكن التوقف. أنظر.

(11) Farhan, W. M. S., Communication in the New-Assyrian Empire, Unpublished Ph.D. Thesis, University of Wales, 1991, P.137

(12) هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1420هـ/1999م، ص ص 348-349.

(13) الإتاوة أو الضريبة السنوية وردت في اللغة السومرية (GV(VN) ويقابله بالأكدية Bil-tumaddatu تفصيلياً، أنظر: هيفى عيسى، وإبتهال إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية»، ص 216(53)؛ رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص87، CAP,B, NO12, P.23.

(14) أحمد لفنة رهمة القصير، «الفعاليات الآشورية في آسيا الصغرى»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، 2001م؛ أزهار هاشم شيت، «الأخشاب ومصدرها وأنواعها مجالات استخدامها عند الآشوريين»، مجلة آداب الرفادين، العدد (55)، الموصل، 2008م، ص ص 592-612.

(15) هيفى عيسى، وإبتهال إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية»، ص210.

(16) SAA, Vol. 2, P.11; Riner, E., "Akkadian. Treaties from Syria and Assyria", ANET, New Gersy, 1969, PP.531-541.

(17) عامر سليمان، «النظم المالية والاقتصادية - الأصول والتأثير»، العراق في موكب الحضارة - الأصول والتأثير، بغداد، 1988م، 1/274-275.

(18) حسين حمود، «أهمية الرحلات التجارية» ص96.

(19) عامر سليمان، «النظم»، 1/274-275.

- (20) ياسر الحمداني، جوانب، ص 216.
- (21) ياسر الحمداني، جوانب من الخدمات، ص 216.
- (22) استخدم هذا المصطلح في مراسلات العصر الآشوري الحديث، وسبق الحديث عنه. أنظر:
- (23) Farhon, W.M.S., communication in the New-Assyrian Empire, P.137.
- (24) تفصيلياً، أنظر: محمد وليد صالح، «العلاقات السياسية للدولة الآشورية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1967م، ص 20؛ لارسن، م.ت.، «آشور القديمة والتجارة الدولية»، سومر، مجلد (35)، بغداد، 1979م، ص 244؛ محمد عبداللطيف محمد علي، المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م)، الإسكندرية، 1984م، ص ص 72-93؛ أحمد لفقة محسن وسعد سلطان فهد، «مصطلح الكاروم Karum - في حضارة بلاد الرافدين من خلال النصوص المسمارية، مجلة الدراسات اللغوية والترجمة، العدد (30)، ص ص 30-38.
- (25) Lewy, H., "Anatolia in the Old Assyrian Period", CAH, Vol. I, Part 2, P.37, 47, 709, 722, 760 F.
- (26) Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria, London, 1984, P.33
- (27) ( Lewy, H., CAH, Vol.I, part 2, P.721, No.4.
- (28) Bottero, J., Others, The Near East: The Early Civilization, London, 1967, P.196.
- (29) أحمد محسن، سعد فهد، «مصطلح الكاروم»، ص 38.
- (30) محمد عبداللطيف محمد علي، المراكز التجارية الآشورية، ص 73
- (31) Lewy, "Anatolia", P.47, Nos. 79, 176.
- (32) Nbn, 499: 1; CAD, K, P.238.
- (33) Nbn, 499: 1; CAD, K, P.238:b
- (34) BE, 9, 54: 1; CAD, K, P.238.
- (35) Garelli, P., Les Assyriens en Cappadoce, Paris, 1963, P.203; Lewy, "Anatolia", P.196.
- (36) Garelli, Les Assyriens, P. 203.
- (37) CAD, K., P.237: B; Lewy, "Anatolia", P.P.37, 41; Smith, S., Cuneiform Texts from Cappadocian Tablets in the British Museum, Part I, London, 1921, P.10.
- (38) محمد عبداللطيف، المراكز التجارية، ص 81.

- (39) Leick, G., *The Babylonians An Introduction*, Routledge, London, 2003, P.167.
- (40) عن الضرائب، تفصيلياً، أنظر: محمد حلو داود الخрсان، «دور حضارة بلاد الرافدين في نشوء وتطور النظام المالي للدولة»، مجلة العلوم الاقتصادية، مجلد (5)، العدد (17)، العراق، 2006، ص ص 115-119؛ تيسير حمدي محمد علي، «الضرائب في العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي القديم»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1437هـ/2006م.
- (41) محمد عبداللطيف، المراكز التجارية، ص 82؛
- (42) Lewy. "Anatolia" CAH, Vol. I, Part 2, P.P.38-39,45
- (43) CCT, 5, 7b: 20; CAD, K, P.236:b
- (44) TCL, 20, 186: 7; CAD, K, P236: b
- (45) أحمد محسن، و سعد فهد: «مصطلح الكاروم»، ص 42.
- (46) BIN, 6, 72: 13.
- (47) MSL, 12, 239: AFO, 10. 39. No83: 4; CAD, K, P.239:a.
- (48) محمد عبداللطيف علي، المراكز التجارية، ص 82-83؛ محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1410هـ -1990م، ص 338.
- Garelli, Les Assyrians, PP.201-203.
- (49) محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص 338.
- (50) أحمد محسن، وسعد فهد، «مصطلح الكاروم»، ص 39.
- (51) أحمد محسن، وسعد فهد، «مصطلح الكاروم»، ص 41.
- (52) VAS, 26, 56: 26ff; CAD, R., P.118: a.
- (53) Kraus Ver fugungen, 168, 62: 13.
- (54) أحمد محسن، وسعد فهد، «مصطلح الكاروم»، ص 42.
- (55) Kraus Ver fugungen, 168, 62: 13.
- (56) محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، ص 336-337، As- Saggs, H. W. F., P.27.
- (57) محمد عبداللطيف، المراكز التجارية الآشورية، ص 3-18، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، لندن، 2009م، ص 528، Lewy, H., "Aratolia.", Vol. I, Part 2, P.P. 712, 721, 728.
- (58) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص 531، رضا جواد الهاشمي، «التجارة»، ص 207-208.

- (59) طه باقر، مقدمة...، ص 531-532، رضا جواد الهاشمي، «التجارة»، ص 207-209، عامر سليمان، العصر الآشوري، العراق في التاريخ القديم، بغداد 1983م، ص 125-126  
Saggs, H.W.F., Assyria-, P.30-33, 126
- (60) حسن ظاهر حمود، «التجارة في العصر البابلي القديم» رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995م، ص 199.
- (61) سامي سعيد الأحمد، ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول)، بغداد (د.ت)، ص 234، محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، 339؛  
Lewy, H., "Anatolia..", Vol. I, part 2, P.708, CAH, Vol. I, Part 2, 1001
- (62) Venhof, K.R., "Some Social Effects of Old Assyrian Trade", Iraq, Vol.39. No.1-2, 1977, P.P.111-112.
- (63) تمثل الألواح المسمارية التي عثر عليها العلماء في قانش (Kanish) و مو قعها في كول تبه (Kultepe) وهي أكثر من 14000 لوح تتعلق بالنشاط للتجار الآشوريين في آسيا الصغرى، أنظر: Saggs, H.W.F. Assyria, P.29. كما عثر العلماء في بوزغازكوي (Bogazkoy) (وهي حتوساس أو حتوشاش (Khattusha) القديمة، عاصمة الحثيين) الوثائق المدونة الوحيدة التي وصلت إلينا عن التاريخ والحضارة الحثية التي تُعد أقوى التنظيمات السياسية في الشرق الأدنى تأتينا من الألواح المسمارية التي عُثر عليها في بوزغاز كوي. ويشمل هذا الأرشيف الذي يتألف من قرابة 25000 لوح سجلات عن الحياة الاجتماعية والسياسية والتجارية والعسكرية والدينية والتشريعية والفنية في تلك الفترة. أنظر عن التعريف بهذه الألواح: Goetze, A., "Suffxes in 'Kanishite' Proper Names", RHA, 18, 1960, P.45
- (laart Mellaart, J. "Ana-، أنظر: 1880 ق.م)، العشريين من حكم إيشوم الأول (أي حوالي 1880 ق.م)، أنظر: tolian. Chronology in the Early and Middle Bronze Age", A. St., 7, 1957, P.P.56-57
- (64) Venhof, "Some Social", P.109.
- (65) Venhof, "Some Social", P.112.
- (66) قانش أو كانش (Kanish, Kanesh) يوجد موضعها الأثري المسمى «كول تبه» (Kultepe) في منطقة «كبادوكيه» (Cappadocia): طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص 529.
- (67) سامي الأحمد، ورضا الهاشمي، تاريخ، ص 235.
- (68) Veysel Donbaz, An Old Assyrian Treaty from Kultepe", JCS, Vol. 57, 2005, P.P.63-63.

- (69) سامي الأحمد، «المستعمرة الآشورية»، ص88.
- (70) محمد سياب محان، المعاهدات السياسية في العراق القديم، تموزه للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011، ص131.
- (71) سامي الأحمد، ورضا الهاشمي، تاريخ، ص235.
- (72) Venhof, "Some social", P.110.
- (73) Dombaz, Veysel, "For Old Assyrian Tablets from the City of Assur", JCS, Vol.26, No.2, 1974, P.80.
- (74) حمود، «أهمية الرحلات التجارية» ص99.
- (75)
- (76) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي، «أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1996، ص44.
- (77) Venhof, "Some social", PP.110-113.
- (78) سامي الأحمد، ورضا الهاشمي، تاريخ، ص235.
- (79) عامر سليمان، الكتابة المسمارية، الموصل، 2000م، ص28؛ Lewy, H., "Anato-28", CAH, Vol. I, Parts 2, P.694-696.
- (80) عامر سليمان، اللغة الأكديّة (البابلية والآشورية)، الموصل، 1991م، ص45.
- (81) فاضل عبدالواحد علي، «الكتابة واللغة والأدب»، العراق في موكب الحضارة والأصالة والتأثير، 1988م، 1/194.
- (82) عن الديانة الحثية تفصيلياً، أنظر: خلف زيدان خلف سلطان الحديدي، «الديانة الحثية في بلاد الأناضول»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1433هـ/2012م.
- (83) Drivor, G.R. and John C. Miles, The Assyrian Laws, Oxford, 1935.
- (84) أنظر - أيضاً - فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، 1987م، ص ص 77-179؛ صلاح رشيد الصالحي، القوانين الحثية، تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، بغداد، 2010م.
- (85) عامر سليمان، النظم المالية، ص384.
- (86) فاضل علي، الكتابة، ص198.
- (87) ابتهاج الطائي، «أصالة» ص68.
- (88) رشيد الناصوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1388هـ/1969م، ص152.
- (89) أنو أو أنوم وهو إله السماء والأعالي. أنليل هو الإبن البكر لأنو. أيا إله الشمس في الأكدي وهو الإله أنكي عند السومريين وهو سيد الأرض. حول الآلهة بالتفصيل أنظر: د.ادوارد، م.ه.بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، دار

- الشرق العربي، بيروت 1420هـ - 2000م.
- (90) رشيد الناضوري، المدخل، ص152.
- (91) سامي الأحمد، و رضا الهاشمي، تاريخ، ص157؛ حسن حمود، «التجارة»، ص199.
- (92) رشيد الناضوري، المدخل، ص154.
- (93) سامي الأحمد، و رضا الهاشمي، تاريخ، ص158.
- (94) إبتهاال الطائي، «أصالة»، ص69.
- (95) رشيد الناضوري، المدخل، ص154؛ سامي الأحمد، ورضا الهاشمي، تاريخ، ص158.
- (96) حسن حمود، «التجارة»، ص199.
- (97) Larsen, M.T., Old Assyrian Procedure, Leiden, 1967, P.P.89, 100, 111, 108.
- (98) Blacan Kemal, "Contribution to the Understanding of the Idian of the Old Assyrian Merchants of Kanis", Or. NS., Vol. 36, 1967, P.395.
- (99) وليد محمود الجاور، التقنيات الأولى (العجلة وصناعة المعادن)، العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير، 1988م، ص1/91.
- (100) عامر سليمان، النظم المالية، ص413.

## المراجع [1] العربية:

- (1) حسن النجفي، التجارة والقانون بدءاً من سومر، بغداد، 1982م.
- (2) 2- رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار المكتبة الجامعية العربية، بيروت، 1388هـ/1969م.
- (3) رضا جواد الهاشمي، «التجارة»، موسوعة حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، 1985م.
- (4) سامي سعيد الأحمد، ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم (إيران والأناضول) بغداد، (د.ت).
- (5) صلاح رشيد الصالحي، القوانين الحثية، تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، بغداد، 2010م.
- (6) عامر سليمان، اللغة الأكديّة (البابلية والآشورية)، الموصل، 1991م.
- (7) \_\_\_\_\_ الكتابة المسمارية، الموصل، 2000م.
- (8) \_\_\_\_\_ العصر الآشوري، العراق في التاريخ القديم، بغداد، 1983م.
- (9) غيث سليم الزركاني، التمثيل الدبلوماسي في بلاد الرافدين (2800-539ق.م)، بغداد، 2014م.
- (10) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، 1987م.
- (11) محمد سياب محان، المعاهدات السياسية في العراق القديم، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م.
- (12) محمد عبداللطيف محمد علي، المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثاني عشر ق.م)، الإسكندرية، 1984م.
- (13) ياسر هاشم الحمداني، جوانب من الخدمات في مدن العراق القديم: دراسة تاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، 2014م.

## [2] المترجمة:

- (14) د. ادزارد، م.هـ بوب، ن. رولينخ، قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، دار الشرق العربي، بيروت، 1420-2000م.
- (15) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: ألبير أبونا ، وآخرون، مراجعة وإشراف: عامر سليمان، بغداد، 2004م.
- (16) هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1420هـ/1999م.

## [3] الأجنبية:

- (17) The Cambridge Ancient History, 3<sup>rd</sup> Edition, Vol. I, Part 2, Cambridge, 1978.
- (18) Farhon, W. M. S., Communication in the New- Assyrian Unpublished Ph.D. Thesis, University of Wales, 1991.
- (19) Garelli, P., Les Assyriens en Cappadoce, Paris, 1963.
- (20) Larsen, M.T., Old Assyrian Procedure, Leiden, 1967.
- (21) -Leick, G., The Babylonians An Introduction, Routledge, London, 2003.
- (22) 22-Olmstead, A.T., History of Assyrian, Chicago, 1968.
- (23) 23-Pottero, J., Others, The Near East: The Early Civilization, London, 1967.
- (24) 24-Saggs, H.W.F., the Might That Was Assyria, London, 1984.
- (25) 25-Smith, S., Cuneiform Texts from Cappadocian Tablets in the British Museum, Part I, London, 1921.

## ثانياً: الرسائل العلمية:

### [1] العربية:

- (26) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي، «اصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

- الآداب، جامعة الموصل، 1996م.
- (27) أحمد لفته رهمة القصير، «الفعاليات الآشورية في آسيا الصغرى»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، 2001م.
- (28) تيسير حمدي محمد علي، «الضرائب في العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي القديم»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1437هـ/2006م.
- (29) محمد وليد صالح، «العلاقة السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1967م.
- (30) حسن ظاهر حمود، «التجارة في العصر البابلي القديم»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995م.
- (31) خلف زيدان خلف سلطان الحديدي، «الديانة الحثية في بلاد الأناضول»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1433هـ/2012م.

## [2] الأجنبية:

- (32) Farhon, W. M. S., Communication in the New- Assyrian Empire, Unpublished Ph.D. Thesis, University of Wales, 1991.

## ثالثاً: الموسوعات:

- (33) عامر سليمان، «النظم المالية والاقتصادية - الأصالة والتأثير»، العراق في موكب الحضارة - الأصالة والتأثير، الجزء الأول، بغداد، 1988م.
- (34) فاضل عبدالواحد علي، «الكتابة واللغة والأدب»، العراق في موكب الحضارة والأصالة والتأثير، الجزء الأول، 1988م.
- (35) وليد محمود الجور، التقنيات الأولى (العجلة وصناعة المعادن)، العراق في موكب الحضارة - الأصالة والتأثير، الجزء الأول، 1988.

- (36) Encyclopaedia Britannica.

## رابعاً: الدوريات:

### [1] العربية:

- (37) أحمد لفته محسن، وسعد سلطان فهد، «مصطلح الكاروم Karum في

- حضارة بلاد الرافدين من خلال النصوص المسمارية»، مجلة الدراسات اللغوية والترجمة، العدد (30).
- (38) أزهار هاشم شيت، «الأخشاب ومصادرها وأنواعها ومجالات استخدامها عند الآشوريين»، مجلة آداب الرافدين، العدد (55)، الموصل، 2008م.
- (39) حسين ظاهر حمود، «أهمية الرحلات التجارية الآشورية إلى بلاد الأناضول وتوطيد الصلات الحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد»، مجلة دراسات موصلية، العدد الثامن والعشرون، صفر 1431هـ/شباط 2010م.
- (40) سامي سعيد الأحمد، «المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى»، مجلة سومر، العدد (33)، بغداد، 1977م.
- (41) شيماء علي النعيمي، «من النشاطات الاقتصادية لمعابد بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (911-612 ق.م)»، مجلة دراسات موصلية، العدد (30)، شعبان 1431هـ/آب 2010م.
- (42) محمد حلو داود الخرسان، «دور حضارة ببلاد الرافدين في نشوء وتطور النظام المالي للدولة»، مجلة العلوم الاقتصادية، مجلد (5)، العدد (17)، العراق، 2006م.
- (43) هيفي سعيد عيسى، وابتهاال عادل إبراهيم، «الدوافع الاقتصادية لمعاهدات واتفاقيات بلاد الرافدين (2800-539 ق.م)»، مجلة الآداب، ملحق العدد (128)، آذار 2019م/1440هـ.
- (44) [2] المترجمة:
- (45) -44 لارسن، م.ت.، «آشور القديمة والتجارة الدولية»، سومر، مجلد (35)، بغداد، 1979م.
- (46) [3] الأجنبية:
- (47) Blacan Kemal, "Contribution to the Understanding of the Idian of the Old Assyrian Merchants of Kanis", Or. NS., Vol. 36, 1967.
- (48) Dombaz, Veysel, "For Old Assyrian Tablets from the City of As-sur", JCS, Vol.26, No.2, 1974.

- (49) Goetze, A., "Saffxes in (Kanishite) Proper Names", PHA, 18, 1960.
- (50) Lewy, H., "Anatolia in the Old Assyrian, Period", CAH, Vol.1, Part II.
- (51) Lewy, J., "Appropose of a Resent Study in Old Assyrian Chronology", Orientalia, 26, 1957.
- (52) Lewy, J., "On Some Institutions of the Old Assyrian Empire", HUCA, 27, 1966.
- (53) Mellaart, J., "Anatolian Chronology in the Early and Middle Bronze Age", A. St., 7, 1957.
- (54) Riner, E., "Akkadian Treaties from Syria and Assyria", ANET, New Gersy, 1969.
- (55) Venhof, K.R., "Some Social Effects of Old Assyrian Trade", Iraq, Vol.39, No.1-2, 1977.

## حياة السلاطين ووسائل تسليتهم ورياضتهم في دولة المماليك الجراكسة في مصر (784-923 هـ/1382-1517 م)

باحث

أ.مزمّل حسن الصديق الطيب

### المستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على حياة السلاطين في دولة المماليك الجراكسة، وتوضيح العديد من ملامح حياتهم الخاصة والعامة، بما فيها من تسلية ورياضة، وتظهر الأهمية في سردها لحياة سلاطين المماليك ووسائل تسليتهم ورياضتهم، والجوانب المصاحبة لها والتي أثرت في سياسة الدولة والحياة العامة في الدولة المملوكية، أمّا منهج الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن مظاهر الثروة العظيمة التي تمتع بها سلاطين المماليك أثرت تأثيراً كبيراً على حياتهم وتسليتهم ورياضتهم، وأكدت على جود فارق شاسع بين حياة سلاطين المماليك وعامة الشعب، وأن الكثير من وسائل التسلية والرياضة ارتبطت بالطبقة الحاكمة، والبعض من سلاطين المماليك كانوا يتخذون من وراء الألعاب الرياضية فرصة لتصفية الحسابات أو لحل الخلافات مع أمرائهم، وتوصي الدراسة بعدد من التوصيات أهمها: ضرورة إجراء مزيد من الدراسات للوقوف على كل تفاصيل حياة سلاطين المماليك لتكشف لنا الجوانب التي مازالت مغمورة من حياتهم، والاهتمام بدراسة وسائل التسلية والرياضة ومدى دورها في اكتساب الخبرة الحربية، والوقوف على الأسباب التي أدت إلى عدم اندماج المماليك وسلاطينهم في المجتمع المصري بصورة كاملة، وتسلط الضوء على حياة الترف والبذخ التي عاشها سلاطين المماليك ومدى تأثيرها على الاقتصاد المملوكي وحياة عامة الشعب للاستفادة منها مستقبلاً في توجيه سياسات الدول والحكام.

### Abstract:

This study aimed to know the life of the sultans in the state of the Circassian Mamelukes, and to clarify many features of their private and public life, including entertainment and sport, and show the importance in its narration of the life of the Mamluk Sultans, their means of entertainment and their sport, and the accompanying aspects that affected the state policy and public life in the state the Mamluk, as for the study curriculum, is the historical,

descriptive, and analytical method, and the study reached a number of results, the most important of which are: the manifestations of the great wealth enjoyed by the Mamluk sultans greatly affected their lives, their entertainment and their sport, and emphasized the existence of a wide difference between the lives of the Mamluk sultans and the general population, and that many from entertainment and sports were linked to the ruling class, and some of the Mamluk Sultans were using sports as an opportunity to settle scores or resolve disputes with their princes, and the study recommends a number of recommendations, the most important of which are: the need to conduct more studies to find out all the details of the life of the Mamluk Sultans to reveal the aspects that they are still overwhelmed by their lives, the interest in studying entertainment and sports and the extent of their role in gaining war experience, and the reasons that led to the failure to fully integrate the Mamluks and their sultans into Egyptian society, and shed light on the life of luxury and opulence that the Mamluk Sultans lived and the extent of its impact on the Mamluk economy and the life of the common people to benefit from in the future in guiding the policies of states and rulers .

## المقدمة :

اختلفت مكونات المجتمع المصري المملوكي في العديد من نواحي النشاط الإنساني، والنشاط الاقتصادي، ووسائل التسلية، واللعب واللهو، والأسرة وكيانها، فتطبع الحياة في مصر على عصر سلاطين المماليك بطابع خاص مميز، وأول هذه العوامل طبقة المماليك بالذات، وهي الطبقة التي دخلت على المجتمع المصري وحكمته حكماً مدة تزيد عن قرنين ونصف من الزمان، ولم يختلطوا طيلة هذه الفترة بالمصريين، ولم يتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم إلا في حالات قليلة، وجمعوا الثروات الطائلة، وظهر في مصر من مظاهر الثراء والبذخ ما لم يكن معهوداً، وانتشرت الأطعمة التي لم تكن معروفة قبلهم، وبالتالي اختلفت حياة السلاطين عن حياة عامة الشعب؛ عن طريق الثروة العظيمة والقصور الفخمة وفي وسائل التسلية والرياضة.

## حياة السلاطين:

أهم ما امتازت به حياة سلاطين المماليك فهي الثروة العظيمة، والشواهد على أن ثروة سلاطين المماليك كثيرة في المصادر المعاصرة، وحسبنا ما خلفه الواحد منهم عند وفاته من

القناطير المقنطرة من الذهب، عدا الفراء الثمينة والخيول المسومة وآلاف المماليك المشتراة<sup>(1)</sup>. ويعد بلاط السلطان الغوري أكبر مثال لبذخ المماليك الذي ليس له مثال، فقد استعمل الذهب الدقيق الصنع ليس في مائدته فحسب؛ بل في كل أرجاء القصر، وكما يُقال، حتى في صنع أدوات المطبخ، وأمّا لباس السلطان وأدوات زينته فقد جُمِلت بكل ما غلا ثمنه حيث كان يشد في وسطه حزاماً من ذهب، ويلبس في أصابعه الخواتم والياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والألماس وعين الهر<sup>(2)</sup>، وكان بلاطه يحوي آلاف المماليك الذين اشتراهم حديثاً، ولما خرج الغوري هذا لحرب السلطان سليم أودع أمواله قلعة حلب، فلما هُزم ومات استولى السلطان سليم على تلك النفائس التي قدرها المؤرخون بمبلغ (مائة مليون قطعة ذهبية)<sup>(3)</sup>. ولعل أكثر الأمثلة التي تبعث على الدهشة وتدل على التبذير في شراء الملابس هي القصة التي أوردها ابن تغري بردي بشأن خوند جلبان زوجة السلطان الأشرف برسبای التي أنفقت مبلغ ثلاثين ألف دينار على ثوب واحد، صنع خصيصاً لها من أجل حفل ختان ابنها الملك العزيز يوسف ولي العهد<sup>(4)</sup>، وأن تكاليف أحد أقمصه خوند زينب زوجة السلطان إينال قد فاقت في بعض الأحيان الاثني عشر ألف درهم<sup>(5)</sup>.

ومهما يكن في هذه الأمثلة من مبالغة واضحة، فإنها تعطينا فكرة عن ثروة سلاطين المماليك وأمرائهم في ذلك العصر، ولا عجب إذ استكملت القصور السلطانية جميع مظاهر الترف والعظمة من أثاث ورياش وناפורات وصنابير للمياه الباردة أو الحارة حسب الحاجة، بل بلغ الأمر بالسلاطين أن جلبوا الثلج من جبال الشام لتبريد الماء زمن الحر صيفاً، وذلك لكمال الرفاهية والأبهة<sup>(6)</sup>، وقرروا له هجناً تحمله في البر وسفنناً تحمله في البحر حتى يصل إلى القلعة حيث يحفظ بالشراب خاناه<sup>(7)</sup>.

وجرت العادة أن يمد السماط السلطاني<sup>(8)</sup> في طرفي النهار من كل يوم، ففي أول النهار يمد سماط لا يأكل منه السلطان، ثم سماط ثان بعد ذلك قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ويسمى الخاص، ثم سماط ثالث يكون منه مأكّل السلطان، أمّا آخر النهار فيمد سماًطان أو ثلاثة يأكل السلطان من ثالثهما<sup>(9)</sup>، وبعد الطعام توزع الأقسام المبردة المعمولة من السكر والمطوية بماء الورد على الحاضرين<sup>(10)</sup>.

وكان يعمل في سماط السلطان الظاهر برقوق كل يوم خمسة آلاف رطل لحم سوى الأوز والدجاج، وكان راتب السلطان المؤيد شيخ كل يوم ثمانمائة رطل، وسماط السلطان الأشرف برسبای بكرة وعشية ستمائة رطل<sup>(11)</sup>، وفي عام 915هـ/1509م كان سماط الغوري يحوي أربعمائة صحن صيني، وبسط من الأوز والدجاج والغنم ما لا حصر له، ومن اللحوم الأخرى ألف وخمسمائة رطل، ومن الدجاج ألف طير...<sup>(12)</sup>، وتولى هذه الأسمطة الجاشنكير، وعمله أن يأكل قبل السلطان خوفاً من أن يدس عليه السم في أكله أو شربه<sup>(13)</sup>. كذلك أمعن سلاطين المماليك في لبس الفاخر من الثياب، فأبدلوا ملابسهم ثلاث مرات في اليوم الواحد، ومع هذا فقد حكى بعض الرحالة الذين زاروا مصر في عصر المماليك أن

الرداء الذي يخلعه السلطان لا يلبسه مرة ثانية مطلقاً، وإنما توضع الملابس المخلوعة في مكان خاص حتى ينعم بها على أمرائه وخاصته<sup>(14)</sup>.

وأشرف على شؤون الملابس السلطانية أمير اسمه الجمدار<sup>(15)</sup>، كذلك احتفظ سلاطين الممالك بجماعة من البابية، للعناية بملابسهم وصقلها، وجرت العادة أن يرتدي السلاطين الملابس البيضاء صيفاً، والملابس الصوفية الملونة المبطنة بالمخمل وعليها الفراء الفاخر شتاءً، وزين السلاطين أصابعهم بخواتم الياقوت والزمرد والألماس<sup>(16)</sup>.

وعند مبيت السلطان يظل حوله عدد من أمرائه ومماليكه للسهر على حراسته، فيقسمون الليل بينهم كلما انقضت نوبة فئة أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، والمعروف أن النوبات التي تولت حراسة شخص السلطان ليلاً ونهاراً عددها خمس، ويكون تغييرها في الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح<sup>(17)</sup>، وحرصت فئات النوبة أن يكون لديها أطباق فيها أنواع المطجنات والبوارد والقشطة والجبن والموز حتى يتشغل أرباب النوبة في السهر حول السلطان بالمأكول والمشروب عن النوم، وذلك إذا أتعبتهم لعبة الشطرنج والقراءة في المصاحف<sup>(18)</sup>.

أما الحريم السلطاني، وهو المسمى الآدار الشريفة، فاحتوى على عدة قاعات تحيط بها البساتين والأشجار ومختلف الطيور والحيوانات الجميلة، وقد خصصت لكل واحدة من زوجات السلطان الأربع قاعة خاصة بها، فالقاعة الكبرى تعرف بالعواميد تقيم فيها خوند الكبرى ولها المكان المفضلة، من جملة أساسها مواعين من ذهب وفضة، وتخوت مفضضة وتخت مرصع بالذهب، ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضيء بالليل<sup>(19)</sup>، وقاعة رمضان بها خوند الثانية، والقاعة المخفريّة بها خوند الثالثة، والقاعة المعلقة وبها خوند الرابعة، هذا عدا قاعات أخرى برسم السراري والجواري<sup>(20)</sup>.

وأحيطت كل واحدة من زوجات السلطان بعدد كبير من الوصيفات، كما خصص لكل واحدة منهن أربعة طواشية (خصيان) بمثابة حرس دائم لها، لا يفارقونها في أي مكان تذهب إليه، فإذا رزق السلطان بذكر من إحدى زوجاته دقت البشائر بالقلعة، وأنعم على الأمراء بالخلع، وفي يوم السبوع تجتمع الخوندات ونساء الأعيان بالقلعة ويقام يوم حافل وتحمل القبة والطير على رأس أم المولود، كما يأمر السلطان بعمل مهد للمولود ربما كلفه آلاف الدنانير، ولم يسمح لأحد بالاقتراب من حريم السلطان سوى الطواشية<sup>(21)</sup>.

والظاهر أن الممالك لم يلتزموا بنوع من الاقتصاد في نفقاتهم الخاصة ليخففوا عن رعاياهم الأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقهم، وإنما استمروا يعيشون حياة البذخ والإسراف في الوقت الذي يئن فيه الناس من كثرة الالتزامات المفروضة عليهم، وفي نفس الوقت لم يتوقف السلاطين بالرغم من الضائقة الاقتصادية، عن شراء الممالك بأعداد كبيرة، وبأسعار باهظة، بالإضافة إلى الإنفاق على مشاريع غير إنتاجية مثل إقامة المنشآت<sup>(22)</sup>.

ففي عام 894هـ/1489م أعلن السلطان قايتباي أمام القضاة والأمراء أن جميع

ما في خزائن الدولة من أموال قد نفذ، وإذا به في العام التالي يقيم حفلاً لمناسبة ختان ابنه محمد استمر سبعة أيام، كانت مشهودة بما أنفق فيها من أموال، فاجتمع سائر مغاني البلد، ورسم السلطان بأن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الأسواق، وخرج الناس في القصد والفرجة عن الحد، فكانت تلك الأيام مشهودة لم يسمع بمثلها<sup>(23)</sup>.

## وسائل التسلية :

تعددت وسائل التسلية والترفيه في العصر المملوكي، فمنها ما اتصل بالرياضة أو الفنون أو الفروسية أو غيرها، ومن تلك الوسائل التي شملت جانباً خاصاً في حياة سلاطين المماليك:

**أ- مجالس الطرب والشراب:** أقبل المماليك على الاستمتاع بالحياة، وخصوصاً أن مصر بغناها وثروتها جعلت نفوسهم تميل نحو الابتهاج بالحياة، لذلك أقبلوا على الملاهي وأحاطوا أنفسهم بأربابها، فكان بعض السلاطين يميلون إلى سماع الموسيقى والغناء<sup>(24)</sup>، حتى جرت العادة أن يكون لكل سلطان أو ملك جوقة من المغاني عنده في داره<sup>(25)</sup>، ودفع ذلك بعض السلاطين إلى تقريب أرباب الموسيقى والغناء إليه، ففي عام 915هـ/1509م نصبت للسلطان الغوري خيمة كبيرة في سفح الأهرام، وكان معه جماعة من المغنين والموسيقيين، منهم محمد بن عونبة العواد وجلال السنطيري، وابن الليموني وغيرهم<sup>(26)</sup>.

وارتبط الطرب بمظاهر ترفيهية أخرى مصاحبة كالشراب وغيره، فأصبحت تقام مجالس للشراب والطرب، تدار فيها الكؤوس والخمر، وما يصاحبها من ولهو ومجون، فقد كان السلطان الناصر فرج مسرفاً على نفسه منهمكاً على شرب الخمر وسماع الزمور، وكان يستقبل زواره وهو في مجلس شرابه ويشربون معه<sup>(27)</sup>.

**ب- الشطرنج:** شغف كثير من سلاطين المماليك بلعب الشطرنج مع المقربين إليهم من الأمراء والعلماء والأدباء، بل حرص بعضهم إذا خرج في أسفاره أن تحمل معه كمية ضخمة من العاج برسم خراط الشطرنج، وإذا لعب السلطان بالشطرنج مرة واحدة أخذه بعد ذلك أرباب النوبة وجددوا غيره للسلطان<sup>(28)</sup>.

**ج- التنزه:** ومن ضروب التسلية السلطانية أيضاً الخروج للتنزه في أماكن متفرقة ظاهرة بالقاهرة مثل خليج الزعفران وغيره، وكان والي القاهرة يستغل هذه المناسبة لإقامة مهرجانات كبيرة يرمي فيها النفط وتشعل فتائل بالزيت في قشور البيض ثم ترسل على الماء لتكون بمثابة أسرجه موقدة على وجه النيل<sup>(29)</sup>، وحدث أحياناً أن يأمر السلطان بإحضار السفن المزينة التي تسير في ليالي وفاء النيل، فيجتمع الناس من كل مكان للفرجة في شاطئ النيل من بولاق إلى مصر، فمرت في تلك الليالي للناس من النزه والبسط ما لا مزيد عليه<sup>(30)</sup>، أمّا إذا صحب السلطان حريمه؛ فيطرد سائر الناس من الطرقات وتغلق الحوانيت، وحدث ذلك عندما صحب السلطان المؤيد زوجته خوند طغاي إلى بر الجيزة<sup>(31)</sup>.

وكان السلطان الأشرف قايتباي كثير الخروج للتنزه، تصحبه المغاني من رجال

ونساء، وبلغ من شغفه للتنزه أن توجه إلى الأهرام وهو ماشٍ وحوله الأمراء، وعملت هناك أسمطة حافلة، وصار بن رحاب المغني يغنى في كل ليلة وبقيّة مغاني البلد<sup>(32)</sup>، كما أن السلطان المؤيد كان يحب التنزه، فكثيراً ما كان يذهب إلى مواضع متعددة، فقد كانت حياته مثلاً لما كان يحدث في العصر المملوكي من مظاهر التنزه<sup>(33)</sup>، إذ كان أكثر السلاطين خروجاً للتنزه، وأنه أقام في نزحاته أكثر ممّا أقام في القلعة، وقد بقي في تنزهه خارج القلعة أحياناً شهراً متواصلاً رغم الآلام التي عانى منها في رجله<sup>(34)</sup>.

**د- مناقرة الديوك وتناكح الكباش والثيران:** شغف البعض من سلاطين المماليك بهذه التسلية، فقد كان السلطان الغوري مغرمّاً بهذه التسلية، فبعد أن يفرغ من لعب الكرة اعتاد الطلوع إلى الحوش والجلوس بالمقعد الذي به، ويحضر أمامه الثيران والكباش للنطاح، ويستمر في ذلك إلى ما بعد العصر، وتتناطح بين يديه الأفيال الكبار والسباع<sup>(35)</sup>.

**هـ- طيور الزينة:** اهتم بعض السلاطين بطيور الزينة، للتمتع بجمالها ومناظرها الساحرة، فالسلطان الغوري كان يطلق في بستانه الذي أنشأه تحت القلعة أقفاصاً بها طيور للزينة، ما بين هزارات وبلابل وشحارير وقماري ودجاج حبشي، وبط صيني وحجل، حتى صار هذا البستان جنة على الأرض<sup>(36)</sup>.

**و- المضحكون:** وكان لبعض السلاطين مضحكون، يضحكونهم في مجالسهم ومحافلهم فكان للغوري نداء يضحكونه في بعض مجالسه بألعابهم وحركاتهم وفكاهاتهم، منهم «علي باي» و«الشنقجي العجمي»<sup>(37)</sup>.

**ز- خيال الظل:** أمّا لعبة خيال الظل فكانت من أهم وسائل الترفيه في العصر المملوكي، واجتذبت الحكام والمحكومين إلى مشاهدتها، بل أن القصور كان يوجد بها بعض المخالين الذين كانوا يقدمون خيال الظل لساكني هذه القصور<sup>(38)</sup>، واعتمدت هذه اللعبة على تحريك دمي مصنوعة من الجلد خلف ستار مشدود من القماش يضيئه مصباح، وتباين موقف سلاطين المماليك من خيال الظل من سلطان إلى آخر، فمنهم من كان يبيحه ويشجعه، ومنهم من كان يتركه ولا يشجعه<sup>(39)</sup>.

ولعل كل ذلك يظهر أن سلاطين المماليك كانوا يبحثون عن كل المبهجات ووسائلها - على كثرتها- فلم يتركوا شيئاً يدخل السرور على أنفسهم إلاّ فعلوه<sup>(40)</sup>.

## الرياضة:

وما من شك أن المماليك كانوا يحبون الرياضة حباً شديداً، كتلك التي يمارسونها في الطباق وغيرها، والواقع أن الرياضة أصبحت فناً على أيديهم، وأخذت أشكالاً متعددة أهمها:

**أ- الفروسية:** وهي من الرياضات التي لا يمكن لمملوك أن يتجاهلها أو لا يمارسها، وساعد على ذلك تلك النشأة العسكرية للمماليك في ذلك الجو الحربي، حتى أصبح من لا يجيدها من المماليك محل مؤاخذه من الأمراء والسلاطين<sup>(41)</sup>.

وهي ألزم الأمور التي يجب أن يتحلّى بها السلاطين، فالسلطان إذا كان عالماً بأنداب<sup>(42)</sup>

الحرب بصيراً بحيلها، لا يزال أمره غالباً، وصيته بعيد في البلاد<sup>(43)</sup>، ولما كان عماد الفروسية، الفارس والفرس، فقد شغف سلاطين المماليك بالخيول، وبذلوا الكثير من الأموال في جلب الخيول الأصيلة<sup>(44)</sup>.

وتعلم الفروسية شمل أنواع أخرى من الرياضات المرتبطة بها مثل المهارة في ركوب الخيل، والمران على المصارعة، وسباق الخيل، واللعب بالرمح، ورمي النشاب، والضرب بالسيف وغير ذلك<sup>(45)</sup>، فقد كان السلطان الظاهر تمرّباً يصنع القوس بيده وكذلك النشاب، ثم يرمي بهما رمية لا يكاد يشاركه فيه أحد شرقاً ولا غرباً، وانتهت إليه رئاسة الرمي في زمانه، وله مع هذا اليد الطولى في فنّ الرمح وتعليمه<sup>(46)</sup>.

**ب- الصيد :** اشتهر بعض سلاطين المماليك بولعهم الشديد بريضة الصيد والقنص على اختلاف أنواعها، لما في ذلك من تمرين النفوس على اكتساب التأيد وحصول المسرة بكل ظفر جديد<sup>(47)</sup>، ولهذا الغرض اهتم السلاطين بعمل الأحواش في مختلف أقاليم الديار المصرية وزودوها بالشباك والصيداين<sup>(48)</sup>، وعملوا الميادين الفسيحة مثل ميدان القبق، كما اهتم السلاطين بطيور الصيد وكلابها على اختلاف أنواعها، فأنشأوا لها المطاعم وعينوا لهم البازدارية<sup>(49)</sup> يشرفون عليها تحت رقابتهم<sup>(50)</sup>.

وكانت سرحات الصيد موعدها عادة أيام الربيع، عندما يسرح السلطان عدة مرات إلى مواضع مخصوصة وجميع الأعيان في خدمته بالكامل<sup>(51)</sup>، وأهم هذه المواضع سرياقوس وشبرا والبحيرة، واعتاد سلاطين المماليك عند خروجهم للصيد أن ينعموا على أكابر أمراء الدولة بالأموال والخيول والسيوف والقماش وغير ذلك، وأن يصطحبوا معهم عدداً كبيراً من الأمراء والمماليك وكل ما تدعو الحاجة إليه من أطباق وكحالين وأشربة وعقاقير، فضلاً عن عدد كبير من الخيام<sup>(52)</sup>.

أمّا طريقة الصيد فهي أن تطلق الطير في الهواء ثم يرمى لها الحب لتهبط إليه ، ويضرب الأمراء حولها حلقة وهي لاهية في التقاط الحب فيذعرونها بضرب الطبول والسلطان والأمراء مترقبون لصيدها، وبعد أن يأخذ السلطان حظه من صيد الطير يتحول إلى اقتناص الوحوش، فتعدّ الخيل وتضرب العساكر حلقة كبيرة واسعة تطلق داخلها النعامات والظباء وبقر الوحش وغير ذلك، فيطاردها السلطان ومعه الجوارح الصائدة وعندئذ تموج الوحوش ويستولي عليها الذعر، وبعد أن يصيد السلطان منها كفايته يترك لأمرائه حرية الصيد<sup>(53)</sup>.

وكان السلطان برقوق مولعاً بالصيد، ويذكر أنه خرج للصيد ثمان مرات في شهر صفر عام 796هـ/ 1395م<sup>(54)</sup>، أمّا السلطان المؤيد شيخ فقد كان من شدة حرصه على ممارسة الصيد أنه يصطاد حتى وهو في طريقه إلى الحج، فيذكر أنه في ذي القعدة عام 817هـ/ 1416م خرج من قلعة الجبل وتصيد طيور الكراكي والسنافر وغيرها وكان ذلك وهو في طريقه إلى الحج<sup>(55)</sup>.

**ج- لعبة الكرة :** يعد لعب الكرة أو الأكرأة أو الجوكان من الرياضات الشهيرة عند المماليك، والاسم الشائع لها لعبة الكرة والصولجان حيث كان يستعمل بها عصاة طويلة لها نهاية معقوفة تسمى الصولجان أو جوكان تضرب بها الكرة من على ظهور الخيل<sup>(56)</sup>، وهي اللعبة المعروفة الآن باسم البولو<sup>(57)</sup>، وقد شغف بهذه اللعبة معظم السلاطين وأمرائهم، إذ كانوا يتخذون من لعب الكرة مظهراً للقوة والهمة وأبهة الملك<sup>(58)</sup>، والحرص على الظهور بمظهر القوة والسلامة أمام الرعية، حتى ولو كان السلطان مريضاً، ففي عام 920هـ / 1514م ابتداء السلطان الغوري بضرب الكرة في الميدان، ولكنه لم يضرب الكرة إلا ضرباً هيناً حتى يقال أن السلطان ضرب الكرة في هذه السنة<sup>(59)</sup>.

ومن مظاهر عناية سلاطين المماليك بهذه اللعبة أن أنشأوا لها الميادين ووضعوا لها نظاماً خاصاً، وحددوا أوقات وحفلات تلعب فيها، كذلك أعدوا لها ما يلزمها من خيول وأدوات، وخصصوا موظفين من المماليك يشرفون عليها يسمى الواحد منهم جوكندار<sup>(60)</sup>، وقد اعتاد السلاطين عند الخروج للعب الكرة أن يفرقوا حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين<sup>(61)</sup>.

وشهد الرحالة تافور<sup>(62)</sup> سلطان المماليك وأمراؤه يلعبون هذه اللعبة، فقال إن الميدان الفسيح الذي لعبوا فيه كان مقسماً ومخططاً بخطوط بيضاء، وعلى جانبي الميدان عدد كبير من فرسان المماليك بيد كل منهم عصاة طويلة، وفي وسط الميدان الكرة، ويهجم الجميع على الكرة في وقت واحد، ويقصد أحد الجانبين دفعها عبر الخط، على حين يحاول الفريق الآخر عمل ذلك بنفسه، فإذا تمكن أحد الجانبين من دفعها عبر الخط كان هو المنتصر<sup>(63)</sup>، وجرت العادة أن يقوم المهزوم بعمل وليمة كبيرة، وربما وصلت تكاليف هذه الوليمة إلى مائتي ألف درهم نظراً لما يذبح فيها من مئات المواشي والخيول والطيور، عدا الحلوى والمشروبات، وفي بعض الأحيان يتحمل السلطان نفقات هذه الوليمة - رغم أنه الغالب - وذلك تخفيفاً عن الأمير المغلوب<sup>(64)</sup>.

وكان لعب الكرة يعتبر فرصة مناسبة لإجراء وتصفية العلاقات المتوترة بين السلطان من جهة وبين كبار الأمراء من جهة أخرى، أو بين كبار الأمراء المتحكمين في الدولة في حالة وجود سلطان ضعيف أو صغير مثلما كان السلطان برقوق يفعل حين كان أميراً كبيراً وحين كان سلطاناً<sup>(65)</sup>، كما أن السلطان كان يعرب عن رضاه وعفوه عن أي أمير بدعوته للعب الكرة، مثل ما فعله السلطان قايتباي مع الأمير خير بك إذ دعاه إلى لعب الكرة بعد أن كان غاضباً عليه<sup>(66)</sup>.

**د- رمي القبق:** ومن الألعاب الرياضية التي شغف بها أيضاً سلاطين المماليك رمي القبق، والأصل في رمي القبق هو إتقان علم ركوب الخيل وحبس رؤوسها بالجم، والتدريب عليها في الكر والفر حتى يتعودها الفارس ويصير له ذلك عادة<sup>(67)</sup>.

وتفصيل هذه اللعبة هو أن تنصب خشبة عالية في ميدان اللعب ويعمل بأعلامها دائرة من خشب وتقف الأمراء بقسيها وترمي بالسهم جوف الدائرة لكي تمر من داخلها إلى هدف معين، وذلك تمريناً لهم عن إحكام الرمي<sup>(86)</sup>، وأحياناً يكون بدل هذه الدائرة شكل قرعة عسلية - واسمها بالتركية القبق - من ذهب أو فضة ويكون في القرعة طير حمام، ثم يأتي اللاعبون للمباراة في رمي الهدف بالنشاب أو السهم وهم على ظهور الخيل، فمن أصاب القرعة وطير الحمام خُلِعَ عليه خلعة تليق به ثم يأخذ القرعة<sup>(96)</sup>.

ويبدو أن السلاطين اعتادوا لعب القبق - أو يأمرؤن بلعبه - فقد كان الأشرف قانصوة الغوري يشجع تلك اللعبة ويقبل عليها<sup>(70)</sup>، وعند رمي القبق يرتدي المماليك السلطانية أجمل العدد والخوذ والآلات، وكثيراً ما انتهى أمر لعبة القبق إلى الطعان بالرمح أو الدبابيس أو السيوف فينقسم اللاعبون لفريقين عقب لعب القبق، ويأخذون في المباراة والطعان، فلا يرى الناس إلا سيوفاً تبرق<sup>(71)</sup>.

**هـ- رمي البندق:** ومن الألعاب المماليكية كذلك الرمي بالبندق، والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها وترمى بها الطيور، واعتبر أن رمي البندق وسيلة للتدريب على الرمي بهدف إجادة فنونه، وكان لرامي البندق شأن كبير في العصور الوسطى بمختلف البلاد ومنها مصر، ومن السلاطين الذين اهتموا بهذه اللعبة السلطان قايتباي<sup>(72)</sup>.

**و- سباق الخيل والهجن:** كان لتلك الرياضة شأن عظيم حيث أقام السلاطين والأمراء مسابقات من الخيول والهجن في الأماكن الفسيحة الواسعة مثل بركة الحبش أو ميدان القبق<sup>(73)</sup>، ويذكر المقرئزي أنه رأى بميدان القبق عواميد من رخام تعرف بعواميد السباق، بين كل عامودين مسافة بعيدة، وأنه كان بين قبة الإمام الشافعي وباب القرافة ميدان تتسابق فيه الأمراء والأجناس، وكان المماليك يتراهنون كالعرب، وأسلوب السباق الذي نراه في الساحة نفس أسلوب اليوم<sup>(74)</sup>، وبعد أن عُوفي السلطان المؤيد شيخ من مرضه ركب في شعبان 822هـ/ 1419م من القلعة ونزل للفرجة على سباق الخيل تحت قبة النصر، وقد أعد للسباق أربعين فرساً فأطلق أعنتها من بركة الحاج فأجريت منها حتى أنته ضحى النهار فحصل له برؤيتها النشاط<sup>(75)</sup>، كما كان يميل السلطان المؤيد أيضاً إلى سباق الهجن حيث ركب السلطان في نفس الشهر من قلعة الجبل إلى بركة الحبش وسابق بالهجن ثم عاد إلى القلعة<sup>(76)</sup>.

**ز- السباحة:** أما السباحة فقد كانت من وسائل الرياضة المهمة في العصر المملوكي، وروى المقرئزي أن السلطان المؤيد شيخ جمع خاصته ونزل إلى البحر وسبح فيه، وكثر تعجب الناس من قوّة سبجه رغم الألم الذي كان برجله وعجزه عن الحركة والقيام<sup>(77)</sup>.

## الخاتمة :

اختلفت حياة سلاطين الممالك ووسائل تسليتهم ورياضتهم عن عامة الشعب في مصر بدرجة كبيرة نتيجة لظروف المجتمع المصري في ذلك الوقت ، وطبيعة نشأة الممالك الذين أغراهم غنى مصر بالتفنن في الاستمتاع بمباهج الحياة، لذلك كان لوسائل التسلية والرياضة التي مارسها أفراد الطبقة الحاكمة أهمية خاصة كونهم يعيشون حالة من الترف والبدخ وحب الحياة ، وقد عرف عن الممالك بحكم نشأتهم أنهم كانوا معزولين عن عامة الشعب، ويعتبرون أنفسهم طبقة مميزة لها من الحقوق ما ليس لأفراد الشعب؛ لذا لم نستدل على أن أحداً من العامة كانت له مشاركة ايجابية في وسائل التسلية أو الرياضة مثل الفروسية والصيد وألعاب القبق والكرة على سبيل المثال .

## النتائج :

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

1. إن مظاهر الثروة العظيمة التي تمتع بها سلاطين الممالك أثرت تأثيراً كبيراً على حياتهم وتسليتهم ورياضتهم.
2. التأكيد على وجود فارق شاسع بين حياة سلاطين الممالك وعامة الشعب.
3. الكثير من وسائل التسلية والرياضة ارتبطت بالطبقة الحاكمة.
4. كان البعض من سلاطين الممالك يتخذون من وراء الألعاب الرياضية فرصة لتصفية الحسابات أو لحل الخلافات مع أمرائهم.

## التوصيات :

من أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

1. ضرورة إجراء مزيد من الدراسات للوقوف على كل تفاصيل حياة سلاطين الممالك لتتكشف لنا الجوانب التي مازالت مغمورة من حياتهم .
2. الاهتمام بدراسة وسائل التسلية والرياضة ومدى دورها في اكتساب الخبرة الحربية.
3. الوقوف على الأسباب التي أدت إلى عدم اندماج الممالك وسلاطينهم في المجتمع المصري بصورة كاملة .
4. تسليط الضوء على حياة الترف والبدخ التي عاشها سلاطين الممالك، ومدى تأثيرها على الاقتصاد المملوكي وحياة عامة الشعب، للاستفادة منها مستقبلاً في توجيه سياسة الحكام .

## المصادر والمراجع

- (1) سعيد عاشور ، المجتمع في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار النهضة العربية ط 2 ، 1992م ، ص72.
- (2) محمود رزق سليم ، الأشرف قانصوة الغوري ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ط1 ، 2017م ، ص178.
- (3) أنور زقلمة ، مرجع سابق ، ص 177.
- (4) - ابن تغري، بردي يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج15، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1963م، ج15 ص106.
- (5) أحمد عبدالرازق ، المرأة في مصر المملوكية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1999م ، ص200-201.
- (6) القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج14، تحقيق: يوسف الطويل، دمشق، دار الفكر، ط1، 1987م، ص440.
- (7) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ط1 ، 1893م ، ص117.
- (8) السِّمَاط السلطاني : ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين ، ويطلق أحياناً على المائدة السلطانية ، حيث كانت تمتد طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء (محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط1 ، 1990م ) ص192.
- (9) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص73.
- (10) المقرئزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1418 هـ ، ص 367 .
- (11) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج1، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ط1، 1306هـ ، ص 53.
- (12) محمود رزق سليم ، مرجع سابق ، ص 180 .
- (13) محمد عبدالله سالم ، مرجع سابق ، ص83.
- (14) سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص 74 .
- (15) الجمدار : وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما «جاما» ومعناها الثوب والثاني «دار» ومعناه فيكون المعنى ممسك الثوب (القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ج5) ص431.
- (16) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سبق ذكره ، ص 74
- (17) المرجع نفسه ، ص 75 .

- (18) المقرزي ، المواعظ والاعتبار ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 367.
- (19) إبراهيم طرخان ، مرجع سابق ، ص 311 .
- (20) ابن شاهين ، مصدر سابق ، ص 27 .
- (21) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص 76 .
- (22) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، بيروت ، دار النفائس ، ط 1 ، 1997م ، ص 566 .
- (23) عبدالعزيز سالم ، مرجع سابق ، ص 144.
- (24) لطفي أحمد نصار ، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1 ، 1999م ، ص 128 .
- (25) ابن تغري يردي ، النجوم الزاهرة ، مصدر سابق ، ج 11 ، ص 8 .
- (26) محمود رزق سليم ، مرجع سابق ، ص 177.
- (27) لطفي أحمد نصار ، مرجع سابق ، ص 120 .
- (28) ابن تغري يردي ، النجوم الزاهرة ، مصدر سبق ذكره ، ج 12 ، ص 56.
- (29) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص 78 .
- (30) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج 7 ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1986م ، ص 354 .
- (31) ابن تغري بردي ، مصدر سابق ، ج 9 ، ص 74 .
- (32) لطفي أحمد نصار ، مرجع سابق ، ص 140.
- (33) فاضل جابر ضاحي ، وسائل التسلية للطبقة الحاكمة في عصر المماليك الجراكسة ، مجلة كلية التربية ، العدد الثامن عشر ، 2018م ، ص 103.
- (34) محمد الششتاوي ، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط 1 ، 1999م ، ص 272.
- (35) محمود رزق سليم ، مرجع سابق ، ص 183.
- (36) أشرف سمير توفيق ، مرجع سابق ، ص 384.
- (37) محمود رزق سليم ، مرجع سابق ، ص 180 .
- (38) قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي) ، الجيزة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط 1 ، 1998م ، ص 338.
- (39) فاضل جابر ضاحي ، مرجع سابق ، ص 113.
- (40) لطفي أحمد نصار ، مرجع سابق ، ص 199.
- (41) المرجع نفسه ، ص 182 .
- (42) الانداب: تمارين رمي الأسهم ، وتليها تمارين حركة العسكر وتمرارين الحرب وكذلك

- تمارين حربية عسكرية من أنواع أخرى ، بيتر ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية، ج10 ، تحقيق : محمد سليم النعيمي و جمال الخياط ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ، ط1 ، -1979/2000 م ) ص 188 .
- (43) البدر العيني ، محمود بن أحمد بن موسى ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ الحمودي) ، تحقيق : فهم محمد علوي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط2، 1998م ، ص229.
- (44) أشرف سمير توفيق ، مرجع سابق ، ص398.
- (45) الباز العريني ، المماليك ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1، 1967م ، ص98.
- (46) ابن تغري يردى ، النجوم الزاهرة ، مصدر سابق ، ج16، ص 374.
- (47) القلقشندي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص189.
- (48) ابن شاهين ، مصدر سابق ، ص128.
- (49) البازدار : جمعها بزادرة وبازدارية ، وهو المسؤول عن حمل الطيور والجوارح المعدة للصيد على يده أثناء خروج السلطان للصيد ، والنسبة هنا إلى الباز(الصقر) أحد الجوارح من الطير (محمد عبدالله سالم ، مرجع سابق) ص56.
- (50) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص 79 .
- (51) ابن شاهين ، مصدر سبق ذكره ، ص128 .
- (52) أشرف سمير توفيق ، مرجع سابق ، ص406.
- (53) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص 81.
- (54) -الصيرفي ، علي بن داؤود ، نزهة النفوس والأبدان ، تحقق : حسن حبشي ، القاهرة ، دار الكتاب، ط1، 1997م، ص374-375.
- (55) أشرف سمير توفيق، مرجع سبق ذكره ، ص 408.
- (56) محمد الششتاوي ، ميادين القاهرة في العصر المملوكي ، القاهرة ، دار الوفاق العربية، ط1 ، 1999 ، ص25
- (57) البولو : وهي من كلمة في التبت تنطق «Pulu» ، وجعلتها اللهجة الهندية البالتية «Polo» ومعناها كرة Ball (ديورانت ، ويليام جيمس ، قصة الحضارة ، ج3، ترجمة : الدكتور زكي نجيب وآخرين ، بيروت ، دار الجيل ، ط1 ، 1988م ) ص192.
- (58) لطفي أحمد نصار ، مرجع سابق ، ص248 .
- (59) ابن إياس ، مصدر سابق ، ج4 ، ص372.
- (60) جوكندار : وهو لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة وجمع على جوكان دارية وهو مركب من لفظتين فارسيتين أيضا إحداها جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضا والثانية دار ومعناه ممسك (القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ج 5) ص 430 .

- (61) القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 57 .
- (62) تافور : هو بيرو خوان دياز تافور ولد في إشبيلية في عام 1410م ، وقام برحلته هذه والتي امتدت من 1435-1439م ، وكان مجال رحلته بعض الأقطار الأوربية ومصر (تافور ، مصدر سابق) ص ل- ن .
- (63) تافور ، مصدر سابق ، ص74 .
- (64) -64 محمد الششتاوي ، ميادين القاهرة ، مرجع سابق ، ص27 .
- (65) -65 المرجع نفسه ، 28 .
- (66) -ابن إياس ، محمد بن احمد ، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج3 ، مصر ، مطابع الشعب ، ط1 ، 1960م .
- (67) ، ، ص87-88 .
- (68) لطفي أحمد نصار ، مرجع سابق ، ص199 .
- (69) المقرئزي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص200 .
- (70) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، مصدر سابق ، ج8 ، ص16 .
- (71) -70 محمود رزق سليم ، مرجع سابق ، ص182 .
- (72) -71 سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، مرجع سابق ، ص83 .
- (73) -72 أشرف سمير توفيق ، مرجع سابق ، ص409 .
- (74) -73 القيق : لفظة تركية وتعني خشبة بأعلامها دائرة يرمي الرماة من خلالها بالقسي من على ظهور الخيل ، وهناك ميدان خصص لهذا النوع من الفروسية سمي ميدان القيق ( محمد عبدالله سالم ، مرجع سابق) ص234 .
- (75) -74 جمال الغيطاني ، ملامح القاهرة في ألف سنة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1997م ، ص43 .
- (76) -75 ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، مصدر سابق ، ج14 ، ص88 .
- (77) -76 ابن حَجَر ، مصدر سابق ، ج3 ، ص200 .
- (78) -77 ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، مصدر سبق ذكره ، ج14 ، ص98 .
- قائمة المصادر والمراجع:**
- أولاً : المصادر :**
- (79) ابن إياس ، محمد بن احمد ، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مصر ، مطابع الشعب ، ط1 ، 1960م .
- (80) ابن تغري ، بردي يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج6 ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ط1 ، 1963م .
- (81) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، ج1 ، تحقيق :محمد عبد المعيد خان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1986م .

(82) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ط1 ، 1893م .

(83) البدر العيني ، محمود بن أحمد بن موسى ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ الحمودي) ، تحقيق : فهمي محمد علوي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1998م .

(84) الصيرفي ، علي بن داؤود ، نزهة النفوس والأبدان ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ، دار الكتاب ، ط1 ، 1997 .

(85) القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج3 ، تحقيق : يوسف الطويل ، دمشق ، دار الفكر ، ط1 ، 1987م .

(86) المقرئزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1418 هـ .

### ثانياً : المراجع العربية :

(1) إبراهيم طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، 1960م

(2) أحمد عبدالرازق ، المرأة في مصر المملوكية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1999م .

(3) أنور زقلمة ، المماليك في مصر ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1995م .

(4) الباز العريني ، المماليك ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، 1967م

(5) جمال الغيطاني ، ملامح القاهرة في ألف سنة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1997م .

(6) سعيد عاشور ، المجتمع في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار النهضة العربية ط2 ، 1992م .

(7) عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1 ، 2004م . .

(8) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج1 ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ط1 ، 1306 هـ .

(9) قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي) ، الجيزة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 1998م .

(10) لطفي أحمد نصار ، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1999م .

(11) محمد الششتاوي ، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 1999م .

- (12) محمد الششتاوي ، ميادين القاهرة في العصر المملوكي ، القاهرة ، دار الوفاق العربية ، ط 1 ، 1999م .
- (13) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الممالك في مصر وبلاد الشام ، بيروت ، دار النفائس ، ط 1 ، 1997م .
- (14) محمد عبدالله سالم ، المعجم العسكري المملوكي ، عمان ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2010م .
- (15) محمود رزق سليم ، الأشرف قانصوة الغوري ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ط 1 ، 2017م .

### ثالثاً : المراجع العربية :

- (١) بيتر ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، ج 10 ، تحقيق : محمد سليم النعيمي و جمال الخياط ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ، ط 1 ، -1979 2000م .
- (2) ديورانت ، ويليام جيمس ، قصة الحضارة ، ج 3 ، ترجمة : الدكتور زكي نجيب وآخرين ، بيروت ، دار الجيل ، ط 1 ، 1988م .
- (3) طافور ، بيرو طافور ، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة : حسن حبشي ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .

### رابعاً : الدوريات :

- (1) أشرف سمير توفيق ، الحيوان والطير في البيوت السلطانية المملوكية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بنها ، العدد التاسع والعشرون ، يوليو 2012م .
- (2) فاضل جابر ضاحي ، وسائل التسلية للطبقة الحاكمة في عصر الممالك الجراكسة ، مجلة كلية التربية ، العدد الثامن عشر ، 2018م .

# دساتير الفترات الانتقالية والتحول نحو الديمقراطية في السودان (1953 - 1985م) (دراسة تاريخية)

أ.مساعد - قسم التاريخ والحضارة -  
جامعة القرآن والعلوم الإسلامية

د. مهند فاروق محمد أحمد

## المستخلص:

جاءت هذه الورقة بعنوان «دساتير الفترات الانتقالية والتحول نحو الديمقراطية في السودان (1953-1985م)» وقد هدفت الورقة للتعرف على التطورات السياسية التي قادت إلى تلك الدساتير الانتقالية واستعراض أهم ملامح تلك الدساتير الانتقالية وكيفية معالجتها للقضايا الملحة في تلك الفترات، وإلى أي مدى نجحت في حلحلة تلك القضايا، وتنبع أهمية الورقة في كونها تتناول بالدراسة والمناقشة دساتير الفترات الانتقالية في السودان (1953-1985م) وهي فترات مفصلية ومهمة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر وذلك لتأثيرها البالغ على مجمل الأحداث. وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أن الفشل في إعداد دساتير مؤقتة تواكب التطلعات هو السبب الرئيس في عدم نجاح الفترات الانتقالية في السودان، وقد استخدمت الورقة منهج البحث التاريخي الذي يقوم على عرض الحقائق وسردها وتحليلها. خلصت الورقة إلى عدة نتائج من أهمها أن الدساتير الانتقالية سبقتها اتفاقات ومواثيق شكلت مبادئ لهذه الدساتير. إضافة إلى عدم تلبية هذه الدساتير الانتقالية لرغبات وطموحات الجماهير والقوى السياسية مما أدى إلى اضطراب الفترات الانتقالية. كما ظل دستور 1956م المؤقت المرجعية القانونية لدستوري 1964 و1985م. عدم تحقق التحول الديمقراطي بسبب فشل تلك الدساتير.

## Abstract

This paper came under the title “Constitutions of the transitional periods and the transition towards democracy in Sudan (1953-1985AD).” The paper aimed to identify the political developments that led to these transitional constitutions and to review the most important features of these transitional constitutions and how they dealt with the pressing issues in those periods, and to what extent they succeeded In resolving these issues. The importance of the paper stems from the importance of the study in that it deals with study and discussion of the constitutions of the transitional periods in Sudan (1953-1985 AD), which are important and

articulated periods in the modern and contemporary history of Sudan, due to its great influence on all events. The paper starts from the premise that the failure to prepare temporary constitutions that keep pace with aspirations is the main reason for the failure of the transitional periods in Sudan, and the paper used the method of historical research that is based on presenting, narrating and analyzing facts. The paper concluded with several conclusions, the most important of which is that transitional constitutions were preceded by agreements and charters that formed principles for these constitutions. In addition to the failure of these transitional constitutions to meet the desires and aspirations of the masses and political forces, which led to the turmoil of the transitional periods. The 1956 provisional constitution also remained the legal reference for the 1964 and 1985 constitutions. The democratic transformation was not achieved due to the failure of these constitutions.

## المقدمة

شهد السودان خلال الفترة من 1953 إلى 1985م ثلاث فترات انتقالية كانت الفترة الاولى من 1953 الى 1956م وهي فترة الحكم الذاتي استعداداً لتسلم القوى الوطنية السودانية لحكم البلاد من الاحتلال، وقد قام المستعمر بتشكيل لجنة لإعداد دستور الحكم الذاتي الذي سينظم فترة الانتقال، أما الفترة الانتقالية الثانية فقد جاءت عقب ثورة أكتوبر 1964م وقد تم الاتفاق على ميثاق أكتوبر بين الأحزاب السياسية والنقابات التي قادت الانتفاضة ومن ثم تم الاتفاق على العمل بدستور 1956م المؤقت ليصبح الإطار المرجعي للفترة الانتقالية، بينما شهدت الفترة الانتقالية الثالثة والتي أطاحت بالرئيس جعفر نميري العمل بدستور 1985م المؤقت الذي أعده مجلس وزراء الفترة الانتقالية وأجازه المجلس العسكري الانتقالي ليكون هذا الدستور هو الإطار القانوني للفترة الانتقالية.

التطورات الدستورية التي قادت قانون الحكم الذاتي

مر السودان بعدد من المراحل الدستورية قبل اتفاق الحكم الذاتي، فقد طالب مؤتمر الخريجين عبر مذكرة إلى الحاكم العام في إبريل 1942م بعدد من المطالب الدستورية والسياسية من أهمها حق تقرير المصير بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، حينها أظهرت الحكومة البريطانية نواياها وخططها لإشراك السودانين في الحكم وعلى هذا الأساس تم تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان في عام 1943م ولعل اسمه يدل على أمرين صفته الاستشارية المحضة وانه قاصر على شمال السودان.<sup>(1)</sup>

وأعطى قانون المجلس الحاكم العام سلطات مطلقة منها إيقاف أي عضو داخل المجلس، كما يحق للحاكم العام قفل باب النقاش في أي مسألة وللحاكم العام حق تحديد زمان ومكان الجلسات، تعرض المجلس لانتقادات كبيرة كون أنه يهدف لفصل الشمال عن الجنوب إضافة لطبيعة تكوينه لأنه عبارة عن مجلس معين بواسطة الحاكم العام وعضويته من نظار القبائل وأعضاء مجالس المديریات ورجال الإدارة الأهلية الذين لا حظ لهم من التعليم.<sup>(2)</sup>

اقتрحت حكومة السودان في لندن لتلافي عيوب المجلس الاستشاري بإعطائه سلطات تنفيذية اجتماعية واقتصادية ولتحقيق ذلك المقترح تم تشكيل مؤتمر إدارة السودان في عام 1946م ومهمته البحث في كيفية إشراك السودانيين في إدارة بلادهم بصورة فعالة أوصى المؤتمر بتعديل دستور المجلس الاستشاري ليكون جمعية تمثل الشعب بصورة أوسع لتكون خطوة نحو الحكم الذاتي.<sup>(3)</sup>

وافق المجلس الاستشاري على توصيات مؤتمر إدارة السودان التي تضمنت قيام جمعية تشريعية ومجلس تنفيذي وأصدر الحاكم العام في 19/ يونيو/ 1948م قانون المجلس التنفيذي والجمعية التشريعية وأصبح ساري المفعول بقيام الجمعية التشريعية في ديسمبر 1948م. وبقيام الجمعية التشريعية دخل السودان مرحلة جديدة في التطورات الدستورية.<sup>(4)</sup> ويمكن الإشارة إلى أن وجود المجلس التنفيذي والجمعية التشريعية تعد خطوة مهمة في تاريخ التطور الدستوري في السودان.

تكونت الجمعية التشريعية من تسعة وسبعين عضواً منهم ثلاثة عشر يمثلون المديریات الجنوبية وأربعة أعضاء من البريطانيين بحكم مناصبهم في المجلس التنفيذي ويقوم الحاكم العام بتعيين عشرة أعضاء مراعيًا تمثيل مصالح تلك الفئات التي اقرت مبدأ قيام هذه الجمعية والتي تكونت من أعضاء بحكم وظائفهم وأعضاء منتخبين وأعضاء معينين.<sup>(5)</sup>

تمثلت اختصاصات الجمعية التشريعية في مهام تشريعية وأخرى مالية وذلك بالتداول والنظر في مشروعات القوانين المقدمة من الجهاز التنفيذي فقد كان للجمعية الحق في المداولات وإتخاذ القرارات وتوجيه الاسئلة إذ كان الغرض الاساسي لحكومة السودان من إنشاء تلك الجمعية هو إتاحة الفرصة للسودانيين ليتدربوا على الطرق البرلمانية في المناقشات وطرح الاسئلة والاقتراحات.<sup>(6)</sup>

ادركت حكومة السودان ضعف الجمعية التشريعية كجهاز نيابي لغياب فئات مؤثرة من الرأي العام عنها لذا كانت المحاولات لجعل الجمعية أكثر تمثيلاً بتعديل قانونها تمهيداً للحكم الذاتي وتقرير المصير كما تضافرت عوامل داخلية وخارجية جعلت هذا التعديل ضرورياً.<sup>(7)</sup>

كان محمد أحمد محبوب عضو حزب الأمة أول من طالب بتحديد زمن لتقرير

المصير في عام 1956م ليتزامن ذلك مع موعد انتهاء معاهدة 1936م<sup>(8)</sup> وأشار إلى أن نصيب السودانين في توجيه سياسة بلادهم الداخلية اتسمت بالغموض وعدم التحديد ولذا لا بد من تعديل قانون المجلس التنفيذي والجمعية التشريعية ليسمح بتكوين وزارة سودانية تكون مسئولة تماماً أمام هذه الجمعية ولقد وصل السودانيون الى مرحلة يستطيعون معها مزاوله الحكم الذاتي.<sup>(9)</sup>

على ذلك أصدر الحاكم العام في السودان في 29 مارس 1951م أمراً بتكوين لجنة مشتركة من داخل وخارج الجمعية التشريعية عرفت بلجنة تعديل الدستور لتضع التوصيات بشأن إجراء التعديل الدستوري اللازم لزيادة صلاحيات كل من المجلس التنفيذي والجمعية التشريعية كمؤسسات لحكومة ديمقراطية لا تخرج عن نطاق الاتفاقيات الدستورية السابقة وضمت اللجنة أعضاء من جميع الأحزاب السياسية الرسمية ماعدا حزب الاشقاء الذي رفض المشاركة، كونت هذه اللجنة من بعد مداولات طويلة برئاسة القاضي ستالي بيكر وأعضاء من حزب الامة والجبهة الوطنية وحزب الاتحاديين وممثلين لزعماء القبائل والجنوبيين والمستقلين.<sup>(10)</sup>

ناقشت الجمعية التشريعية في 1952م مسودة دستور الحكم الذاتي كما أعدتها لجنة تعديل الدستور ، وقد تضمنت مسودة القانون إقامة مجلس وزراء جميع أعضائه من السودانين ومجلس نواب جميع إعضائه منتخبون ومجلس شيوخ 3/5 من إعضائه منتخبون على أن يكون مجلس الوزراء مسؤولاً أمام الشعب عن جميع الأعمال التنفيذية والإدارية للحكم الداخلي على أن يظل الحاكم العام مسؤولاً عن العلاقات الخارجية وعقود الموظفين المدنيين ومسؤوليته عن جنوب السودان وله حق التدخل إذا نشبت أزمة دستورية أو مالية أو إذا هدد القانون الامن أو النظام.<sup>(11)</sup>

وقد أجازت الجمعية التشريعية مسودة الدستور رغم محاولات بعض الأحزاب والهيئات السودانية عدا حزب الامة للحيلولة دون وضع الدستور موضع التنفيذ. كما اختط القادة الجنوبيون في الجمعية التشريعية خطاباً سياسياً مناهضاً للحكم الذاتي للسودان وكذلك زعماء العشائر.<sup>(12)</sup>

كانت المشكلة الاساسية تتمثل في انقسامات السودانين وصراعاتهم الداخلية فكانوا ينقسمون ويتصارعون مع بعضهم البعض ونحن نحكم كما أشار السكرتير الإداري في إحدى المرات ولم يكن واضحاً كيف يمكن إنهاء تلك الانقسامات وتوحيدهم في جبهة واحدة.<sup>(13)</sup>

ومع مرور الزمن جاءت ثورة يوليو 1952م لتشكل العامل الرئيسي في تحقيق هذه الوحدة خاصة بعد إعلان قادة الثورة المصرية تأييدها ودعمها لحق السودان في تقرير مصيره وعبروا في نفس الوقت في أن يختار السودانيون الوحدة مع مصر خاصة بعد أن تحولت مسألة السودان من أيدي طبقة سياسية ترتبط بالقصر والطبقات المصرية العليا

المنحدرة في عمومها من أصول غير مصرية إلى أيدي مجموعة من الضباط العسكريين تتوافق في توجهاتها مع فئات عديدة من السودانيين خاصة العناصر الأكثر راديكالية وسط الاشقاء فعمل محمد نجيب على توحيد القوى الاتحادية في جبهة موحدة وذلك كخطوة اولى في طريق بناء علاقات جديدة مع السودان تقوم على الأخوة والمساواة بدلا من دعاوى السيادة والملكية وتوجت هذه الجهود بتوحيد فصائل الاتحاديين في الحزب الوطني الاتحادي بعد أسابيع قليلة من الانقلاب العسكري في القاهرة. (14)

وبعد محادثات مع الاحزاب السودانية في السودان توصلوا إلى اتفاقيات رمت الى تعديل مسودة دستور الحكم الذاتي بصورة تعمل على تقليص سلطات الحاكم العام خلال الفترة الانتقالية وذلك بتكوين لجنة للحد من سلطاته وبنيت مسودة الدستور في مجملها على تجربة الديمقراطية الليبرالية البريطانية .وعلى ضوء ذلك بدأت المفاوضات البريطانية المصرية حول الحكم الذاتي وتقرير المصير في نوفمبر 1952م والتي أفضت الى توقيع اتفاقية الحكم الذاتي في 12 فبراير 1953م. (15)

يقول بيتر ودورد حول توقيع اتفاقية الحكم الذاتي وهكذا لم يكن تقدم السودان تجاه تقرير المصير عن طريق الاتفاق المشترك حول التطور الدستوري نتيجة للعلاقات بين البريطانيين والسودانيين الذين قاموا بتكوين الاحزاب السياسية في البداية والذين لا يمكن نكران شرعيتهم ووزنهم الاجتماعي بقدر ما كان نتيجة لجهود السودانيين الذين نبذوا خلافاتهم وإنقساماتهم حول دولتي الحكم الثنائي ووجدوا صفوفهم تحت مظلة الحماية المصرية لإجبار القوى الأخرى (بريطانيا) في الانسحاب من بلادهم وهذا ما حدث فعليا في الاتفاقية المصرية / البريطانية حول مستقبل السودان التي جرى توقيعها في فبراير 1953م. (16)

نصت الاتفاقية على خمس عشرة مادة وقد نصت الاتفاقية على قيام برلمان سوداني بموجب انتخابات عامة حرة على أن ينتخب البرلمان رئيساً للوزراء يعين مجلس وزرائه يتولى السلطة التنفيذية وحكم البلاد، كما نص الدستور على ( أن تكون رئاسة الدولة في يد الحاكم العام ومجلس الحاكم العام )على أن تسبق تقرير المصير فترة انتقال لا تتعدى ثلاثة أعوام يمارس فيها السودانيون الحكم الذاتي الكامل وتعتبر تصفية للإدارة الثنائية، تبدأ فترة الانتقال في اليوم المعين وهو اليوم الذي يشهد فيه الحاكم العام كتابة بأن مؤسسات الحكم الذاتي وهي مجلس الوزراء ومجلس النواب ومجلس الشيوخ قد تم تكوينها. (17)

أشار قانون الحكم الذاتي إلى الحقوق الأساسية وأكد هذه الحقوق بالنص عليها في الفصل الثاني من القانون. وعن تشكيل السلطات الدستورية تكلم قانون الحكم الذاتي عن الحاكم العام وسلطاته في فصل ثم عن الهيئة التنفيذية في فصل ثان ثم عن الهيئة التشريعية في فصل ثالث وعن الهيئة القضائية في فصل رابع .وأصبح الدستور وهو دستور علماني هو الملحق الرابع في اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير ويتكون دستور الحكم الذاتي

من 11 فصلا تضم 103 مواد ، وتضمن هذا الدستور الأحكام التي تنظم كافة جوانب الحياة السياسية.<sup>(18)</sup>

عارض الحزب الشيوعي الاتفاقية بإصداره كتيباً بعنوان «اتفاقية السودان في الميزان» فانتقد الحزب تمثيل أمريكا وباكستان في لجنة الحاكم العام بحجة أن أمريكا تحاول التسلل إلى داخل السودان للسيطرة عليه وعلى موارده في الوقت الذي يضعف فيه الاستعمار عالميا وباكستان لأنها دولة تابعة للتاج البريطاني . وانتقد الكتيب كذلك سلطة الحاكم العام بإعلان طوارئ دستورية وانتقد دوائر الانتخاب الغير المباشر لأنها لاتنتج نواباً منتخبين من الشعب مباشرة ، وجاء في الكتيب أن ترك بحث مسألة القيادة العليا للقوات المسلحة للجنة الدولية التي ستشرف على إجراءات تقرير المصير يعني توسيع النفوذ الأجنبي الأمريكي والبريطاني في الجيش الأمر الذي لا يمكن بوجوده أن يتحقق استقلال وطني نظيف، ومن الأسباب الأخرى لمعارضة الشيوعيين الاتفاقية هو أنها لا يمكن أن تحقق حرية السودان لأن الحرية لاتتحقق إلا عن طريق ثورة دموية.<sup>(19)</sup>

إلا أنه وفي ظل القبول الجماهيري الواسع للاتفاقية تراجع الحزب الشيوعي عن موقفه وقد قال في تبرير ذلك أن الحزب نظر للاتفاقية الى مزالقتها التي قد يستغلها المستعمرون لخلقوا بها وضعا شرعيا في البلاد لاستمرار نفوذهم ولم ينظر لها باعتبارها نتاجاً للكفاح الشعبي.<sup>(20)</sup>

إعترض الجنوبيون على بعض التعديلات التي أدخلت على مشروع قانون الحكم الذاتي وذلك من خلال بيان لجماعة أطلقت على نفسها «لجنة جوبا السياسية» ، وأكد البيان تمسك الجنوبيين بقانون الحكم الذاتي كما أقرته الجمعية التشريعية وأنهم لن يقبلوا بأى تعديلات تدخل عليه بدون موافقة جهاز تمثيلي ديمقراطي على هذه التعديلات.<sup>(21)</sup>

كان أول دستور للسودان هو قانون الحكم الذاتي الذي صدر عام 1953 بغرض تنظيم إدارة السودان خلال فترة الحكم الذاتي والتي كانت ستنتهي بتقرير السودان لمصيره بين الوحدة مع مصر أو الاستقلال وقد جمع ذلك القانون بين حكومة وطنية يتم انتخابها انتخاباً مباشراً، وبين صلاحيات محدّدة للحاكم العام الإنجليزي، وقد شمل قانون الحكم الذاتي كلّ التفاصيل التي تشملها الدساتير بل لقد زاد عليها باشتماله على ملاحق فصلت الصلاحيات الدستورية والقانونية للحاكم العام، وكذلك الدوائر والإجراءات الانتخابية وقد تمّ حُكمُ السودان بسلاسةٍ خلال فترة الحكم الذاتي بهذا الدستور الذي أثبت نجاحه وكفاءته، وأدّى غرضه بجدارة.<sup>(22)</sup>

دخل قانون الحكم الذاتي حيز التنفيذ في 21 مارس 1953م وإستبشر السودانيون خيرا بالدستور وتمنوا أن يكون وراء تطبيقه حكومة شعبية تعمل على إشاعة الخير والامن وتطبيق اتفاق الحكم الذاتي روحا ونصا وتحافظ على حرمتها الأمر الذي يكفل حياة اجتماعية سليمة ومستقرة.

ونصت الاتفاقية على قيام ثلاث لجان هي لجنة الحاكم العام لمراقبة الحاكم العام في تنفيذ سلطاته التقديرية، ولجنة الانتخابات وتختص بالإعداد للانتخابات، ولجنة السودنة تختص بسودنة الوظائف الحكومية. نصت المادة التاسعة من اتفاقية الحكم الذاتي على أن تنتهي فترة الانتقال بأسرع ما يمكن وهي الفترة التي بدأت بانتخاب أول برلمان سوداني في أول يناير 1954م وفيها تنتخب حكومة وطنية حددت لها ثلاث مهام رئيسية هي سودنة الخدمة المدنية وقوة دفاع السودان والبوليس وإجلاء قوات دولتي الاحتلال من السودان، تنظيم إجراءات تقرير المصير عن طريق جمعية سياسية منتخبة.<sup>(23)</sup>

وعلى ذلك أجريت انتخابات برلمانية في نوفمبر 1953م نال فيها الحزب الوطني الاتحادي أغلبية في مجلسي الشيوخ والنواب (51 مقعداً في مجلس النواب) و (22 مقعداً في مجلس الشيوخ) وتم انتخاب رئيس الحزب إسماعيل الأزهرى رئيساً للوزراء، تقتضي اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير بأن تبدأ إجراءات تقرير المصير بعد أن يصدر البرلمان السوداني قراراً يعرب فيه عن رغبته في اتخاذ إجراءات تقرير المصير وعند إعلان دولتي الحكم بذلك تضع الحكومة السودانية مشروعاً بقانون لانتخابات جمعية تأسيسية يقره البرلمان ويوافق عليه الحاكم العام، وعند قيام هذه الجمعية التأسيسية تكون لها مهمتان الأولى تقرير مصير السودان إما بالارتباط بمصر أو الاستقلال

الثانية أن تضع دستوراً دائماً للسودان يتفق وقرار تقرير المصير كما تضع قانون انتخابات البرلمان السوداني القادم.<sup>(24)</sup>

عند إعلان الاستقلال من داخل البرلمان في 19/12/1955م برزت مشكلتان مهمتان أمام أجهزة الحكم في السودان الأولى مسألة الرئاسة والثانية مسألة الدستور الدائم للبلاد، تم التغلب على المشكلة الأولى باتفاق الأحزاب على اختيار خمسة أشخاص سودانيين ليشكلوا مجلس السيادة ، أما المشكلة الثانية فقد كانت أكثر تعقيداً وذلك لان العمل بدستور الحكم الذاتي قد انتهى بإعلان استقلال السودان ويتعذر وضع دستور دائم للبلاد بين عشية وضحاها لان الجمعية التأسيسية التي مفروض أن تضع الدستور الدائم سوف يستغرق ذلك وقتاً طويلاً ولذلك في نفس الجلسة ذاتها التي أعلن الاستقلال من داخل البرلمان أصدر ثلاث قرارات أخرى وهي قرار الاستقلال بالاجماع والثاني القرار الخاص بالجنوب والثالث انه سيكون للسودانيين دستور دائم تصدره جمعية تأسيسية.<sup>(25)</sup>

استقر رأي المسؤولين على أن يصدر البرلمان السوداني حينذاك دستوراً مؤقتاً للعمل بموجبه حتى يتم وضع الدستور الدائم فكونت لجنة فنية بوزارة العدل لتنقيح قانون الحكم الذاتي واستبعاد المواد التي لا تتلاءم مع الكيان المستقل للدولة الجديدة مثل مواد الفصل الثالث المتعلقة برأس الدولة إضافة المواد التي يقتضيها وضع السودان كدولة مستقلة ذات سيادة ، وقد قامت اللجنة الفنية بالعمل الموكول لها في سرعة متناهية وتقدمت بمشروع الدستور المؤقت للحكومة في أواخر ديسمبر 1955م. وعرض المشروع على الأحزاب

السياسية اولا التي انتهت قاداتها إلى مناقشة مواد المشروع والاتفاق علي أحكامه في زمن وجيز ثم قدم المشروع للبرلمان في جلسة مشتركة للموافقة عليه وإصداره دستورا لي عمل به ابتداءً من أول يناير 1956م.<sup>(26)</sup>

قرر أعضاء مجلس الشيوخ والنواب في جلسة مشتركة للمجلين الموافقة على اعتماد دستور الحكم الذاتي دستورا ليصبح الملحق الرابع لاتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير الموقعة في 12 فبراير 1953م مع تعديلات طفيفة جدا دستورا مؤقتا عرف بدستور 1956م المؤقت ، إلى حين قيام جمعية تأسيسية منتخبة لوضع وإقرار دستور دائم للبلاد.<sup>(27)</sup>

احتوى الدستور الانتقالي على عدد من الفصول وتفسير منها الفصل الاول الذي اشتمل على أحكام عامة عن الاسم وسيادة الدستور فقد عرف الاسم الأراضي السودانية بأنها تشمل جميع الأقاليم التي كان يشملها السودان الانجليزي - المصري قبل العمل بهذا الدستور كما أقر الدستور الانتقالي بأن يكون السودان جمهورية ديمقراطية ذات سيادة كما اخذ الدستور بمبدأ فصل السلطات وأقر المبادئ الديمقراطية المتعلقة بسيادة الدستور وحقوق الإنسان وحرياته الاساسية وسيادة حكم القانون واستقلال القضاء وليس لاي سلطة حكومية تنفيذية أو تشريعية حق التدخل أو الرقابة على أعمال الهيئة القضائية. كما تحدث الفصل الثالث عن تشكيل وسلطات مجلس السيادة وأضيفت الى الفصل الخامس من الدستور المؤقت المادة 67 المتعلقة بسلطات البرلمان في الاتفاقيات الدولية ونصت على الا يكون لاية معاهدة أو اى إتفاق مع دولة او دول أخرى وأي قرار يتخذ في أي اتفاق دولي أو جمعية أو هيئة دولية اي أثر في السودان مالم يصدق البرلمان على كل منها بقانون.<sup>(28)</sup>

إعترض عدد من النواب على مناقشة وإجازة الدستور المؤقت لسنة 1956م فقد اعترض حسن الطاهر زروق عضو مجلس النواب عن دوائر الخريجين ممثلاً للجهة المعادية للاستعمار على مناقشة الدستور المؤقت في جلسة واحدة مقدماً عدداً من المقترحات من أهمها أن يكون الدستور مستمداً من مصالح الشعب ومحترماً لإرادته.<sup>(29)</sup>

وأوضح مبارك زروق نائب الحزب الوطني الاتحادي عن دوائر الخريجين أنه كان يأمل أن يتم الاتفاق على دستور قبل الاستقلال وأنه غير متفائل بالتوافق على صياغة دستور بديل ويتوقع ان يظل السودان يحكم بالدستور المؤقت لزمان طويل.<sup>(30)</sup>

ورغم اعتراض بعض أعضاء مجلس النواب على طريقة وضع الدستور وعرضه على البرلمان إلا أن قرار إجازة الدستور المؤقت صدر بالإجماع ويبدو أن هناك عاملين اقتضيا الإسراع في وضع الدستور المؤقت هما :

1. العمل على ملء الفراغ الدستوري الناتج من زوال دستور الحكم الذاتي بعد انقضاء فترة الانتقال.
2. الاسراع في الحصول على اعتراف دولتي الحكم الثنائي بإستقلال السودان. لذلك رؤي أن أقصر وانجع السبل هو تعديل قانون الحكم الذاتي بما يتلاءم ويتمشى مع الاوضاع الدستورية الحديثة.<sup>(31)</sup>

أما عن النقد الذي قدم للدستور المؤقت أوضحت فدوى عبدالرحمن علي طه إن الاختلاف بين دستور الحكم الذاتي والدستور المؤقت كان شكلياً فقد جاء التمهيد وتفسير بعض العبارات مثل اليوم المعين ورئيس القضاء ولجنة الانتخابات في الفصل الاول من دستور الحكم فقد جاء التفسير في الدستور المؤقت في نهايته كما اختلف نصا الدستور المؤقت والذاتي في تعريف الاراضي السودانية حين لا توجد إشارة أو تحديد للاراضي السودانية في إتفاقية الحكم الذاتي وقد تحدث الفصل الثالث في قانون الحكم الذاتي عن الحاكم العام ومركزه كقائد عسكري أعلى وسلطة دستورية بينما تحدث نفس الفصل في الدستور المؤقت عن تشكيل مجلس السيادة وسلطاته ، كما إستبدلت عبارة الحاكم العام وإنما وردت في دستور الحكم الذاتي بمجلس السيادة في دستور 1956م المؤقت.<sup>(32)</sup>

كما انتقد منصور خالد دستور 1956م المؤقت وأوضح أن كل هذا يعبر عن فشل الطبقة السياسية الشمالية في وضع مرتكزات قوية لوحدة السودان التي كافحوا من أجلها منذ عام 1945م كما يعكس قصورا عن إدراك مفهوم الاجماع الوطني في بلد مثل تنوع السودان وتعدد مكوناته فبدلا من انتهاج سبيل الإجماع الوطني ظن ساسة الشمال أن حكم الاغلبية العديدة يغني عن الإجماع ، مما يكشف جهل محزن بفن المعمار الدستوري فالدستور في أية دولة مثقلة بالتنوع العرقي والديني والثقافي لا يهدف إلى تنظيم المجتمع كما هو موجود وقائم وإنما يقصد في المقام الاول إلى تحقيق إجماع على القضايا الرئيسية التي لا سبيل لتنظيم المجتمع دون التوافق بشأنها كما أن الالتزام بسياسة الاغلبية الآلية كمنهج لوضع الدساتير وصوغ القوانين لن يكون بأي حال هو السبيل الأمثل لبناء وطن لأنه يضع الاقلية دوما تحت رحمة الاغلبية في لهفتهم العجل على إعلان الاستقلال من داخل البرلمان في الاول من يناير 1956م متجاوزين إجراءات تقرير المصير بالصورة التي حددتها الاتفاقية المصرية البريطانية لم يكن لدى الحاكمين الجدد في الشمال الوقت الكافي لإصدار دستور يستجيب للخصائص السياسية والاجتماعية والثقافية للسودان بدلا من ذلك قرروا اتخاذ الدستور الذي وضعه الاستعمار.<sup>(33)</sup>

### الدستور الانتقالي الثاني ثورة أكتوبر 1964م

مهدت التوترات السياسية وسوء الأحوال الاقتصادية في السودان لانقلاب عسكري أنهى التجربة الديمقراطية بانقلاب الفريق إبراهيم عبود في نوفمبر 1958م، خطط عبدالله خليل لانقلاب عسكري بحيث بدأ باتصالات مع قادة القوات المسلحة وذلك بعد تسرب أخبار بأن هناك اجتماعات سرية بين حزبي الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي لتكوين حكومة ائتلافية جديدة وإقصاء حزب الأمة ورجح أن الدورة البرلمانية الجديدة التي كان من المزمع انعقادها في 17 /نوفمبر/ 1958م ستشهد ولادة حكومة جديدة مكونة من الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي ولنع حدوث ذلك تحرك رئيس الوزراء عبدالله خليل وطلب من الفريق إبراهيم عبود قائد القوات المسلحة وصديقه منذ مرحلة الدراسة باستلام

السلطة. تميز الحكم العسكري بأنه كان محافظاً وأبويّاً لا يحمل أفكار تغيير جذري أبقى على الخدمة المدنية والقضاء كما هما، كان النظام موالياً للغرب ولكنه في نفس الوقت اجتهد في إصلاح العلاقات مع مصر والمعسكر الشرقي وقد شهد ذلك العهد ازدهاراً اقتصادياً وتنفيذ مشاريع تنمية عملاقة.<sup>(34)</sup>

وصف ديمتري إلغاز في كتابه ضباط الجيش والسياسة في المجتمع العربي انقلاب عبود بـ (نظرية المسلك الطبيعي)، بيان قائد الجيش السوداني الفريق إبراهيم عبود الذي أذاعة صباح 17 نوفمبر 1958، بأنه تعبير عن فلسفة سياسية عامة وقال إنه بعد أن رسم صورة قاتمة للأزمة التي مرت بها البلاد يقول (نتيجة لذلك ومن المسلك الطبيعي أن ينهض جيش البلاد ورجال الأمن لإيقاف هذه الفوضى ووضع حد نهائي لها). إذن تحدد الانقلاب بوصفه المسلك الطبيعي. ويخلص إلغاز إلى أن بيان قائد الجيش السوداني يعبر عن وجهة نظر واسعة الانتشار ترى أن الانقلاب، وإقامة دكتاتورية عسكرية ينبغي النظر إليه باعتباره المسار الطبيعي في التطور السياسي للدول العربية في العصر الحديث.<sup>(35)</sup>

استمر نظام عبود لست سنوات حسوماً (1958-1964م) حيث اندلعت في 21 أكتوبر 1964 ثورة شعبية أطاحت بالنظام العسكري سبقتها معارضة شعبية استمرت طيلة سنوات الحكم العسكري وكانت هناك عوامل وظروف ساعدت على قيام ثورة أكتوبر وأدت إلى تحريك الشعب وخروجه للشارع، منها افتقاد الشعب للحرية إلى جانب انتشار العطالة وغلواء المعيشة وعدم إحساس المواطنين بدورهم في بناء الوطن والفرقة والشتات وقضية جنوب السودان التي استفحل أمرها.<sup>(36)</sup>

كل هذه العوامل أدت إلى تفاعل الشعب مع الطلاب ومشاركته في المظاهرات والإضرابات واندلاع الثورة التي قادها تحالف من النقابات من أبرزها نقابات المحامين وأساتذة الجامعات والطلاب والقضاة وانضم إليهم لاحقاً تحالف من أحزاب المعارضة وقد توحدت هذه المجموعات في تحالف أطلق عليه اسم «جبهة الأحزاب والهيئات» تولى التفاوض مع النظام لإنهاء الحكم العسكري وهو ما انصاع له المجلس العسكري الحاكم بعد ضغوط من قيادات وسيطة في الجيش.<sup>(37)</sup>

وتم تشكيل حكومة أكتوبر الأولى برئاسة سر الختم الخليفة في أول نوفمبر 1964م وضمت الحكومة الأولى لأكتوبر ممثلاً لكل من حزب الأمة والحزب الوطني والاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي وجبهة الميثاق الإسلامي والحزب الشيوعي، كما ضمت سبعة وزراء لتمثيل النقابات والمنظمات المهنية ووزيرين للجنوب، ويعني ذلك أن جبهة الهيئات قد سيطرت على التشكيل الوزاري الأمر الذي أثار حفيظة حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي وجبهة الميثاق الإسلامي حديثة التكوين ودفعها للسعي لتغيير هذه الحكومة التي عرفت بحكومة أكتوبر الأولى، بالرغم من تمثيلها في جبهة الهيئات.<sup>(38)</sup>

وبالرغم من ذلك التدافع السياسي للأحزاب بعد الثورة يقول عبد الوهاب الأفندي

إن ثورة أكتوبر اندلعت في ظل توافق غير مسبوق بين مكونات المجتمع السوداني وقواه السياسية حيث شارك الإسلاميون واليساريون جنباً إلى جنب في الثورة رغم خلافاتهما وتم تعيين رئيس وزراء محل ثقة عند الجنوبيين كما تم تعيين وزراء جنوبيين في مواقع مهمة منها وزارة الداخلية.<sup>(39)</sup>

أوضح بيتر ودورد إن نجاح ثورة أكتوبر 1964م جاء بسبب ضيق ومحدودية قاعدة النظام العسكري الحاكم واتساع التأييد الشعبي للمعارضة السياسية ولكن اتساع المعارضة لم يرتكز كما في الفترات السابقة على تنظيم الأحزاب السياسية المرتبطة بنفوذ تقليدي واسع في الأرياف بقدر ما ارتكز على أولئك الذين قاموا بتنظيم العمل السري في غياب الأحزاب التي حظرها النظام العسكري وكان الحزب الشيوعي بشكل خاص بقيادة عبد الخالق محجوب نشطاً في هذا المجال.<sup>(40)</sup>

أعلن رئيس الوزراء الانتقالي سر الختم الخليفة في يوم 30/10/1964م الميثاق الوطني في خطاب طويل تم إعداده وصياغته والاتفاق على كل ما احتواه بين ممثلي جبهة الهيئات والأحزاب من ناحية وبين مندوبي القيادة المسلحة من ناحية أخرى. وكان أهم ما جاء في الخطاب قيام حكومة انتقالية تتولى الحكم وفقاً لأحكام الدستور المؤقت لسنة 1956م وسيكون الرئيس إبراهيم عبود رئيساً للدولة وسيباشر السلطات المنصوص عليها في ذلك الدستور والتي يباشرها مجلس السيادة من قبل على أن تكون مباشرته لتلك السلطات بمشورة مجلس الوزراء بالإضافة إلى ذلك سيتولى رئيس الدولة تصريف كل الأمور المتعلقة بالقوات المسلحة. على أن تستمر الفترة الانتقالية حتى شهر مارس 1965م تنتهي بقيام انتخابات حرة تشرف عليها لجنة مستقلة لقيام جمعية تأسيسية ومن خلال فترة الانتقال ستقوم الوزارة الانتقالية بالإضافة إلى سلطاتها التنفيذية بمهمة التشريع.<sup>(41)</sup>

كما تم الاتفاق بين جبهة الهيئات والقوات المسلحة على الميثاق الوطني وهو ما عرف بميثاق أكتوبر وقد حدد مهام الحكومة الانتقالية ونص على الآتي:

1. إزالة الوضع العسكري وقيام حكومة انتقالية تمثل هيئات الشعب المختلفة لإدارة البلاد إعدادها لوضع ديمقراطي لفترة لا تتجاوز آخر مارس 1965م يترك أمر تكوينها للجبهة الموحدة.
2. إطلاق الحريات العامة كحريات الصحافة والتعبير والأحزاب السياسية.
3. إلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات .
4. تأمين استقلال القضاء.
5. تأمين استقلال الجامعة.
6. إطلاق سراح المسجونين مدنيين وعسكريين.
7. اتخاذ سياسة خارجية ضد الاستعمار والأحلاف.

8. تحكم البلاد خلال فترة الانتقال وفقاً للدستور المؤقت السابق مع إبعاد الفصلين الخاصين بلجنة السيادة والهيئة التشريعية.
  9. تنتهي الفترة الانتقالية بانتخابات حرة تشرف عليها لجنة مستقلة تعينها الحكومة الانتقالية لانتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور.
  10. إعادة تنظيم الهيئة القضائية ومؤسسات العمل المختلفة.(42)
- وأهم ما جاء في الميثاق وأدى إلى الاضطراب السياسي الفقرة الأولى التي نصت على أن تقوم الحكومة الانتقالية بإعداد البلاد لوضع ديمقراطي لفترة لا تتجاوز آخر مارس 1965 ويعني ذلك قصر الفترة الانتقالية وإجراء الانتخابات البرلمانية كما نصت عليه الفقرة التاسعة من الميثاق. ولم يطول عمر الفترة الانتقالية لتعمل على حل مشكلات البلاد الملحة وأهمها مشكلة الجنوب التي كانت سبباً مباشراً لاندلاع الثورة. ولم يحمل ميثاق أكتوبر في شكله أو مضمونه معالم أجندة التغيير التي نشدتها الثورة.(43)
- أورد منصور خالد ملاحظته على هذا الميثاق بأنه لم يقدم لمواطن الجنوب حامل السلاح بسبب ما يراه من ظلم وقع عليه في كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أو مواطن الشرق والغرب الذي قاده الإحساس بتجاهل الأحزاب القومية لمشكلاته والتي لخصها في التهميش مما أدى إلى خلق تنظيمات موازية لتعبر عن هذه المعاناة مثل تطوير دارفور، مؤتمر البجا، اتحاد عام جبال النوبة. ويرى منصور خالد كذلك أن ميثاق أكتوبر لا يحمل في شكله أو مضمونه معالم أجندة التغيير وأنه كان أبعد ما يكون عن هموم جمهرة الناس، وأن أهم ثغرات هذا الميثاق عدم تحديده للفترة الانتقالية بحيث تكون طويلة تحل فيها مشكلات السودان الأساسية.(44)
- ويرى حيدر إبراهيم على أن ميثاق أكتوبر قد خضع لقدر كبير من المساومات وقدمت القوى الحديثة تنازلات كبيرة، وأن القوى التقليدية قد انتعشت وبدأت في التأثير على الأحداث، فقد جاء الميثاق بلا روح ثورية ولا يعلن بوضوح قاطع أجندة التغيير.(45)
- وبناءً على ذلك الميثاق ورد في المادة (10) من الدستور المؤقت المعدل لسنة 1964م ماييلي (يكون القائد العام للقوات المسلحة أو من ينوب عنه رئيساً للدولة) ونصت المادة (11) على ماييلي (يكون رئيس الدولة السلطة الدستورية العليا في البلاد) ولكن ما ان تبين للثوار أن الوضع القديم بأسره لا يتفق والإرادة الشعبية حتى قرر مجلس الوزراء إبعاد الفريق إبراهيم عبود الذي كان له الحق في تعيين رئيس الوزراء بمقتضى المادة 53 التي كانت تقول ( يعين رئيس الدولة رئيساً للوزراء الشخص الذي ينتخبه مجلس الوزراء من وقت لآخر لهذا الغرض من بين أعضائه) ولذلك عدلت المادة (10) لكي تقول (تنتخب الجمعية التأسيسية خمسة أشخاص يكونون معاً مجلس السيادة على أن الأشخاص الذين انتخبهم مجلس الوزراء في اليوم الثالث من شهر ديسمبر 1964م يكونون السيادة حتى

قيام الجمعية التأسيسية) واستبدلت المادة (11) بما يلي (يكون مجلس السيادة السلطة الدستورية العليا في السودان وتؤول إليه القيادة العليا للقوات المسلحة)، نخلص مما تقدم أن مجلس الوزراء أضحى السلطة التشريعية وفقاً للميثاق والدستور المؤقت لسنة 1964م في يوم 29/10/1964م تم الاتفاق على تصفية الحكم العسكري ووضع دستور دائم للبلاد تقوم به جمعية تأسيسية.<sup>(46)</sup>

إن الميثاق أراد تأكيد مبدأ سيادة الشعب إذ إن النص على اتباع أحكام الدستور المؤقت المعدل 1964م إلى حين صدور دستور دائم تضعه الجمعية التأسيسية يعني التسليم أن الشعب هو مصدر السلطات وأن الدستور المؤقت المعدل لعام 1964م مثل الدستور المؤقت لعام 1956م مثل أمر الحكم الذاتي لعام 1953م لا يصلح في الواقع لإشباع الحاجات والضرورات وتطورات الحياة الجديدة التي أحس بها الثوار ونادوا بها.<sup>(47)</sup>

أعيد دستور 1956م للعمل بعد تشكيل الحكومة الانتقالية بعد إدخال التعديلات اللازمة عليه وقيام حكومة انتقالية تكون من مهامها إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية في موعد أقصاه مارس 1965م. وكان حزب الأمة قد بعث بمذكرة إلى سرالختم الخليفة رئيس الوزراء يعلن عن معارضته لأي اتجاه لتعديل الدستور المؤقت لسنة 1956م بحجة أن الدستور هو الذي ستعمل بموجبه الجمعية التأسيسية المنتخبة في مارس 1965م وأن تترك لها مهام التعديلات.<sup>(48)</sup>

### الدستور الانتقالي الثالث 5891م:

وقع انقلاب 25 مايو 1969م الذي قاده الضباط الأحرار بقيادة جعفر محمد نميري، الذي كان نتيجة الانحرافات السياسية التي تورطت فيها الأحزاب السياسية والمأزق السياسي والدستوري الذي كانت تعيشه البلاد.<sup>(49)</sup>

وقد تمثلت الأسباب التي دعت لتنظيم الضباط الأحرار للسير نحو الانقلاب في الآتي:-  
أولاً: فشل الحكومة الحزبية والطائفية في تنفيذ شعارات أكتوبر وعدم قدرتها على تحقيق أي مكاسب للشعب الذي أطاح بحكومة الفريق إبراهيم عبود في أكتوبر 1964م.  
ثانياً: عودة الخلافات والمكائد السياسية التي كان لها الأثر الأكبر في عدم استقرار الحكم.

ثالثاً: الفشل في حل المشكلة القومية مشكلة جنوب السودان.

رابعاً: حل الحزب الشيوعي السوداني وطرد نوابه من البرلمان وعدم الالتزام بقرارات المحكمة العليا والتي حكمت بعدم دستورية حل الحزب الشيوعي.

خامساً: المناداة بالدستور الإسلامي والذي كانت تهدف منه القوى التقليدية إلى هيمنة الطائفية وعزل اليسار والاتحادات والنقابات والأحزاب الجنوبية وتحجيم تأثيرها في المجرى السياسي العام.<sup>(50)</sup>

وفي فجر 25 مايو 1969م قام تنظيم الضباط الأحرار<sup>(51)</sup> في السودان بانقلاب عسكري حيث أذاع قائد الانقلاب العقيد جعفر محمد نميري<sup>(52)</sup> البيان السياسي الأول.<sup>(53)</sup> أعلنوا فيه تعليق الدستور وحل البرلمان ومجلسي السيادة والوزراء ومنع الأحزاب السياسية، وعلى عكس الضباط الذين حكموا البلاد في الحكم العسكري الأول، بادر ضباط الحكم العسكري الثاني إلى إحداث تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة في البلاد، ترأس مجلس الوزراء الجديد بباكر عوض الله رئيس القضاء الأسبق وهيمن الشيوعيون والاشتراكيون على تكوين المجلس.<sup>(54)</sup>

واجه النظام المايوي معارضة عنيفة من قبل الأحزاب السياسية والنقابات الأمر الذي أدى إلى سقوطه في 6/4/1985م، وقد ساهمت المعارضة بشكل كبير في عدم استقرار النظام وإهدار موارد الدولة البشرية وهكذا فشل النظام المايوي في تحقيق أهدافه من الانقلاب وذلك بسبب التخطي في سياسات النظام على الأصعدة المختلفة وعدم وضوح الرؤية لكثير من القضايا الملحة.<sup>(55)</sup>

وفي صباح السبت 6 إبريل عقد اجتماع تم فيه التوقيع على ميثاق التجمع الوطني لإنقاذ الوطن من أحزاب: الأمة، الاتحادي الديمقراطي، الشيوعي، ونقابات الأطباء، المهندسين، أساتذة جامعة الخرطوم، المحامين، موظفي المصارف، الهيئة العامة لموظفي التأمينات. وكان الهدف توحيد المعارضة السياسية والنقابية في مركز موحد، إضافة لضعف وجود حركة الطبقة العاملة والمزارعين والكادحين في تركيب قوى الانتفاضة. تضمن ميثاق التجمع الوطني النقاط التالية: تنظيم المشاركة السياسية في فترة الانتقال بموجب دستور السودان المؤقت لسنة 1956م المعدل لسنة 1964م مع مراعاة الالتزامات والأهداف الواردة في هذا الميثاق في فترة الحكم الانتقالي، ومع مراعاة تمثيل القوى الحديثة في المؤسسات الدستورية عن طريق تنظيماتها الديمقراطية. وكفالة كرامة وحرية المواطنين الأساسية في التنظيم والتعبير والعقيدة والعمل والتنقل وكافة الحريات الأخرى على غرار تصور المواثيق الدولية لحقوق الإنسان من خلال نظام ديمقراطي يكفل سيادة حكم القانون واستقلال القضاء.<sup>(56)</sup>

وحل قضية جنوب الوطن في إطار حكم ذاتي إقليمي يقوم على أسس ديمقراطية بموجب صلاحيات محددة تحقق المشاركة الحقيقية لكافة القوى السياسية الممثلة لجنوب السودان. والتحرر من التبعية الاقتصادية للامبريالية العالمية وخلق بنية اقتصادية عن طريق تنمية الثروات والموارد الوطنية وتعبئة الموارد القومية لمواجهة مشكلات الجفاف والمجاعة والغلاء وشح المواد التموينية. وتحرير البلاد من التبعية الأجنبية في السياسة الخارجية لتحقيق السيادة الوطنية وتبني سياسة عدم الانحياز والالتزام التام بالانتماء العربي الإفريقي وسياسة حسن الجوار وتطوير العلاقات مع كافة الدول الشقيقة والصديقة. وتأكيد مبدأ الحكم اللامركزي وتقويمه على أسس ديمقراطية سليمة.<sup>(57)</sup>

تقويم وتحديد ملابسات الخدمة العامة وتصفية المؤسسات المايوية الخبرة والتخلص من الطبقة المايوية الطفيلية. وتحكم البلاد بعد الفترة الانتقالية بواسطة دستور تقرره هيئة منتخبة ديمقراطياً ويحسم الدستور القضايا الفكرية والسياسية بالوسائل الديمقراطية.<sup>(58)</sup>

ثم تم عقد اجتماع ما بين التجمع النقابي والقوات المسلحة تم الاتفاق فيه على تشكيل المجلس العسكري الانتقالي<sup>(59)</sup> وكان له الوضع السيادي، ودعوا النقابات لتشكيل الجانب التنفيذي<sup>(60)</sup>، وقد تولى منصب رئيس الوزراء الجزولي دفع الله نقيب الأطباء.<sup>(61)</sup>

بعد تشكيل المجلس العسكري الانتقالي ومجلس الوزراء تم التوصل إلى ميثاق قومي يحكم المرحلة الانتقالية والذي اشتمل على أربعة نقاط وهي المبادئ الأساسية التي اشتملت على عدد من المبادئ من أهمها كفالة الحريات العامة والحقوق الأساسية للمواطن وغيرها من المبادئ التي تدعم التحول الديمقراطي باستقلال وحيدة لجنة الانتخابات الدائمة انتهاز سياسة خارجية مستقلة متحررة من التبعية تتسم بعدم الانحياز وترعى حسن الجوار بالإضافة لمراعاة نظم الحكم اللامركزية في إدارة البلاد.<sup>(62)</sup>

كما اتفقت الأطراف على مهام الفترة الانتقالية ومن أهمها تصفية مؤسسات وآثار ورواسب النظام المايوي المباد ومحاسبة المفسدين ومحكمتهم محاكمة عادلة وعزلهم سياسياً والدعوة لتصحيح مفهوم العمل وأخلاقيات المهنة دعماً للإنتاج وارتقاءً بالإنتاجية والكفاءة والتصدي والعمل على تحرير الاقتصاد وإنعاشه والعمل على حل مشكلة الجنوب بأبعادها المختلفة والاستمرار بالحوار مع الجنوبيين لإيقاف الاقتتال، والعمل على تهيئة المناخ لممارسة الحياة الديمقراطية وإصدار قانون الانتخابات تجرى بموجبه انتخابات لجمعية تأسيسية تصدر دستور البلاد واستمرار العمل بالقوانين الصادرة قبل تعطيل الدستور على أن تكون لجنة مختصة لمراجعة تلك القوانين.<sup>(63)</sup>

اختص البند الثالث للميثاق القومي الذي يحكم الفترة الانتقالية على تشكيل المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية والتي تتكون من مجلس عسكري انتقالي يتولى أعمال السيادة والسلطة التشريعية بالإضافة إلى مجلس الوزراء الذي يعين رئيسه<sup>(64)</sup> المجلس العسكري الانتقالي بالتشاور مع القوات المسلحة والنقابات والأحزاب السياسية ويتكون مجلس الوزراء من رئيس الوزراء وعدد خمسة عشر وزيراً من ذوي الكفاءة والخبرة والأمانة والحيدة<sup>(65)</sup> كما يراعى في تشكيل مجلس الوزراء أن يضم ثلاثة وزراء من القوات المسلحة والنظامية وإثنى عشر من المدنيين من بينهم إثنان من الجنوب.<sup>(66)</sup>

أما الهيئة القضائية فقد اتفقت الأطراف على أن تتكون من المحكمة العليا ومحاكم الاستئناف ومحاكم المديرية والمحاكم الجزئية ومجلس القضاء وتمارس سلطة تطبيق القانون وتصريف شؤون العدالة وفقاً لأحكام القانون. كما تم الاتفاق على تحديد قوانين تكوين القوات المسلحة والقوات النظامية واختصاصاتها كما الاتفاق أيضاً على تكوين

عدد من الهيئات الدستورية<sup>(67)</sup>، كما جاء في الميثاق القومي أحكام انتقالية لفترة الجمعية التأسيسية ومنها أنه وبقيام الجمعية التأسيسية تنتهي مهمة المجلس العسكري الانتقالي ومجلس الوزراء وتقوم الجمعية التأسيسية بانتخاب مجلس وزراء جديد ليتولى السلطة التنفيذية كما تمارس سلطة التشريع والرقابة على أعمال الحكومة، كما يصدر المجلس العسكري الانتقالي بالتشاور مع مجلس الوزراء قانوناً ينظم أعمال مجلس الوزراء وتكوين الجمعية التأسيسية وإجراءات عملها على أن تستمر الفترة الانتقالية لمدة عام تجري في نهايته الانتخابات العامة لقيام الجمعية التأسيسية.<sup>(68)</sup>

اتفق قادة الانتفاضة على إلغاء دستور 1973م المعدل فكان دستور السودان الانتقالي لعام 1985م الذي انبنى على دستور 1964م الذي تمّ إعداده والموافقة عليه بواسطة مجلس الوزراء، ثم تمّ اعتماده وإجازه بعد ذلك بواسطة المجلس العسكري الانتقالي. وقد وقّع كل أعضاء المجلس العسكري على الدستور في 10 أكتوبر عام 1985، ودخل الدستور حيز النفاذ في نفس ذلك اليوم. ولم يكن هناك أي دور للتجمع الوطني في تلك المهمة. بل إنه لم تتم حتى استشارة التجمع في مسودة الدستور. وقد نصّت المادة 4 من الدستور على أن «الشرعية الإسلامية والعرف مصدران أساسيان للتشريع، والأحوال الشخصية لغير المسلمين يحكمها القانون الخاص بهم». «هكذا أكدت ورّسخت تلك المادة من دستور عام 1985 بقاء قوانين سبتمبر التي كانت انتفاضة إبريل قد طالبت بإلغائها.<sup>(69)</sup>

كما أن المواد التي احتوت على تحريم الشيوعية وحل الحزب الشيوعي السوداني والتي أدخلها عام 1965م التعديل الثاني لدستور عام 1964م اختفت من دستور 1985م وقد تناسلت الأحزاب السياسية التي قادت قرار الحل وكأنه قد سقط بالتقادم.<sup>(70)</sup>

كما نصّت المادة 16 من دستور السودان لعام 1985 على الآتي: «يقوم نظام الحكم الذاتي الإقليمي في الإقليم الجنوبي على أساس السودان الموحد وفقاً لقانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972م أو أيّ تعديلات يجيزها ثلثا أعضاء المجلس العسكري الانتقالي ومجلس الوزراء في اجتماع مشترك، على أن يخضع أيّ تعديل رغم تنفيذه، للاستفتاء المشار إليه في قانون الحكم الذاتي للإقليم الجنوبي متى ما كان ذلك ممكناً.» وهكذا قرّرت حكومة انتفاضة إبريل إعادة الحياة لاتفاقية أديس أبابا لعام 1972، من جانب واحد. كان قرار إحياء اتفاقية أديس أبابا قراراً أحادياً من حكومة الانتفاضة، رفضته الحركة الشعبية صراحةً في رسالة الدكتور جون قرنق إلى السيد رئيس الوزراء التي أوضح فيها أن المشكلة هي مشكلة السودان وليست مشكلة جنوب السودان.<sup>(71)</sup>

وهكذا حسم الدستور مسألة قوانين سبتمبر وحقوق المواطنة وقضايا الحرية والديمقراطية في السودان، ونسف مطالب وأحلام انتفاضة إبريل عام 1985 باستعادة الديمقراطية والحرية الأساسية والمواطنة وحل قضية الجنوب، فيلاحظ أن دستور 1985م لم يعالج القضايا التي من أجلها قامت انتفاضة إبريل 1985م.

## الخاتمة

تناولت هذه الورقة بالدراسة دساتير الفترات الانتقالية في السودان في الفترة من (1953-1985م)، وهي ثلاثة دساتير الأول دستور الحكم الذاتي الذي تلى حقبة الاحتلال الانجليزي المصري وامتدت فترته من 1953-1956م، والدستور الانتقالي الثاني وهو الذي أعقب ثورة أكتوبر 1964م والتي أطاحت بحكم الفريق إبراهيم عبود، والدستور الانتقالي الثالث هو دستور 1985م والذي جاء عقب انتفاضة إبريل 1985م والتي اقتلعت نظام الرئيس نميري، وقد ناقشت الورقة التطورات السياسية التي قادت إلى تلك الدساتير الانتقالية وأهم مجاء فيها.

قدمت الورقة بعض الإضاءات حول الدساتير الانتقالية فقد تميزت فترة الدستور الانتقالي الأول بالاستقرار والهدوء مما أوصل الفترة إلى بر الأمان على عكس الفترتين الأخريين فقد تميزتا بالاضطراب وعدم الاستقرار وربما يعود ذلك لعدم الاتفاق السياسي لمكونات تلك الفترتين .

وقد خرجت الورقة بعدد من النتائج من أهمها:

- أولاً: سبقت الدساتير الانتقالية اتفاقات ومواثيق شكلت مبادئ لهذه الدساتير.
  - ثانياً: عدم تلبية هذه الدساتير الانتقالية لرغبات وطموحات الجماهير والقوى السياسية مما أدى إلى اضطراب الفترات الانتقالية.
  - ثالثاً: ظل دستور 1956م المؤقت المرجعية القانونية لدستوري 1964 و1985م.
  - رابعاً: فشل تلك الدساتير الانتقالية في تحقيق التحول الديمقراطي المنشود.
- خرجت الورقة بعدد من التوصيات من أهمها:
- أولاً: لا بد من العمل على إعداد دستور دائم للسودان يتوافق عليه الجميع.
  - ثانياً: التركيز بالتوافق على المبادئ فوق الدستورية التي تضمن الاستقرار الدستوري.

ثالثاً: دراسة التجارب الدستورية السودانية بإخضاعها لمزيد من البحث.

## المصادر والمراجع

- (1) سارة إيجا : الجمعية التشريعية الاولى ديسمبر 1948 مايو 1952م ، دراسة تاريخية ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم، 2006م ، ص 9-11.
- (2) إبراهيم حاج موسى التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم في السودان القاهرة 1970م ص 39
- (3) عبد العظيم محمد حمد ابوالحسن: قضية إسلامية الدستور والقوانين في السودان (1955-1985م) وتأثيرها على الإستقرار السياسي ، ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم، 2010م، ص 18.
- (4) عائدة مجذوب كمال الدين الادارة البريطانية في السودان 1925-1952م رسالة ماجستير جامعة القاهرة 1989م، ص 307.
- (5) كتاب وثائقي حول التجربة النيابية في السودان بمناسبة العيد الذهبي للبرلمان (1953-2003م) لجنة التوثيق والمطبوعات المجلس الوطني، 2003م، ص 10.
- (6) سارة إيجا: مرجع سابق ، ص 77.
- (7) نفس المرجع ص 108
- (8) (وهي معاهدة عقدت بين مصر وبريطانيا في 26/8/1936م بلندن بعد وفاة الملك فؤاد الاول وإرتقاء الملك فاروق لعرش مصر شملت عدداً من البنود من أهمها المتعلق بالسودان عودة الجيش المصري للسودان بعد ان كان نقله منه عقب ثورة 1924م.
- (9) الجمعية التشريعية للسودان 39/11/79 الملخص الاسبوعي من إجراءات الجمعية التشريعية الدورة الثانية من الاثنين 6 مارس الى 14 مارس 1950، ص 25.
- (10) وكان الاعضاء السودانيون فيها محمد أحمد المحجوب ،محمد أحمد أبوسن، بوث ديو، عبد الماجد أحمد ،عبدالله خليل ،عبدالرحمن علي طه ،حسن عثمان إسحق ،عبدالله ميرغني ،الدريديري محمد عثمان ،عبدالفتاح المغربي ،مرغني حمزة وإبراهيم بدرى.
- (11) مضابط الجمعية التشريعية الجمعية الاولى الدورة الثالثة 19-26/4/1952م ص 1193 دار الوثائق القومية.
- (12) نفس المصدر
- (13) بيتر ودورد السودان الدولة المضطربة ، ترجمة محمد علي جادين ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، أمدردمان، 2001م، ص 101.
- (14) نفس المرجع، ص 101-102.
- (15) المرجع نفسه، ص 101-102.
- (16) شيرين أبراهيم النور صديق : تأريخ الحركة السياسية السودانية 1952-1958م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 2010م، ص 5-6.
- (17) بيتر ودورد: مرجع سابق، ص 103.

- (18) فيصل عبدالرحمن علي طه السودان على مشارف الاستقلال الثاني 1954-1956 م، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، ام درمان ، 2010م، ص 22-23.
- (19) فدوى عبدالرحمن علي طه كيف نال السودان إستقلاله، دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1998م، ص 126
- (20) فيصل عبدالرحمن علي طه :مرجع سابق، ص 25
- (21) لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني الطبعة الثالثة 1987 ص 81
- (22) فيصل عبدالرحمن علي طه ، مرجع سابق ص 26-27
- (23) سلمان محمد أحمد سلمان : ثمانية وخمسون عاماً من الفشل في التوافق على دستور دائم للسودان، موقع الراكوبة يوم 31/12/2013م، زيارة الموقع 20/11/2020م.
- (24) عبدالعظيم محمد حمد ابو الحسن: مرجع سابق، ص 26.
- (25) فدوى عبدالرحمن علي طه ، كيف نال السودان إستقلاله، مرجع سابق، ص 338
- (26) عبد العظيم محمد حمد: مرجع سابق، ص. 25-26
- (27) نفس المرجع
- (28) فدوى عبدالرحمن علي طه تاريخ السودان المعاصر دار مدارك للنشر الخرطوم 2020 م ، ص 379
- (29) الدستور المؤقت للسودان مطبعة ماكوركديل الخرطوم 1956م ص 40-41-67
- (30) (مجلس النواب الدورة الثالثة جلسة رقم 53 / 31 / 12 / 1955 م ص 1037
- (31) نفس المصدر
- (32) عبدالعظيم محمد حمد ابو الحسن: مرجع سابق، ص 29.
- (33) فدوى عبدالرحمن علي طه تاريخ السودان المعاصر، مرجع سابق ص 380
- (34) منصور خالد : السودان أهوال الحرب وطموحات السلام قصة بلدين، دار تراث لندن، 2003م، ص 182
- (35) حسن الحاج علي الانقلاب العسكري بمنزلة عملية سياسية: الجيش والسلطة في السودان، مجلة سياسات عربية عدد رقم 27 يناير 2017م ص 54-55.
- (36) ديمتري إلغاز: ضباط الجيش والسياسة في المجتمع العربي ، ترجمة بدر الرفاعي دار سيناء القاهرة 1990م، ص 34.
- (37) أنظر أحمد بابكر محمد الخير: أسباب وتأثيرات ثورة أكتوبر 1964م على الحياة السياسية حتى 1969م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 2011م، ص 151-192.
- (38) أنظر فدوى عبدالرحمن علي طه تاريخ السودان المعاصر ، مرجع سابق 271-278.
- (39) محمد عمر بشير، تأريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م، ترجمة هنري رياض وآخرون ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، الخرطوم، ص 271-285.

(40) Abdelwahab El-Affendi: Revolutionary anatomy: the lessons of the Sudanese revolutions of October 1964 and April 1985 Contemporary Arab Affairs , Vol. 5, No. 2, April 2012, p299.

- (41) بيترودورد: مرجع سابق ص107.
- (42) هنري رياض التطور التشريعي في السودان، بدون معلومات للنشر، ص86.
- (43) رئاسة مجلس الوزراء (5) الميثاق الوطني لحكومة أكتوبر الانتقالية ، دار الوثائق القومية (43) هنري رياض مرجع سابق ، مرجع سابق ، ص 83.
- (44) منصور خالد : النخبة السودانية وإدمان الفشل، الجزء الاول ، مطابع سجل العرب ، 1993م ، ص76-77.
- (45) حيدر إبراهيم علي : أكتوبر صعود وهبوط مشروع الحداثة ، في خمسون عاماً على ثورة أكتوبر (1964-2014م) نهوض السودان الباكر، تحرير حيدر إبراهيم علي وآخرون، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 2015م، ص32-33.
- (46) هنري رياض : مرجع سابق، ص84-86.
- (47) نفس المرجع ص88.
- (48) السودان الجديد عدد رقم 5405 بتاريخ 23/1/1965م
- (49) بيتر ودورد: مرجع سابق، ص 158.
- (50) عبد الله إبراهيم الصافي: شهادتي للتاريخ أحداث الجزيرة أبا مارس 1970م وحركة 19 يوليو 1971م، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان 2013م، ص 39.
- (51) يعود تأسيس التنظيم إلى مطلع الخمسينات للشقيقين يعقوب وعبد الرحمن كبيدة وقد اتخذ أولئك الضباط خطاً وحدوياً مع مصر، وبعد الاستقلال تخلوا عن هذا الخط ،أدي قيام الضباط الأحرار بانقلاب علي حامد في 1959م للقضاء علي التنظيم، كان للحزب الشيوعي دوراً بارزاً في إعادة تشكيل التنظيم داخل الجيش بالاتفاق مع معارضي نظام إبراهيم عبود، وقد تركزت أهداف التنظيم علي إعادة بناء السودان علي أسس راديكالية وتغيير البنيات الاجتماعية والاقتصادية، أصدر التنظيم نشرة سرية حملت اسم صوت القوات المسلحة وكانت تتناول قضايا الجيش التنظيمية والفنية إلى جانب القضايا الوطنية، بعد أكتوبر 1964م كان رأي الضباط الأحرار إن تعاقب الحكومات المتكررة وعدم الاستقرار يمثل خيانة لتطلعات ثورة أكتوبر، مما أدى إلى اتفاق أعضاء التنظيم للاستيلاء علي السلطة في مايو 1969م.
- (52) ولد في مدينة أم درمان عام 1930م درس بمدرسة الهجرة بأم درمان والوسطى بمدرسة ود مدني الأميرية ثم مدرسة حنتوب الثانوية وبعد ذلك تقدم لكلية الخرطوم الجامعية ولكنه أثر الالتحاق بالكلية الحربية السودانية لأسباب مادية في عام 1950م، تخرج في الكلية الحربية بأم درمان عام 1952م، وحصل على الماجستير في العلوم العسكرية

من فورت ليفنورث بأركنساس الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1966م، تنقل جعفر نميري في عدة مواقع عمل في الجيش السوداني شمالاً وجنوباً، واتهم عام 1965م بتدبير انقلاب عسكري على النظام الديمقراطي القائم في البلاد في ذلك الوقت، غير أنه «تبين للقيادة بعد التحقيق معه أن الأمر ليس أكثر من وشاية وبعدم تبين لها ذلك حفظ التحقيق»، أجرى التحقيق معه مرة أخرى حول محاولة انقلابية فاشلة قادها ضابط اسمه خالد الكد غير أن التحقيق لم يتوصل إلى ما يجرم جعفر نميري في المحاولة الفاشلة، تولى حكم السودان من 1969 إلى 1985م ثم لجأ سياسياً إلى مصر من عام 1985 إلى عام 2000م حيث عاد إلى السودان وأعلن عن تشكيل حزب سياسي جديد يحمل اسم تحالف قوى الشعب العاملة ثم ترشح للرئاسة وخسر مقابل عمر البشير، توفي يوم السبت الموافق 30/5/2009م بعد صراع طويل مع المرض.

(53) محمود عبد الرحمن الفكي: القوات المسلحة في تاريخ السودان الحديث 1935م-1975م، المطبعة العسكرية، بدون تاريخ، ص 92-93.

(54) حسن الحاج علي: مرجع سابق، ص 57.

(55) أنظر مهند فاروق محمد أحمد: الحكومة العسكرية الثانية في السودان مايو 1969 أبريل 1985م دراسة تاريخية في الممارسة السياسية، دكتوراه غير منشورة جامعة الخرطوم، 2015م، ص 490 - 540.

(56) الموقع الرسمي للإمام الصادق المهدي، زيارة الموقع 20/11/2020م

(57) نفس المرجع

(58) المرجع نفسه

(59) وضم المجلس فريق أول عبد الرحمن سوار الذهب رئيساً، فريق أول تاج الدين عبد الله فضل نائباً للرئيس، وعضوية فريق طيار محمد ميرغني الطاهر، فريق بحري يوسف حسين أحمد، فريق مهندس محمد توفيق خليل، فريق (م) يوسف حسن الحاج، لواء أ.ح فابيان اقام لونق، لواء أ.ح جيمس لورو، لواء أ.ح عثمان الأمين السيد، لواء أ.ح إبراهيم يوسف العوض، لواء أ.ح حمادة عبد العظيم حمادة، عميد أ.ح عثمان عبد الله محمد، عميد أ.ح فضل الله برمة ناصر، عميد مهندس أ.ح عبد العزيز محمد الأمين، عميد أ.ح فارس عبد الله حسن.

(60) وضم المجلس صموئيل ارو بول نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للري، عميد عثمان عبد الله وزيراً للدفاع، إبراهيم طه أيوب وزيراً للخارجية، عوض عبد المجيد وزيراً للمالية والتخطيط الاقتصادي، سيد أحمد السيد وزيراً للتجارة والتعاون والتموين، عبد العزيز عثمان موسي وزيراً للطاقة والصناعة والتعدين، بيتر جاتكوث وزيراً للنقل والمواصلات، صديق عابدين وزيراً للزراعة، حسين سليمان أبو صالح وزيراً للصحة والرعاية الاجتماعية، أوليفر إلبينو وزيراً للخدمة العامة والعمل، عباس مدني وزيراً للداخلية، أمين مكي مدني

- وزيرا للتشيد والإسكان، مامأ بشير مامأ وزيرا للآافاة والإعلام، بشير مامأ التوم وزيرا للآربية والآعليم، عمر عبء العاطي ناأبا عاماء.
- (61) عرض هذا المنصب على أساآذة الجامعات فرفض ء. عءلان الاءرلو وعرض كذلآ على الماهنءسين فرفضه عوض الكريم مامأ أأما.
- (62) من اهم هذه المباءى ضمان إستقلال القضاء وسياءة حكم القانون ولمان إستقلال وقومية القوات المسلحة والقوات النظامية ولمان إستقلال الاعلام وحيءته ولمان إستقلال وحرية العمل النقابي ولمان إستقلال الجامعات والمعاهء العليا وحرية البآآ العلمي ولمان إستقلال وحيءة الخءمة المءنية
- (63) هذه اللجنة بمراجعة إلغاء القوانين المقيدة للآريات ءون سبب أومبءاً مشروع وإستكمال النواقص الآي كشف عنها الآطبيآ والالآزام بأن آعبر هذه القوانين عن قيم المآآمع السوءاني واعرافه .
- (64) يراعى أن يكون رئيس مجلس الوزراء من الشآصيات القومية المايدة من ءوي الخبرة والكفاءة والامانة .
- (65) يآكون الجهاز الآنفيزي من الوزراء الآآية وزارة الدفاع وزارة الاءلية وزارة الآارجية وزارة العءل وزارة المالية والاآآصاء والآآطيط وزارة الطاقة والآعءين وزارة الزراهة والموارد الآبيعية وزارة الصناعة وزارة الري وزارة الصحة وزارة النقل والمواصلات وزارة الآشيد والآشعال العامة وزارة الآربية والآآوجيه وزارة الشباب والشآون الاءنية .
- (66) عبءالرحمن الامين ساءة الصفر مءبآة ءيمقراطية السوءان الآالآة (1985-1989م)، مطابع سجل العرب القاآرة ، 1992م ، ص-14 15
- (67) شملت هذه الهيئات الءستورية لآنة الانتخابات لآنة إستآنافات الخءمة المءنية وءيوان المراجع العام.
- (68) عبءالرحمن الامين : مرجع سابق، ص15-16.
- (69) سلمان مامأ أأما سلمان: كيفَ ولماآا نجآ الإسلاميون في إآهاض انآفاضية أبريل 1985؟ ءروس لآورة ءيسمبر 2018م، نشر بآاريخ 5/مايو 2019م بموقع سوءان نايل. زيارة الموقع في 20/11/2020م
- (70) سلمان مامأ أأما سلمان : آمانيةٌ وخمسون عاماً من الفشل في الآوافآ على ءستور ءائم للسوءان، مرجع سابق
- (71) سلمان مامأ أأما سلمان: كيفَ ولماآا نجآ الإسلاميون في إآهاض انآفاضية أبريل 1985؟ ءروس لآورة ءيسمبر 2018م، مرجع سابق

## سياسة بريطانيا تجاه المهدية في شرق السودان (1883 - 1891م)

أ.مشارك - قسم التاريخ - كلية التربية -  
جامعة الزعيم الأزهري

د. قسم السيد حمزة أحمد بيرير

### مستخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى القاء الضوء على سياسة بريطانيا تجاه المهدية في شرق السودان . وتتمثل مشكلة الدراسة في نحوين أن بريطانيا اتبعت سياسة ذات معايير مزدوجة تجاه المهدية عموماً . وتكمن أهميتها في كونها تميّط اللثام عن محاولات بريطانيا للقضاء على المهدية في شرق السودان . اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي للوصول لنتائج علمية . ولعل من أهم ما توصلت إليه من نتائج هو أن انتصارات الثورة المهدية في شرق السودان شكلت تهديداً لمصالح بريطانيا في البحر الأحمر وأن التدخل البريطاني أدى إلى انحسار المهدية في شرق السودان وأوصت الدراسة بضرورة دراسة سياسة بريطانيا تجاه المهدية عموماً وعلاقتها بالمكونات القبلية والدينية في شرق السودان .

### Abstract:

this study aims to shed light on Britani's policy towards mahadism in the Eastern Sudan. The significance of the study emerges from the fact that Britain embarks on a double standard policy toward mahadism in general .it importance lies in the fail that it explores Britain endeavors to destroy mahadism by the force of arms .the study adapts historical analytical approach to obtain sound findings. chief among these findings was that mahadism victories in the eastern Sudan threatens Britain's interest's in the red sea and Britain's interference led to the decline of mahadism in that part of sudan. The study recommends further studies about Brittan's policy towards mahadism and its relation with religious and tribal in stations in the eastern Sudan.

## مقدمة:

في عام 1820 غزا إسماعيل بن محمد علي باشا السودان واستولى عليه بعد اجتياحه شمال السودان والقضاء على مملكته الفونج وبدأ بذلك الحكم التركي المصري للسودان واستمر لما يزيد عن الستين عاماً تعتبر فترة التركية بداية لوضع جديد بالنسبة للسودان. فقد برزت نتيجة لذلك الكينونة السياسية لما يعرف اليوم بالسودان والذي كان حتى ذلك الوقت مجموعة من الممالك والمشيخات لقد أدى الغزو التركي المصري إلى تجميع تلك المؤسسات في إطار واحد رغم ما بينها من عوامل التنافر الكثيرة وقلة عوامل التوحيد والارتباط. أقام الحكم الجديد حكومة مركزية لإدارة البلاد والتي كانت حدودها السياسية تتغير مداً وجزراً عبر فتره واسعة من القرن التاسع عشر<sup>(1)</sup>.

كان نظام الحكم التركي المصري غريباً على السودانيين واتسم بالظلم والجور وأدخل عليهم نظاماً إدارية وضرائب ثقيلة لم تكن مألوفة لديهم وقد أدى الضعف والقمع الذي صاحب هذا الحكم ومحاباته لبعض الفئات إلى نفور السودانيين عنه كما أخذوا يتطلعون لمنقذ يخلصهم من هذا الاستبداد.

ومن المعروف عن السودانيين ولائهم القوي لإسلامهم ذي الطابع الصوفي واستناداً على هذا كان لا بد لوعيهم الاجتماعي أن يتخذ أيديولوجية دينية وليس سواها أداة للتحرير فكان ظهور المهديّة عام 1881م واستطاعت الثورة المهديّة وفي خلال أربع سنوات تحقيق انتصارات متتالية على الحكم التركي المصري في الجزيرة أبا وكردفان وتوجت بالاستيلاء على الخرطوم يوم 26 يناير 1885م.

سياسة بريطانيا تجاه المهديّة: احتلت بريطانيا مصر عملياً بعد القضاء على حركه عرابي وتزامن هذا الاحتلال مع احتلال المهدي الأبيض وسيطرته على كردفان ورغم أن بريطانيا كانت في البداية تعتبر الثورة المهديّة شأن داخلي لا يعينها كثيراً إلا أنها كانت تسعى لمعرفة كنه الحركة وخطرهما على مصر.

ولتقف على حقيقة الوضع في السودان انتدبت الكولونيل ستيوارت للذهاب إلى السودان وكتابة تقرير عن أحواله وبالفعل غادر ستيوارت إلى السودان ونزل سواكن، ثم غادرها إلى بربر و أعد تقريراً شكل أساساً للسياسة البريطانية في السودان<sup>(4)</sup>.

وبعد احتلالها لمصر كانت بريطانيا تنكر وبصوت عال أي نية لديها للاستمرار في حكم مصر أو تحمل أي مسؤوليات مباشرة. وكان رئيس وزرائها جلاستون ووفقاً لمبادئ حزب الأحرار غير متحمس للتدخل البريطاني في مصر ويود خروج إنجلترا منها<sup>(5)</sup>.

وفي سبتمبر 1983م جاء ايفلين بيرنج معتمداً سامياً لبريطانيا في مصر وكان قبل تعيينه معتمداً عضو في صندوق الدين المصري<sup>(6)</sup>.

وفي نوفمبر 1883م كانت بريطانيا على وشك الانسحاب من مصر، لكن الوضع المتدهور بسرعة في السودان عموماً، أزجج بيرنج وجعله يطلب في 19 نوفمبر 1883م

حكومته بالمزيد من التوضيح لتعليماتهم حول السياسة التي يجب عليه اتباعها في ما يختص بالسودان<sup>(7)</sup>. وبعد أن أخطر بيرنج حكومته بإبادة حملة هكس تخلت السياسة البريطانية عن نظرية عدم التدخل في الشأن السوداني ، وبدأت تكون رأياً وإن لم يكن واضحاً يدل على اتجاهها وطلبت منه أن يزكي إخلاء السودان إلى حدود معلومة<sup>(8)</sup>.

ورغم أن بيرنج نفسه كان في البداية ينادي بعدم التدخل إلى أنه اتصل بحكومته في العاشر من ديسمبر 1883م يطلب منها تعليمات واضحة ينصح بها الحكومة المصرية. وربما كانت أحداث الثورة المهديّة في شرق السودان سبباً في تغيير وجهة نظره ، لهذا نبذ المعتمد البريطاني سياسة الامتناع وطلبه التعليمات الصريحة الواضحة التي تجعل لبريطانيا الكلمة العليا، وهكذا انحاز بيرنج لسياسة الأمر الواقع التي اقتنعت بها الحكومة البريطانية<sup>(9)</sup>. ومنذ هذا التاريخ دخلت المسألة السودانية في طور جديد بعد فترة من التأرجح والغموض<sup>(10)</sup>.

وفي 13 ديسمبر 1883م التقى شريف باشا رئيس الوزراء المصري بيرنج ونقل إليه ما دار في اجتماع المجلس. ويتلخص في أن الحكومة المصرية أقرت ببعجزها عند معالجة مسألة السودان وأنها لا ترى من الحكمة استخدام جنود انجليز أو هنود لأن ثورة المهدي دينية. ومن الأفضل الاتجاه إلى تركيا، ويطلبون من انجلترا الاتفاق مع البابا العالي على نوع ومدى المعونة التي يقدمها<sup>(11)</sup>. شجعت الخطوة المصرية بريطانيا على نبذ التردد والتدخل مباشرة<sup>(12)</sup>.

في 13 ديسمبر 1883م ردت الحكومة البريطانية على طلب بيرنج قائلة لا تنوي إرسال قوات بريطانية أو هندية إلى السودان، كما أنها لا تمنع استخدام قوات تركية بشرط أن تتحمل الخزينة التركية أعباءها، وأن يكون ذلك الاستخدام مقصوراً على سواكن<sup>(13)</sup>. وشدد الرد أيضاً على ضرورة إخلاء السودان وسحب الحاميات المصرية إلى أسوان أو حلفا على الأقل<sup>(14)</sup>. وهكذا جعلت الاشتراطات التي فرضتها بريطانيا معونة تركيا أمراً غير متوقع الحصول ولذا نصحت بالانسحاب.

في الثاني والعشرين من ديسمبر 1883م رفضت الحكومة المصرية طلب الإخلاء متعللة بأن الخديوي وعلى حسب شروط تعيينه بواسطة السلطان غير مسموح له بالتنازل عن أي من ممتلكاته<sup>(15)</sup>. كذلك أكدت الحكومة المصرية على مسألة طلب الدعم من السلطان بعشرة آلاف جندي من القوات التركية والاحتفاظ بالخرطوم والسودان الشرقي ووادي النيل<sup>(16)</sup>.

في الثاني من يناير 1884م نقل بيرنج لحكومته اقتراحاً جديداً مقدمه شريف باشا، يتركز في إرجاع السودان الشرقي وسواحل البحر الأحمر إلى تركيا إذا ما رفض السلطان المعونة العسكرية، وبذلك يتسنى لمصر بمالها من جند الاحتفاظ بوادي النيل والخرطوم<sup>(17)</sup>. وفي 4 يناير 1884م وبعد جلستين لمجلس الوزراء البريطاني، وصلت الحكومة

لقرارها النهائي وهو إصرارها على إخلاء السودان بأكمله، ولا مانع لديهم من إرسال قوات تركية بشرط أن تتحمل الخزينة التركية أعباءها، كما أنها توافق على إرجاع سواحل البحر الأحمر للدولة العثمانية<sup>(18)</sup>. وأكدت على ضرورة استقالة الحكومة المصرية إذا كانت تعترض على تنفيذ الإخلاء<sup>(19)</sup>.

وفي السابع من يناير 1884م قدم شريف باشا استقالته وخلفه نوبار باشا رئيس الوزراء وأبدى موافقته على تنفيذ سياسة الإخلاء.

### غردون في السودان:

كانت تصريحات الساسة الإنجليز عن ثورة السودان قبل شيكان تؤيد كلها عدم التدخل وتدعي أنها شأن مصري داخلي، ولكنهم في نفس الوقت يقرون علناً بعجز مصر عن إخمادها ويزكون إخلاء بعض مناطق السودان حتى تتفرغ القوة المصرية للدفاع عن جزء محدود تستطيع الاحتفاظ به والدفاع عنه<sup>(20)</sup>. ومع هذا لم تكف يدها عن التدخل في شؤون السودان بطريقة غير مباشرة بل أرادت أن تلعب دورها من وراء الكواليس عبر واجهة مصرية. وربما كان سبب ذلك النظرة البعيدة المدى للسياسة البريطانية التي تضع السودان ضمن دائرة نفوذها مستقبلاً، لأن احتلال أي دولة أوروبية أخرى لأي جزء من السودان سيقف حجر عثرة أمام تحقيق حلم بريطانيا الاستعماري بإقامة مستعمرات عبر القارة الإفريقية من القاهرة حتى مدينة الكاب، فكان على بريطانيا مواجهة هذا الموقف بدبلوماسية بارعة<sup>(21)</sup>.

ولما كانت مسألة الإخلاء هي شغلها الشاغل أرادت أن يتم تنفيذه على يد أحد مواطنيها وبعد شيكان تعرضت الحكومة البريطانية للضغط نسبة لتحييز الصحافة الرأي العام على المطالبة بعودة غردون إلى السودان لمواجهة الموقف هناك. وكان مجلس الوزراء في ذلك الحين يبحث اقتراحاً تقدم به بيرنج بشأن إرسال ضابط بريطاني إلى السودان لسحب القوات وترتيب حكومة للسودان بعد الإخلاء وكان تقديم غردون لهذا المنصب شيئاً طبيعياً نسبة لمعرفته بالسودان<sup>(22)</sup>. ولم يكن ذلك الاختيار صدفة. فمنذ أن أرسلت بريطانيا الكولونيل استيوارت عام 1883م، وهي حريصه دوماً على إرسال بريطانيين إلى السودان في مهام عسكرية وسياسية ليكونوا في مسرح الأحداث. واختيار غردون يندرج في إطار ذلك المنهج. وهكذا اتجهت السياسة البريطانية إلى التدخل في السودان عبر غردون بشرط أن يكون ثمة فهم واضح تماماً لأبعاد مهمته والخط السياسي الذي يجب عليه اتباعه. أما الفهم فهو بالذات الأمر الذي تعذر تحقيقه. وقبل مغادرة غردون وضع جرانفيل وزير الخارجية البريطانية مسودة تعليماته التي فصلت المهام التي كان عليه أن يقوم بها في سواكن وهي ذات طبيعة استشارية، حيث يتوجب عليه كتابة تقرير عن الموقف الحربي ودراسة أفضل السبل للإخلاء. وفي نهاية التعليمات وردت عبارة فهم منها كل من غردون وبيرنج أنها تخلق على غردون مهام تنفيذية وهي القيام بأي واجبات أخرى يعهد بها إليه

من قبل الحكومة المصرية عن طريق بيرنج<sup>(23)</sup>. و قبيل مغادرته القاهرة يوم 26 يناير 1884م تسلم تعليمات جديدة من بيرنج ذات طبيعة تنفيذية خالصة. وفي بداية مرحلة مهمته وعندما كان في شمال السودان كان مقتنعاً بأن بإمكانه إخلاء السودان سلمياً وإقامة علاقات طيبة مع المهدي. وعندما وصل الخرطوم تحول موقفه وأهداف بعثته من ناحيتين: فقط ابتلعت مهامه التنفيذية مهامه الاستشارية الأهلية، وتحول تفكيره من مجرد الإخلاء إلى الإعداد لحكومة تخلفه<sup>(24)</sup>. وبعد وصول غردون الخرطوم ووقوفه على حقيقة الموقف بدأ يتنكر لسياسة الإخلاء ويتجه إلى استعمال القوة أو التظاهر بالقوة حتى يمهّد الطريق لسحب الحاميات والمدنيين ثم مواجهة المهدي وسحقه<sup>(25)</sup>. وفي تلك الآونة بدأ المهدي حصاراً على الخرطوم، وبدأت الصحافة البريطانية تنادي بإرسال حملة لإنقاذ غردون. أما الحكومة البريطانية فقد كانت مشغولة بتصريف شؤونها العاجلة وغير متحمسة لإنقاذ غردون. فقد كان بعض وزرائها ينادل بإرسال حملة في الحال ويعارض البعض الآخر إنقاذ غردون لأنه خالف التعليمات<sup>(26)</sup>. وبعد ضغط من هارنجتون وزير الحربية وافق مجلس الوزراء في أواخر يوليو 1884م على إنفاذ حملة بقيادة لورد ولسلي لإنقاذ غردون واعتماد مبلغ مالي لها<sup>(27)</sup>. وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تحشد قواتها في أسوان وحلفا وصل المهدي بجحافة إلى الخرطوم في أكتوبر 1884م. وعندما بلغ المهدي نبأ وصول حملة إنقاذ غردون إلى كورتي أرسل جيشاً لمواجهة بقيادة موسى ود حلو. وفي 17 يناير إلّتحم الجيشان في معركة أبوطليح والتي انتهت بانتصار الانجليز رغم خسائرهم الفادحة. في 20 يناير وصلت المهدي أخبار معركة أبوطليح، فقرّ رأيه على مهاجمة الخرطوم وأخذها عنوة، وهذا ماحدث في صبيحة 26 يناير 1885م<sup>(28)</sup>. ومهما يكن من أمر فإن إرسال حملة الإنقاذ والتدخل في السودان لهو أصدق دليل على الاضطراب الذي شابا سياسة. بريطانيا تجاه السودان في تلك الفترة.

### بريطانيا في شرق السودان:

اكتسب السودان بفضل موقعة الاستراتيجية أهميه خاصة في السياسة البريطانية خلال القرن التاسع عشر. فقد كانت الخرطوم نقطة الانطلاق والتوغّل الرئيسية في إفريقيا على مستوى الاستكشاف والتبشير كذلك تمتع شرق السودان باهتمام بريطاني كبير لأنه يطل على البحر الأحمر الذي أصبح شرياناً للتجارة العالمية بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م، وواحداً من أهم طرق المواصلات الامبراطورية ومقرّاً للعديد من محطات الأسطول البريطاني.

اتسمت السياسة البريطانية تجاه السودان بعد قيام الثورة المهديّة بتناقض غريب. فبينما كانت تؤيد سياسة الإخلاء وإقامة حكومات مستقلة في النيل اتبعت نهجاً مغايراً في شرق السودان اعتمد على التدخل والانغماس المتهور في شؤونهِ<sup>(29)</sup>. ولعل أهم الأسباب التي دفعت بريطانيا لهذا التدخل هي:

1. أهميه البحر الأحمر الاستراتيجية لخطوط المواصلات الامبراطورية.
  2. منع انتشار الثورة في الجزيرة العربية وصعيد مصر.
  3. الاستفادة من قبائل شرق السودان في سحب الحاميات والمدنيين عن طريق سواكن.
  4. فتح طريق سواكن / بربر لأنه شريان المواصلات مع الداخل والخرطوم.
  5. حماية الرعايا البريطانيين في سواكن.
  6. الحفاظ على الأمن والسلام في ربوع شرق السودان.
  7. توطيد دعائم الإدارة المصرية في موانئ وسواحل البحر الأحمر.
  8. محاربة تجارة الرقيق.
  9. جس نبض الدول الأوروبية إزاء التدخل البريطاني في شرق السودان<sup>(30)</sup>.
- وعلى أي حال فقد دارت السياسة البريطانية في شرق السودان حول ثلاثة محاور هي سحق عثمان دقنة وحشد القبائل وحماية سواكن.

### سحق عثمان دقنة:

ظل شرق السودان ساكناً لا تحركه أحداث الثورة المهدية حتى سقوط الأبيض. بعد سقوط الأبيض أرسل المهدي عثمان دقنة لرفع راية المهدية في شرق السودان. وصل عثمان دقنة إلى الشرق في يوليو 1883م وعلى الفور بدأ في حشد القبائل ومهاجمة الحاميات الحكومية وتمكن بعد حوالي سبعة أشهر من السيطرة على سنكات ولم يبق في يد الحكومة إلا سواكن. كانت بريطانيا حريصه ومنذ البداية على الوقوف على مسار الأحداث في شرق السودان. فقد سحب القنصل البريطاني في سواكن وفقاً لتقديراته الخاصة أول حملة حكومية بقيادة محمود باشا طاهر إلى ترنكات بهدف إنقاذ طوكر. وعندما تحركت الحملة صباح 5 نوفمبر 1883م من ترنكات إلى طوكر هاجمها الأنصار وقضوا عليها وقتل القنصل البريطاني<sup>(31)</sup>. بعد هذا الانتصار هدد عثمان دقنة سواكن ذاتها كما أرسل مصطفى هدل لمحاصره كسلا وقطع الطريق بين سواكن و بربر أدركت السلطات في مصر خطورة الموقف، ولكن منعتها الحكومة البريطانية من إرسال القوات المصرية التي أعيد تنظيمها للقضاء على الحركة<sup>(32)</sup>. وبناء على هذه التقديرات فلا يوجد أنسب من جندرمة فالنتين بيكر شقيق المكتشف صمويل بيكر والذي تم انتدابه من القسطنطينية، لتنظيم هؤلاء الجند للخدمة الميدانية 33. والجندرمة هم قوة من الأتراك والمصريين غير المدربين يراد بهم حفظ الأمن الداخلي والقيام بعمل الشرطة وعددهم ستة آلاف جندي<sup>(34)</sup>.

ومثل ما فعلت بريطانيا في غرب السودان بارسال هكس باشا الذي كان يقود فلول جيش عرابي أوعزت إلى الحكومة المصرية بارسال جندرمة بيكر لسحق عثمان دقنة، على أن تعاونها قوة من الزنوج ينظمها الزبير باشا ويتولى قيادتها. ولكن الفكرة لم تنفذ بسبب إصرار الزبير على استقلاليته عن بيكر<sup>(35)</sup>. قرر بيكر في البدء مهاجمة طوكر بأمل أن النجاح هناك ربما يساعد في إنقاذ سنكات. وفي الرابع من فبراير 1884 غادر بيكر سنكات متجها صوب طوكر لكن الانصار هاجمهم وقضوا عليهم .

فانسحب بيكر ومن معه إلى سواكن مخلفين وراءهم حسب مصادر الأنصار أكثر من (36) أربعة آلاف وخمسمائة قتيل.

أثارت هزيمة بيكر الرعب في سواكن واضطرت الحكومة البريطانية إلى التدخل مباشرة بعد أن كانت تفعل ذلك من وراء الكواليس. بعد الهلع الذي خلفته هزيمة بيكر في سواكن أصدرت الحكومة البريطانية تعليمات إلى الأدميرال هيوت Admiral Hewett بأن يتولى بالقيادة العسكرية والمدنية العليا للمدينة لأنهم وعدوا الحكومة المصرية بحماية موانئ البحر الأحمر (37) إجتمعت الحكومة البريطانية في السادس من فبراير 1884م وانقسم الرأي في مجلس الوزراء حول إرسال حملة إلى سواكن الأمر الذي عارضه جلاستون ووزير الخارجية جرانفيل. ولكن تحت ضغط الملكة والصحافة المساندة

لاستخدام القوة تقرر إرسال حملة لسواكن رغم. معارضة بعض النواب البرلمانيين (38). وفي الحادي عشر من فبراير 1884م صدرت الأوامر إلى الجنرال ستيفنسون قائد القوات البريطانية في مصر لإرسال أفضل ثلاثة فرق مع الأسلحة الضرورية إلى سواكن تحت قيادة جيرالد جراهم major – General maharG dlareG. (93)

وما كاد جراهام يصل ترنكتات حتى ووجه بنياً سقوط طوكر وأدى هذا إلى إنهاء الهدف الرئيسي للحملة ولكن جراهام قرر ألا يعود قبل أن يوجه ضربة لعثمان دقنة لإيقاف مد الثورة وتحطيم مكانته (40). وافقت الحكومة البريطانية على هذه الخطوة رغم أنها تتعارض مع السياسة الدفاعية التي اتبعت حتى ذلك الوقت , وخاصة إذا ما قورنت مع سياسة غردون السلمية تجاه المهدي لوضع نهاية للحرب وترك السودانين مستقلين عن حكم مصر (41).

تجمعت قوات جراهام في الأسبوع الأول من فبراير 1884م ثم بدأت تتقدم نحو الداخل . ووقعت معركة التيب الثالثة 29 فبراير 1884م انتهت بهزيمة عثمان دقنة وفقد أكثر من ثلث قوته (42) والطريف في الأمر أن عثمان دقنه يرى أن سبب حضور الإنجليز هو ما شاع أن الدولة المصرية عجزت عن المحاربة وسلمت الأمر إلى الدولة الإنجليزية (43). بعد المعركة تقدمت القوات البريطانية إلى طوكر ولكنها سرعان ما رجعت إلى ترنكتات حيث لم يكن لديها نية الدفاع عن الموقع (44).

ومن وجهة نظر عثمان دقنه فإن الإنجليز انسحبوا لأن الله ألقى في قلوبهم الرعب (45). ورغم الهزيمة ظل عثمان دقنة على نشاطه وقوته فقرر جراهام بعد عودته إلى سواكن كسر التهديد الموجه لهذه المدينة بمهاجمة عثمان دقنة في طماي يوم 13 مارس 1884. حيث دارت معركة طماي الثالثة وإنتهت بهزيمة عثمان دقنه وقتل ألفين من أصحابه رغم تمكنهم في البداية من اختراق المربع البريطاني الشهير (46). وبعد المعركة انسحب جراهام ثانية إلى سواكن بينما ظل عثمان دقنة على قوته مع

اتباعه. عندئذ أخذ جراهام إذناً للقيام بهجوم ثالث على عثمان دقنة في طماي وتم احتلالها يوم 27 مارس 1884م بعد مقاومة خفيفة جداً بعد انسحاب قوات عثمان دقنة. وبعد إحراق القرية عاد جراهام مرة أخرى إلى سواكن<sup>(47)</sup>. وبعد أسبوع من المعركة وفي 3 إبريل 1884 غادر جراهام إلى مصر ولحقه جيشه. وفي 10 مايو رسمى الميجر تشمر سيد حاكماً على سواكن<sup>(48)</sup> أثبت التدخل البريطاني عدم فاعليته ومن الناحية العملية احتفظ عثمان دقنة بكل من سنكات وطوكر وسيطر الأنصار على طريق سواكن - بربر. وبقيت سواكن وحدها بيد المصريين وإن خف الضغط عليها. بعد سقوط الخرطوم تحول الاهتمام من المهدي والخرطوم إلى عثمان دقنه وسواكن. شهد العام 1885م حملات أخرى للقضاء على عثمان دقنة وبما أن تهديد عثمان دقنة مازال قائماً ومع الرغبة في فتح طريق سواكن - بربر، قررت الحكومة البريطانية مد خط حديدي يربط بين سواكن وبربر. ووضعت جراهام على رأس قوة تتكون من البريطانيين والهنود والمصريين وكلفته بضرورة القضاء على عثمان دقنة وتشنيت العصابات التي من المحتمل أن تهاجم الخط الحديدي<sup>(49)</sup>. ووفقاً لهذه الخطة وصل جراهام إلى سواكن يوم 12 مارس 1885م وتم تعزيز قوته بقوات من الهنود والبنغال بالإضافة إلى فرقة استوائية تكاملت هذه القوات حتى بلغ عددها ثلاثة عشر ألف جندي، وعين الميجر جنرال جريفز رئيساً لهيئة الأركان<sup>(50)</sup>

كان لعثمان دقنه معسكران أحدهما في طماي والآخر في تل هشيم. قر رأي جراهام على سحق قوة تل هشيم قبل التقدم إلى طماي وفي يوم 20 مارس هاجم جراهام تل هشيم وتمكن من هزيمة عثمان دقنة. وبعد المعركة أقام نقطة عسكرية ورجع إلى سواكن<sup>(51)</sup>. وبينما كان جراهام يتهيأ للزحف على عثمان دقنه بإقامة مواصلات وتمويل ومحطات على الطريق، أرسل قوه بقيادة الكولونيل جون ماكنيل، فهاجمها عثمان دقنة في خور توفريك وجرت معركة دموية ربما تكون أشرس معارك عثمان دقنة في شرق السودان وعرفت باسم معركة زريبة ماكنيل.

ورغم أن المعركة في احتدامها لم تستمر أكثر من ربع ساعة وانتهت بهزيمة عثمان دقنة، إلا أنه الحق خسائر فادحة بالبريطانيين<sup>(52)</sup>.

بعد المعركة وفي الثالث من إبريل 1885م احتلت القوات البريطانية الموقع الحصين لعثمان دقنة وأحرقته. في 17 مايو 1885 بدأت حملت الإنقاذ والانسحاب من سواكن وبقي بها الجنرال هدسون قائداً عاماً لقوات مختلطة من البريطانيين والهنود والمصريين<sup>(53)</sup>. ومهما يكن من أمر فقد تم تأمين سواكن وغزو مصر عن طريق الصحراء الشرقية. ومع ذلك وبعد إنفاق أكثر من ثلاثة أرباع مليون جنيه وتحقيق نجاحات محدودة تكاد النتائج تكون سلبية لأن عثمان دقنة مازال طليقاً<sup>(54)</sup>.

ولم تحدث مواجهات ذات بال خلال عام 1886م - 1887م وازداد نقص حامية سواكن وإن عززت استحکاماتها مع توالي محاولات الأنصار لإحكام الحصار من حولها. وفي

عام 1886م بدا يعرف اسم كتشنر وتبرز مكانته بعد أن تم تعيينه حاكماً عاماً لسواحل البحر الأحمر وفي 17 يناير 1888م قاد هجوماً على هندوب يحدوه الأمل في أسر عثمان دقنة. وكان المهاجمون قاب قوسين أو أدنى من الفوز به هجومهم المباغت على معسكر عثمان دقنة، إلا أن الأنصار أعادوا ترتيب صفوفهم وهزمهم وأصيب كتشنر بإصابة في فكه<sup>(55)</sup>. وبعد ذلك أحكم الأنصار الحصار على سواكن و استمروا يحاصرونها حتى تم إجلاؤهم بعد معركة الجميزة 2 ديسمبر 1888م. تابعت السلطات العسكرية الانجليزية المصرية في كل من سواكن والقاهرة مجرى الأحداث في السودان باهتمام بالغ. وكان العسكريون البريطانيون يتوقعون لفتح السودان لاستعادة هيبتهم التي زعزعها الأنصار، إلا أن أفكارهم لم تجد حماسة من جانب بيرنج أو من قبل الحكومات البريطانية المتعاقبة سواء كانت حكومة أحرار يرأسها جلاستون أو حكومة محافظة يرأسها لورد سال سبري. و لم تستمع هذه الحكومات لرأي العسكريين في ما يتعلق بشرق السودان بصورة محددة حتى فبراير 1891م. بعد معركة توشكي 1889م بدأت السلطات العسكرية تمارس ضغطاً في سبيل التقدم في المناطق المجاورة لسواكن<sup>(56)</sup>.

وتم إعداد الكثير من المذكرات والتقارير في هذا الشأن. وصورت هذه التقارير اضمحلال قوة المهديّة في منطقة طوكر ورغبة القبائل المحلية في عودة الحكم المصري، وعجزها عن التخلص من الحكم المهدي دون مساعدة. وأثارت هذه التقارير المخاوف من احتلال إيطالي محتمل لكسلا. وأخيراً نجحت هذه الضغوط على لورد سال سبري رئيس الحكومة البريطانية فأعطى موافقته باسترجاع طوكر يوم 7 فبراير 1891م<sup>(57)</sup>.

وتمهيدا للزحف على طوكر استولى هولند سميث على هندوب يوم 27 يناير 1891م. وفي الثاني من فبراير 1891م تم الاستيلاء على طماي<sup>(58)</sup>. وفي صباح الثامن من فبراير 1891م غادر هولند سميث سواكن إلى ترنكتات ومنها تقدم إلى طوكر. وهناك فاجأ الأنصار القوة الانجليزية بهجوم كاسح. وانتهت المعركة بهزيمة الأنصار والاستيلاء على طوكر 19 فبراير 1891م وعلى إثر ذلك تقهقر عثمان دقنة إلى منطقة أدرامة على نهر عطبرة<sup>(59)</sup>. وشكل سقوط طوكر تنمة لهزيمة توشكي التي حدثت قبلها بثمانية عشر شهراً. ومن ذلك الوقت كان على الخليفة أن يتخذ موقف الدفاع في وجه القوة المتزايدة للقوات العسكرية الأجنبية.

### حشد القبائل:

كان الولاء سواء كان دينياً أو قبلياً عاملاً مهماً في وضع شرق السودان قبل المهديّة. ومن خلال متابعة أحداث الثورة المهديّة في الشرق يتضح أن القوة المحلية كانت تصطرع لأسباب هي في الأصل ذاتية ومحلية<sup>(60)</sup>. وعلى وجه العموم فإن القبائل المناوئة للحكم التركي كانت متحالفة مع المجذوبية بينما وقفت القبائل المؤيدة له مع الختمية<sup>(61)</sup>. بدا العامل القبلي يبرز كعنصر مؤثر في تحديد المواقف منذ بداية أحداث الثورة في شرق السودان فعندما هاجم عثمان دقنة سنكات في أولى معاركه بشرق السودان، كان

معظم أنصاره من الهدندوة وأتباع الطريقة المجذوبية وفي نفس الوقت تقريباً بدأت القبائل المؤيدة للإدارة التركية تسفر عن وجهها وبالذات الأمرار الذين شاركوا في معركة خور قباب ثاني معارك المهديّة في شرق السودان بعد أيام من معركة سنكات<sup>(62)</sup>.

بعد هزيمة محمود باشا في معركة التيب الأولى تقرر إرسال فالنتين بيكر وقد أعطي السلطة المدنية والعسكرية على جميع بلاد السودان الشرقي. وللبقاء على ولاء القبائل اصطحب معه السيد محمد سر الختم الميرغني، كما قام بالاتصالات مع بعض رؤساء ولم تستقر إلا عن نجاح محدود في استمالة بعض رؤساء قبائل البني عامر والحباب<sup>(63)</sup>.

تنبه الانجليز ومنذ البداية إلى أهمية العامل القبلي في إضعاف المهديّة من خلال استقطاب القبائل المناوئة للمهديّة. في عام 1884م وعندما احتدم الصراع بين المهديّة والأمرار أبدى الانجليز استعدادهم لمساعدة زعيم الأمرار الفاضلاب محمود علي وأمدوه ببنادق وذخائر ومواد غذائية، كما أعطوه وابلوراً لنقل هذه المساعدات<sup>(64)</sup>. وبعد هزيمة الأمرار قام الانجليز بتوفير سفن لنقل الفارين من الأمرار إلى سواكن<sup>(65)</sup>.

في السابع من سبتمبر 1886م جاء كتشنر خلف للميجر واطسون حاكماً على سواكن. ولعل كتشنر هو أكثر حكام سواكن البريطانيين حرصاً على الاستفادة من قوة القبائل في محاربة المهديّة سيما وقد تزامن وصوله إلى سواكن مع انتصارات الأمرار على الأنصار في طماي. شجعت هذه الانتصارات كتشنر على مطالبة قادة القبائل بالهجوم على طوكر. فانضم زعيم الشراف محمود أبو فاطمة أبي أحمد محمود بك علي وتجمعت جموعهم في التيب في أوائل نوفمبر 1886م. وعندما علم قادة القبائل بتقدم جيش ضخم من الأنصار صوب التيب انسحبوا إلى سواكن وبذلك فشلت مهمتهم في الاستيلاء على طوكر<sup>(66)</sup>.

شهد العام 1887م في بدايته تطوراً في العلاقات الودية مع شيوخ الجنوب في شرق السودان. ولعل سبب ذلك توافد عدد كبير من مختلف رجال القبائل إلى الحكومة في سواكن وتأكيدهم على كراهيتهم للمهديّة<sup>(67)</sup>. وفي نفس الفتره تقريباً استقبل الحاكم العام بسواكن وفداً من اثنين وعشرين رجلاً قدموا جميعاً آيات الولاء والطاعة<sup>(68)</sup>. وفي مارس 1887م التقى الحاكم العام بعدد كبير من الشيوخ الموالين من قبائل البني عامر والارتيقه والشباب وغيرهم من القبائل في عقيق. وقد جاء هؤلاء الشيوخ مصحوبين بثلاثة آلاف وخمسمائة من رجالهم، وقد عبروا علناً عن رغبتهم في رؤية الحكومة وقد استعادت نفوذها في مناطقهم، وعن استعدادهم للمساهمة في ذلك<sup>(69)</sup>. في أكتوبر 1887م اجتمع في سواكن أربعون من أكثر شيوخ الهدندوة والأمرار نفوذاً. وبموافقه الحاكم العام تقرر أن يتم جمعهم في تهروي للزحف على طوكر. بعد تجمع الجيش أوكل محمود بك علي قيادة الجيش ابنه أحمد محمود. ورغم الحاج كتشنر على التقدم لم يكن للمحاربين الاستعداد والحماس الكافي لمواجهة جيوش المهديّة سيما وأنهم قد استمروا وما تقدمه لهم الحكومة من معونات مالية وغذائية<sup>(70)</sup>. وفي نوفمبر تقدموا نحو ستراب ولسوء حظ كتشنر نشب

الشقاق والخلاف بين الأمرار والهندنوه. وفي هذه الاثناء وصل عثمان دقنة بعد رحلة طويلة بين كسلا وأمدرمان وعندما وصل منطقة أوديت أتاها الخبر بأن محمود علي حشد الأمرار والهندنوه ونزل بهم وادي الستراب بقصد الهجوم على طوكر<sup>(71)</sup>.

وعلى الفور أرسل لهم سريتين إحداهما بقيادة إدريس هارون والثانية بقياده محمد عبد الله فانه ومحمد موسى دقنة<sup>(72)</sup>.

وقبل أن تصل سرايا الأنصار المنطقة غادرت حشود القبائل الستراب إلى تهروي خوفاً من مواجهة الأنصار<sup>(73)</sup>. باغت الأنصار تجمع القبائل في تهروي قبل انسحابهم والحقوا بهم هزيمة ساحقة واستولوا على ما معهم من الأسلحة والجبخانة. وفر الباقون إلى سواكن<sup>(74)</sup>. في مطلع العام 1888م قام كتشنر بمحاولة لأسر عثمان دقنة استعان فيها بالأمرار المولدين<sup>(75)</sup>. ورغم المباغته تمكن الأنصار من صد المهاجمين وأصيب كتشنر بطلق ناري في فكه مما استدعى تعهقه بقواته إلى سواكن<sup>(76)</sup>.

بعد ذلك غادر كتشنر إلى مصر وبمغادرته انتهت مشروعاته لجمع القبائل والقضاء على عثمان دقنة بالفشل<sup>(77)</sup>.

تمكن عثمان دقنة خلال العام 1888م نتيجة لسياسة القمع والحزم التي انتهجها من إخضاع جميع القبائل العاصية وترتب على ذلك استسلام أبناء أكبر القيادات القبلية المعارضة ممثلة في ابني محمود بك علي أحمد والطاهر في أغسطس 1888م. وبرر سبب انضمامهما للمهديّة بالعجز الذي تراءى لهما فياً الله الانجليز لهذا اختارا الانحياز لحزب الله والانخراط في المهديّة<sup>(78)</sup>. ورغم ماقدماه من أسباب لعثمان دقنة يبدو أن السبب الحقيقي هو ضعف الصلة بين الحكومة وأصدقائها من العرب خاصة أبناء محمود علي<sup>(79)</sup>. كذلك ليس من المستبعد أن يكون غياب صديقهما كتشنر عن سواكن وحضور حاكم جديد متبعاً سياسة لا توافقهما أو ربما يكون قطع عنهما إعانات الحكومة المالية والغذائية مع دنوء شبج مجاعة سنة 1306هـ.

### حماية سواكن:

تتمتع سواكن بأهمية استراتيجية , بالإضافة إلى كونها مكاناً مناسباً لمحاربة تجار الرقيق. وهناك أسباب دفاعية مهمة تجعل من الضروري الاحتفاظ بها, كما تعتبر نقطة مهمة لحماية صعيد مصر وأسوان وحلفا وفوق ذلك تعتبر معقلاً لأنصار الحكومة أو الذين يودون الانضمام إليها. وفي حالة التخلي عنها فإن القبائل الموالية للحكومة والتي تتكون من عشائر من الهندنوه والأمرار ربما لن تجد سبيلاً عبر الانضمام للمهديّة<sup>(81)</sup>. أما المهدي فإنه كان يرى أنه إذا استولى على الخرطوم فإن سواكن ستكون منفذاً لأعدائه داخل السودان للقضاء على حركته, لذا كان يهمل قطع طريق سواكن / بربر<sup>(82)</sup>.

بعد استفحال أمر الثورة المهديّة, نصحت الحكومة البريطانية مصر بإخلاء السودان ولم تتعهد بأي نوع من الحماية.

وعلى الرغم من ذلك وافقت الحكومة البريطانية لتقديم العون للمحافظة على سلطة

مصر في سواحل البحر الاحمر<sup>(83)</sup> وفي 8 ديسمبر 1883م وصل الكونيل ساوزتوريرس إلى سواكن برفقه الكابتن هارنجتون وشرعا في تنظيم دفاعات سواكن. وفي الحادي عشر من ديسمبر وصلت البارجة يوريا لوس بقيادة الاميرال هبوت لتقوية الدفاعات<sup>(84)</sup>. وبعد هزيمة بيكر بأسبوع أسرع كل من هيوت و بيكر لإكمال دفاعات سواكن و تمت إزاله بعض التحصينات وحفر المزيد من الخنادق بهدف طمأنة السكان<sup>(85)</sup>.

بعد وفاه المهدي وفي أكتوبر 1885م خاطب الخليفة عثمان دقنة الذي كان في جهات كسلا وامره بالرجوع إلى سواكن والاهتمام بها أكثر من غيرها، لأنه كان يعتقد أنه الشخص الوحيد الذي يقف في وجه أعدائه بجهات سواكن<sup>(86)</sup>.

في سنة 1886م قام كتشنر عندما كان محافظاً على سواكن بتشييد حصون صغيرة في هشين وهندوب ومنصوره طماي وكلها بنيت بالحجر وحفرت حولها الخنادق. بالداخل بنى حائط طوله ثمانية عشر قدما وسمكه ستة أقدام. وفي جنوب المدينة يوجد حصن فولة اما من ناحية، الشرق فإن البحر يجعل من الصعوبة بمكان الهجوم من ناحيته كما أن السفن الرأسية فيه تقوم بمهمة صد الأنصار من مسافات بعيدة بمدافعها<sup>(87)</sup>.

أما القبائل فكانت تعطي اعتبارا خاصه لعدد جنود الحامية، فإذا قل العدد وجدت نفسها مضطرة لمسالمة عثمان دقنة حتى لا يلحق بها أذى<sup>(88)</sup>.

ورغم العقبات الكثيرة التي حالت دون استيلاء الانصار على سواكن إلا ان الخليفة لم يتخل عن هذا الهدف وهو الاستيلاء على سواكن، وتأمين هذه الجهة، ومن ثم إرسال حملة إلى مصر عبر البحر الأحمر. لذلك أرسل الأمير عثمان نائب في سبتمبر 1888م ومعه بعض الامدادات من أمدرمان لتقوية جيش عثمان. وعقب وصول عثمان نائب إلى هندوب قرر عثمان دقنة والامراء الذين معه تشديد الحصار على سواكن. فنزل عثمان نائب ومعه خمسمائة رجل بالقرب من آبار شاته التي تمتد سواكن بالماء وامر الانصار ببناء متاريس بحذاء الآبار ومنع الأهالي من أخذ الماء. وكانت بداية ذلك في سبتمبر 1888م. شرح عثمان دقنة خطته في الحصار في خطاب للخليفة قائلا ان (قصده محاصره سواكن من جهة البحر المالح باعمال طوابي على فم المرسأ لضرب الوابورات الداخلة ومنعها من الوصول لسواكن ولتعسر محاصره سواكن من قبل البحر قبل الحصول على ابيار شاته لعدم وجود مياه بنواحي سواكن سوى ابيار شاته قد أخرنا محاصره سواكن مما يلي البحر وقدمنا المحاصره من قبل الابيار المذكوره<sup>(89)</sup>). ومن الخطاب التالي الذي ارسله عثمان للخليفة تتضح كيفية الحصار واثره على سواكن واهاليها (ومازال الانصار من عهد شروعههم في المحاصره مجتهدين فيها وماكثين بمحلمهم الذي جعلوا فيه متاريسهم مابرحوا عنه يضاربهم بالليل والنهار ويأتون في سواد الليل من بين البلد وبين طوابي شاته ويدفنون الابار ويقطعون التلجراف و يخربون موادهم التي بين سواكن وطوابي شاته الكائنه وصله فيما بينهم/ اعداء الله ما زالوا يطلقون مدافعهم واسلحتهم النارية على الانصار من جميع الجهات وقد

بلغنا انه حصلت المضايقة على اهل البلد من جهة الماء بالنسبة لضعفاء الحال منهم ومنذ ما حصلت المحاصرة وعدموا الاستسقاء من ابار شاته وان كل ثلاثة قرب مويه يشترونها بريال وان اغلب مائهم الذي يشربونه الان هو الماء الذي تخرجه البوابير لهم من البحر المالح وانه ما حضرت عساكر مستجده ولا الموجودون ابأن لهم نيه حرايه سوى المدافعه عن أنفسهم ودليل ذلك عدم خروجهم لمحاربة الانصار فمنذ ما حاصروهم إلى هذا الوقت ولا ندري أهم منتظرون امدادية تأتي اليهم يريدون الخروج لحربنا عند اتيانها ام ليس لهم نية محاربة<sup>(90)</sup>. بدا الضيق يظهر على سكان سواكن وحكامها فارتفعت روح الانصار المعنة وشددوا من حصارهم. فما كان من هولد سميث إلا أن طلب العون من مصر. فحضر السردار قرانفيل بنفسه إلى سواكن وتفقد المنطقة ثم طلب من الحكومة إمدادات لرفع الحصار فاذنت له. وتم إرسال الأورطتين التاسعة والعاشرية من الحدود الشمالية وأورطة من العساكر الانجليز إلى سواكن. وبعد هذه الإمدادات أصبحت حامية سواكن تتكون من سبعمائة وخمسين من الجند الإنجليز ، وألفين من الجند السودانية وألفين من الجند المصرية. وكان الغرض هو رفع الحصار فقط عن سواكن<sup>(91)</sup>. وفي 9 ديسمبر 1888م وصل قرانفيل إلى سواكن ليباشر العملية الحربية، فشرع عثمان دقنه بتحركات الحكومة وما وصلها من إمدادات. وكان لحضور الإمدادات إلى سواكن أثرها على الأنصار المحاصرين بقيادة عثمان نائب ان دخلهم الرعب وانحلت عزائمهم<sup>(92)</sup>.

وفي صبيحة 20 ديسمبر خرجت قوه الحكومة من سواكن واستطاعت ان تهزم الانصار وتجليهم عن أبار شاته في معركة الجميزة وقتل مائة وأربعة وأربعون فرداً منهم وفقاً لتقديرات الأنصار ، وكانت خسائر القوات البريطانية المصرية خفيفة ستن قتل وضابطين وأربعة وأربعين جريحاً . وفي الرابع من يناير 1889م غادر الجنرال قرانفيل سواكن إلى القاهرة تاركاً الكولونيل كتشنر قائداً للقوات، أما الكولونيل هولدسميث فقد عاود عمله كحاكم عام ، مع تعليمات يبذل كل ما في وسعه لعزل القبائل المحلية عن عثمان دقنه<sup>(93)</sup>.

وفي الخامس والعشرين من يناير 1889م غادر الكولونيل كتشنر سواكن، وبنهاية الشهر كان آخر من تبقى من القوات البريطانية قد ذهب، وعادت الحامية مرة أخرى إلى قوتها المعتادة<sup>(94)</sup>، ولعل معركة الجميزة ، كانت بداية النهاية، لنفوذ عثمان دقنه في الشرق والذي انحسر بعدها بأربعة عشر شهراً ، وبسبب الهزيمة قام بنقل معسكرة من هندوب إلى طوكر في فبراير 1881م.

وبعد ذلك ساد المنطقة هدوء عظيم لم يعرفه الأهالي منذ وقت طويل.

## الخاتمة

إعتبرت بريطانيا الثورة المهدية شأن داخلي لا يعنيتها كثيراً ، وبالذات في مراحلها الأولى، وعندما توالى انتصارات الثورة المهدية في غرب وشرق السودان بدأت تغير سياستها تجاهها . انتهجت بريطانيا سياسة متناقضة ومضطربة تجاه الثورة ، فانتهجت نهجاً سلمياً في غرب السودان ووسطه وفرضت على مصر سياسة الإخلاء ، وانتدبت غردون لتنفيذها . ورغم أن مهمته كانت استشارية بحتة تحولت في النهاية إلى مهمة تنفيذية ، أما في شرق السودان وبما له من أهمية استراتيجية فقد تدخلت تدخلاً مباشراً جعلها تقود العديد من الحملات العسكرية لسحق عثمان دقنة ، بالإضافة إلى حشد القبائل ودعمها . ولأن سواكن هي قاعدة الحكومة في شرق السودان ومركز مؤيديها فقد قامت بتحسينها وتقوية دفاعاتها في وجه الأنصار الأمر الذي جعلها المدينة الوحيدة في السودان التي لم تسقط في يد الأنصار.

نتائج الدراسة:

1. لم تهتم بريطانيا بالثورة المهدية في مراحلها الأولى .
2. اتسمت سياسة بريطانيا تجاه المهدية بتناقض واضح جعلها تتأرجح بين الحياد والمواجهة.
3. شكل أنصار الثورة المهدية في شرق السودان تهديداً مباشراً لمصالح بريطانيا هناك.
4. أدى التدخل البريطاني إلى انحسار نفوذ المهدية في شرق السودان.

## التوصيات :

1. ضرورة الاهتمام بسياسة بريطانيا تجاه الثورة المهدية.
2. ضرورة دراسة وجود بريطانيا في موانئ البحر الأحمر بصورة مفصلة.
3. القاء المزيد من الضوء على العلاقة بين بريطانيا والمكونات القبلية والدينية في شرق السودان .

## المصادر والمراجع :

1. عمر عبدالرازق النقر: دراسات في تاريخ المهديّة - المجلد الأول الخرطوم, مطابع وأستديو راي, ط1, 1982, ص75.
2. محمد سعيد القدال : تاريخ السودان الحديث, 1820-1950, الخرطوم, ب. د, ط2, 2002, ص157.
3. مكي شبكية : السودان عبر القرون, بيروت, دار الجبل, ب, ط, 1991, ص284.
4. المرجع السابق, ص285.
5. أ. ب. ثيوبولد: المهديّة: تاريخ السودان الإنجليزي المصري 1881-1899, ترجمه محمد المصطفى , عبدالكريم , امدرمان, مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي , ط1, 2010, ص104.
6. المرجع السابق, ص105.
7. المرجع السابق, ص106.
8. مكي شبكية, مرجع سابق, ص301.
9. المرجع سابق, ص304.
10. المرجع سابق, ص304.
11. المرجع سابق, ص304.
12. المرجع سابق, ص304.
13. أ. ب. ثيوبولد , مرجع سابق, ص110.
14. المرجع سابق, ص110.
15. المرجع سابق, ص110.
16. المرجع سابق, ص110.
17. مكي شبكية, المرجع سابق, ص301.
18. المرجع سابق, ص301.
19. أ. ب. ثيوبولد , مرجع سابق, ص112.
20. مكي شبكية, مرجع سابق, ص300.
21. محمد سعيد القدال , مرجع سابق, ص103.
22. ب. م. هولت: المهديّة في السودان , القاهرة , دار الفكر العربي , ط1, 1978, ص103.
23. المرجع سابق, ص105.
24. المرجع السابق, ص112.
25. مكي شبكية, مرجع سابق , ص320, ص321.
26. المرجع السابق, ص112.
27. المرجع السابق, ص340.
28. المرجع السابق, ص352.
29. المرجع السابق, ص329.

30. محمد سعيد القدال, مرجع سابق , ص225. أيضاً أنظر مكي شبكية , مرجع سابق, ص 309, الى ص314. وأيضاً نعيم شقير: تاريخ السودان.
31. تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم, دار الجبل بيروت , 1981, ص427 و
32. Shibeka, mekki : British policy in the Sudan , 1882- 1902. Oxford University press, LST Edition, 1952, p.186-188.
33. لورد كرومر , بريطانيا في السودان.
34. تعريب عبدالعزيز أحمد عرابي, القاهرة, الشركة القومية للطباعة والنشر , الطبعة الأولى, 1960, ص41.
35. ب. م. هولت مرجع سابق, ص100.
36. 33/ Jackson , H.C, Osman Dignaa< Menthuen, coltd, London, IST Ed- itin 1926.p58.
37. 34/ Shibeka, OP – Cit, P. 188
38. ب. م. هولت, مرجع سابق, ص100.
39. محمد إبراهيم ابو سليم , مذكرات عثمان دقنه, بيروت , دار الجبل , الطبعة الأولى, 1991, ص61.
40. Shibeka, OP – Cit, P. 188
41. Ibid p. 202
42. Ibid p. 205
43. Ibid p. 206
44. Ibid p. 206
45. Ibid p. 206
46. 47. محمد إبراهيم أبو سليم , مذكرات عثمان دقنه , مصدر سابق, ص65.
48. نعيم شقير, مصدر سابق, ص433.
49. ب. م. هولت, مرجع سابق, ص102.
50. نعيم شقير, مصدر سابق, ص434.
51. Shibeka, OP – Cit, P. 94
52. ف. ر . وينجت , المهديّة والسودان المصري ترجمة محمد المصطفى عبدالكريم , دار عزة للطباعة والنشر , الخرطوم ط 1, 2009م ص322.
53. نعيم شقير, مصدر سابق, ص560.
54. المصدر السابق, ص560-561.
55. ف. ر . وينجت , مصدر سابق, ص322.
56. Shibeka, OP – Cit, P. 102
57. ب. م. هولت, مرجع سابق, ص207.
58. المرجع السابق, ص210.

59. المرجع السابق، ص 212.
60. نعوم شقير، مصدر سابق، ص 812.
61. المصدر السابق، ص 815.
62. محمد إبراهيم أبو سليم، مذكرات عثمان دقنه، مصدر سابق، ص 9.
63. Daly , M.W. Al majdhubiyya and Al Mikashfiyya Two Suji Tarigas in the Sudan. Graduate College publication, University of Khartoum IST Edition , 1985, P 87.
64. محمد إبراهيم أبو سليم، مذكرات عثمان دقنه، مصدر سابق، ص 51.
65. إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص 1، 2008، ج 5، ص 190.
66. اسماعيل عبدالقار الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت ط 2. 1982، ص 277، ص 278.
67. محمد إبراهيم أبو سليم، مذكرات عثمان دقنه، مصدر سابق، ص 91.
68. صلاح التجاني حمودي، المهديّة في شرق السودان. عثمان دقنه والخليفة عبدالله.
69. رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، مارس 1967، ص 62.
70. ف. ر. وينجت، مصدر سابق، ص 398.
71. المصدر السابق، ص 398.
72. المصدر السابق، ص 398.
73. صلاح التجاني حمودي، مرجع سابق، ص 71.
74. المرجع السابق، ص 73.
75. مهديّة 1/31 / مجلد 20 من عثمان دقنه إلى الخليفة عبدالله 5 ربيع ثاني - 1305 هـ / 12/20/1887م.
76. المصدر السابق، ص 73.
77. المصدر السابق، ص 74.
78. Shibeka, mekki, OP – Cit, P. 132
79. Ibid p. 133
80. Ibid p. 134
81. مهديّة 1/31 / مجلد 67 من عثمان دقنه إلى الخليفة عبدالله 16 ذو الحجة - 1305 هـ / 7/26/1888م.
82. صلاح التجاني حمودي، مصدر سابق، ص 87.
83. المرجع السابق، ص 89.
84. Militray Intellegence Department 1 \ 18135 Cairo March 1888
85. صلاح التجاني حمودي، مصدر سابق، ص 96.
86. المرجع السابق، ص 96.

87. Shibeka, OP – Cit, P. 56- 57.
88. Ibid p. 65.
89. صلاح التجاني حمودي, مصدر سابق, ص -97 98.
90. المرجع السابق, ص103.
91. المرجع السابق, ص104.
92. مهدية 31/1 / مجلد1/93 من عثمان دقنه إلى الخليفة عبدالله 14 محرم -1306  
1888/9/20م.
93. مهدية 31/1 / مجلد1/97 من عثمان دقنه إلى الخليفة عبدالله 29 محرم -1306  
1888/10/5م.
94. صلاح التجاني حمودي, مصدر سابق, ص 108.
95. مهدية 31/1 / مجلد124 من عثمان دقنه إلى الخليفة عبدالله 14 ربيع ثاني -1306  
1888/12/18م.
96. ف . ر . وينجت , مصدر سابق, ص431.
97. المصدر السابق, ص507.

## تاريخ مدينة بورتسودان (النشأة والتطور في الفترة الحديثة والمعاصرة)

أ. التاريخ الحديث والمعاصر - كلية العلوم  
الإنسانية - جامعة بحري

د. عبد العزيز محمد موسى إسحق

### Abstract

The raining in Port Sudan date back to the year 1906, sir rri-gate suggest that the name of Port Sudan translated from English to Arabic as “Mina’ at- Sudan “Port Sudan town is a residence of various populations of different origins A siatic , Africans and Europeans who settled in it and mixed with local tribes ( the beja). Besides, those displaced tribes who to the area and took it to as an abode.Port Sudan town is divided in to three administrative units as follows:East Port Sudan. Mid Port Sudan. South Port Sudan. In Port Sudan many Sea Islands are found , including .Um al-Gurush, in North/ East of the city – Sanjanaib, a coarl reefs, with a light house for guiding the ships in the Sea, located at a distance of a boat 25 Kilometers in the eastern direction. The whole marine site is very rich of goldfish and fishes.

### Keyword method

Sanjanaib - Port Sudan- Red Sea

### المستخلص:

يناقش هذا البحث العديد من المعلومات الأساسية عن مدينة بورتسودان وهي من المدن الساحلية التي تطل على البحر الأحمر الذي يربط بين السودان والمملكة العربية السعودية، ارتبط تأسيس هذه المدينة بالحقبة الاستعمارية الأوربية لإفريقيا في العصر الحديث، ففي العام 6091م بدأت الإدارة البريطانية في إنشاء ميناء في هذه المدينة بدلاً من ميناء سواكن التاريخي وقد افتتح في العام 9091م مما أعطى المدينة أهمية استراتيجية واقتصادية.

احتوى البحث على الموقع الجغرافي للمدينة ومناخها والسكان بالإضافة إلى التطور الذي شهدته في الجانب العمراني والإداري والسكاني.

### الكلمات المفتاحية:

البحر الأحمر، ميناء السودان؛ سنجيب

### المقدمة:

تقع مدينة بورتسودان في شرق السودان وتاريخياً من الناحية الإدارية عرفت بكسلا الكبرى (1) والتي تكونت من أربعة قطاعات واسعة: -

1- قطاع ساحل البحر الأحمر.

2- قطاع بادية البحر الأحمر.

3- قطاع حوض نهر القاش.

4- القطاع الجنوبي ويقع خلف نهر عطبرة.

وتختلف هذه القطاعات اختلافاً بيناً في طبيعتها الجغرافية والبشرية، كما تختلف فيما يتصل بطبيعة الأرض وما تدره للإنسان من مرع ونبات.

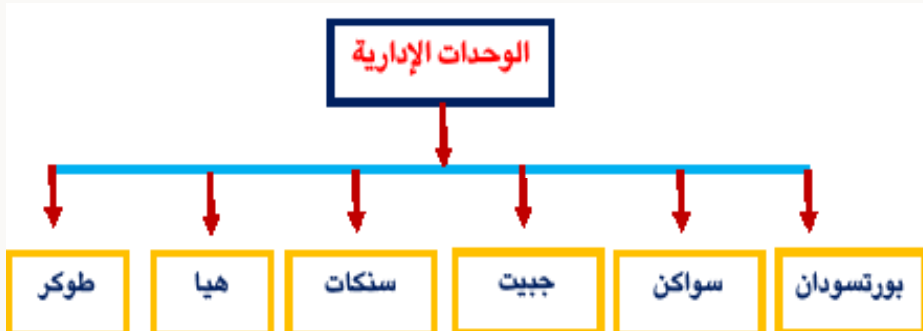
يتكون القطاع الأول وهو ساحل البحر الأحمر من شريط ساحلي يمتد جنوباً وشرقاً وأهم مدنه (بورتسودان وسواكن)<sup>(2)</sup>

أما قطاع بادية البحر الأحمر فهي منطقة شحيحة المطر ويعتمد أهلها على تربية الإبل. (انظر ملحق رقم 1)

عند قيام مجالس الحكم الشعبي<sup>1</sup> قسم البحر الأحمر إلى خمس مناطق وثمانية أرياف شعبية و102 مجلس قرية و116 مجلس حي وثمانية مجالس أسواق ومجلس للصناعات (3)

| مجالس مناطق | مدن | أرياف | أحياء | قرى | أسواق | صناعات |
|-------------|-----|-------|-------|-----|-------|--------|
| 5           | 8   | 6     | 116   | 102 | 8     | 1      |

وبعد قيام ولاية البحر الأحمر (4) تم توزيع الوحدات الإدارية إلى ست مناطق هي بورتسودان - سواكن - جببت - سنكات - هيا - طوكر (5)



وفي قطاع حوض نهر القاش الحياة مستقرة وأهم أجزاء هذا القطاع يتمثل في منطقة كسلا وأروما، أما القطاع الجنوبي فيشمل منطقة القضارف وخشم القرية حيث التربة الخصبة والأمطار الكثيفة.

عقب تقسيم المنطقة إلى مديريتين إبان الحكم الثنائي (1899 - 1955م) ضمت مديرية البحر الأحمر في الاتجاه الجنوبي الغربي مارة بالحدود المشتركة بين السودان ومصر حتى جبل بار تازرقة (جبل يعترزجو) ومنه تتجه الحدود جنوباً مارة بحدود المديرية الشمالية حتى محطة أجرين على خط السكة الحديد عطبرة - بورتسودان ومن محطة أجرين تتجه الحدود جنوب شرق إلى نقطة على خط سكة حديد كسلا هيا على بعد 12 كيلو متراً جنوب محطة قدامي شامل منطقة الاولييب. ومن هذه المنطقة تتجه الحدود شمال شرق في خط مستقيم إلى جبل اسكتاب على الحدود المشتركة بين السودان وإثيوبيا. ومن هناك تتجه الحدود شمال شرق مع الحدود شمالاً على ساحل البحر الأحمر حتى بئر شلاتين(6) وتشمل الجزر التي تقع داخل الحدود الإقليمية للسودان. وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي 198.000 كيلو متر مربع(7)

في العام 1874م كتب واطسن (8) تقريراً عن المنطقة أوضح فيها بأن هذه المنطقة أفضل من سواكن وأن سعة الميناء وأعماقه تتراوح بين 12،16 قامة وأن تلك الصفات كفيلة بأن تقوم على خدمة السفن الكبيرة الضخمة، وفي مطلع القرن التاسع عشر أشار اللورد فلا نش (9) إلى موقع الشيخ برغوث وقيمته وخلوه من الصخور المرجانية وسهولة مرور السفن فيه، ومدى ما يقدمه هذا الشرم من تأمين للسفن وقتما تشد العواصف وتسوء الأحوال الجوية. ويبدو أن ذلك المرفأ ظهر مهجوراً، ولا يزيد عن كونه ملجأ للسفن عندما تسوء الأحوال الجوية، ويتعذر بقاء السفن في عرض البحر، والمفهوم أن هذا المرفأ وغيره من المرافئ والمراسي والموانئ الصغيرة كانت تعمل في خدمة التجارة القبلية وتستخدمها سفن الملاحة الساحلية (10).

يرجع تاريخ اسم مدينة بورتسودان إلى عام 1906م عندما تقدم سير وينجت -wingate (11) sir) بمقترح بأن يطلق على الميناء الجديد اسم Port Sudan وترجم للعربية mina al- sudan ، وكان يطلق في السابق على ذات المنطقة اسم مرسى الشيخ برغوث. وقد اشتهر هذا الشيخ بالكرامات وأداء الحج. ويقال بأنه ذهب للحج عبر البحر الأحمر على قارب صغير «مركب شرعية» ثم عاد منه إلى ذات الموقع الذي أبحر منه، وتوفي في نفس المنطقة وقبر فيها. (12)

تقع مدينة بورتسودان بين خطي 13027 و 19037 ويحدها شرقاً البحر الأحمر الذي يفصلها عن المملكة العربية السعودية. وتحدها شمالاً مصر تبلغ مساحة بورتسودان حوالي

212,800 كلم<sup>2</sup>. (13)

يتمثل مناخ بورتسودان عبر السهل الساحلي ومنحدرات التلال الشرقية للبحر الأحمر وهو مناخ متميز بين المناخات الجافة ويتمثل هذا التميز في سقوط معظم أمطار السنة خلال فصل الشتاء حيث يكون البحر الأحمر ومسطحه المائي واتجاهات الرياح السائدة بالإضافة إلى وجود المرتفعات في الموقع المباشر لهذا السهل الساحلي أكبر الأثر في ذلك، ويمثل النمط نوعاً متوسطاً بين المناخ الجاف والجاف الرطب في السودان ويختلف عن نمط المناخ الجاف في القيمة الفعلية للمطر وسقوطه خلال شهور تنخفض فيها درجة الحرارة وبالتالي معدلات الفاقد بالبخر منه (14)

الجدول التالي يوضح المتوسطات الحرارية الشهرية وأقصى درجات الحرارة وأدناها والمدى الحراري في مدينة بورتسودان (بالدرجات المتوسطة) (15)

| الشهر  | أقصى درجات الحرارة مئوية |                 | أدنى درجات الحرارة مئوية |                 |
|--------|--------------------------|-----------------|--------------------------|-----------------|
|        | متوسط                    | أعلى درجة حرارة | متوسط                    | أدنى درجة حرارة |
| يناير  | 3.72                     | 8.33            | 9.91                     | 0.01            |
| فبراير | 3.62                     | 2.23            | 9.81                     | 8.21            |
| مارس   | 7.82                     | 2.53            | 5.91                     | 6.31            |
| إبريل  | 3.13                     | 6.93            | 0.12                     | 0.41            |
| مايو   | 1.53                     | 7.54            | 3.32                     | 7.61            |
| يونيو  | 7.83                     | 2.74            | 4.52                     | 4.02            |
| يوليو  | 6.04                     | 3.74            |                          |                 |
| الشهر  | أقصى درجات الحرارة مئوية |                 | أدنى درجات الحرارة مئوية |                 |
|        | متوسط                    | أعلى درجة حرارة | متوسط                    | أدنى درجة حرارة |
| سبتمبر | 3.63                     | 1.64            | 2.92                     | 2.12            |
| أكتوبر | 8.33                     | 0.14            | 7.62                     | 0.02            |
| نوفمبر | 1.13                     | 7.43            | 9.42                     | 6.71            |
| ديسمبر | 5.82                     | 7.73            | 9.32                     | 52              |
| السنة  | 33.2                     | 5.74            | 5.32                     | 0.41            |

## وفي مدينة بورتسودان توجد ثلاثة فصول للأمطار: - 1/ أمطار الشتاء:

وتسقط خلال أشهر أكتوبر نوفمبر ديسمبر يناير وهو ما يساوي 85% من جملة المطر السنوي في مدينة بورتسودان، ويستأثر شهر نوفمبر وحده ما يساوي 61% من أمطار الشتاء يليه شهر ديسمبر الذي يسقط خلاله ما يساوي 26% من جملة أمطار الشتاء وتتوزع الكمية من الأمطار عبر شهري يناير وأكتوبر إذ تبلغ خلالها 13% من الأمطار. (16)

## أمطار الصيف:

تتركز أمطاره خلال الفترة من يونيو إلى سبتمبر ويساوي 12% من جملة معدلات المطر السنوي ويختص منها شهر يوليو وحده بما يساوي 77% من المطر الصيفي في مدينة بورتسودان فيما تسقط ما يساوي 23% من خلال شهر أغسطس ولا يوجد إثر لشهري يونيو وسبتمبر. (17)

## 3/ أمطار الربيع:

ويبدأ هذا الفصل من شهر فبراير حتى مايو وتبلغ كمية المطر التي تسقط خلال هذا الفصل ما يساوي 3% من جملة المطر السنوي في مدينة بورتسودان وتتركز نصف كمية أمطار الربيع خلال شهر مايو فيما يتوزع النصف الباقي عبر شهري فبراير وإبريل ويعتبر شهر مارس أقل الشهور مطراً خلال هذه الفترة.

## مصادر المياه:

وكما هو معلوم وجود مياه البحر الأحمر على امتداد ساحل هذه المدينة إلا أن مياهه غير صالحة للشرب لأنها مالحة. وإذا نظرنا إلى التكوين الجيولوجي لهذه المنطقة نجد أن يحول دون الحصول على المياه الجوفية بسبب قلة أمطارها ولذلك أقيمت العديد من السدود على الأودية الكبيرة لتوفير المياه للشرب والزراعة والرعي (18)

أما بالنسبة للسكان يقطن في هذه المدينة العريقة العديد من السكان من ذوي الانتماءات والأصول الآسيوية، الإفريقية والأوربية التي اندمجت مع قبائل المنطقة «البجة» وهناك القبائل السودانية الأخرى التي نزحت إلى المدينة واتخذتها داراً ومقرّاً لها. (19)

تنقسم مدينة بورتسودان إلى ثلاث وحدات إدارية (20) وهي:

1. بورتسودان شرق.

2. بورتسودان وسط.

3. بورتسودان جنوب.

وتشمل مراكز العمران السوق الرئيسي ومعظم مبانيه مشيدة من طابقين «يستخدم الطابق الأرضي للدكاكين «المتاجر» والأعلى للسكن ، بالإضافة إلى مراكز الخدمات، الإدارة،

الشركات التجارية والمصارف ويقع معظمها شرق منطقة السوق الرئيسي على الضفة الغربية جوار المدخل (21)

توجد في مدينة بورتسودان شبكة مواصلات برية ضخمة تربط المدينة ببعض المناطق المحلية أو المجاورة (طريق بورتسودان طوكر - طريق بورتسودان هيا - طريق بورتسودان كسلا - طريق بورتسودان أركويت) بالإضافة إلى الطرق القومية. الجدول التالي يوضح بعض الطرق التي تربط بورتسودان ببعض المدن السودانية الأخرى. (22)

| الطريق                           | الطول بالكلم |
|----------------------------------|--------------|
| 1- هيا - سواكن - بورتسودان       | ٦٠,٢         |
| 2- بورتسودان - محمد قول - قبانيت | ٠٨,٢         |
| 3- طريق العقبة البديل            | ٦,٢          |
| 4- عطبرة - هيا                   | 278.8        |

كما يوجد خط سكة حديد يمتد من بورتسودان إلى داخل القطر ماراً بمدينة عطبرة (23)

| مسار الخط       | تاريخ الإنشاء | الطول بالكيلو متر |
|-----------------|---------------|-------------------|
| عطبرة بورتسودان | 1904 - 1906 م | 474               |

وفي مجال النقل الجوي يمثل مطار مدينة بورتسودان واحداً من أهم مطارات السودان الدولية وذلك نسبة لتنامي الدور الاقتصادي الذي تلعبه المدينة في مجال صادر البترول والأنشطة التجارية بالمنطقة الحرة. (24)

وفي مجال النقل البحري يعتبر ميناء بورتسودان من المنافذ الدولية البحرية على مستوى العالم الذي يخدم السودان والدول المجاورة التي ليس لديها منافذ بحرية. ويعتبر الميناء المحور الأساسي الذي تقوم عليه الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان بورتسودان. **الأهمية الاقتصادية:**

تعتبر مدينة بورتسودان ومينائها البحري من أهم المناطق الحيوية للسودان في الجانب الاقتصادي خاصة في الصادرات والواردات وتزداد أهمية المدينة كلما ابتعدنا عن الساحل إلى داخل اليابس السوداني وتتضاعف هذه الأهمية بزيادة عدد الكيلو مترات بعداً عنها، وإذا أجرينا مقارنة علي سبيل المثال للمدن القريبة أو البعيدة من بورتسودان نجد بالنسبة لمدينة الفاشر أكثر أهمية منها بالنسبة لمدينة عطبرة إذا أخذنا في الاعتبار تعدد وسائل النقل في حالة الثانية وانقطاع الأولى في خلال فصل المطر وتأخر وصول وخروج السلع منها لذلك

ويقوم ميناء بورتسودان بهذا الدور نيابة عن أنحاء مدن وقرى السودان المختلفة حسب قيامها بالدور الكامل في التصدير والاستيراد بتصرفها لفائض الإنتاج الزراعي واستقبالها لحاجة إقليمها القومي من السلع المختلفة. (25)

بمدينة بورتسودان أكبر مركز تجاري بالسودان وأكبر سوق محلي للصدف والقوقيات على ساحل البحر الأحمر، وبها أيضاً مشاريع كبيرة لاستخراج الملح للاستهلاك المحلي ولتجارة الصادر. (26)

قدرت 90 % من جملة تجارة السودان الخارجية بأنها عن طريق ميناء بورتسودان خلال فترة السبعينات من القرن الماضي كما هو في الجدول أدناه (27)

| السنة    | جملة الصادر طن | جملة الوارد طن |
|----------|----------------|----------------|
| 1791/07م | 150,121,1      | 412,370,2      |
| 2791/17م | 617,621,1      | 870,079,1      |
| 3791/27م | 810,861,1      | 758,229,1      |
| 5791/47م | 555,578,0      | 204,620,2      |

ويوضح الجدول التالي عدد السفن الزائرة لميناء بورتسودان خلال الفترة 2005م - 2009م. (28)

| البيان    | 5002م | 6002م | 7002م | 8002م | 9002م |
|-----------|-------|-------|-------|-------|-------|
| عدد السفن | 2151  | 4321  | 4101  | 4301  | 6011  |

هذا الجدول يعطينا الأهمية الكبرى لهذا الميناء بالنسبة للسفن من شتى أرجاء العالم سواء كانت عابرة للتزود بالوقود وغيرها من الاحتياجات، أو السفن القادمة لتفريغ حمولتها المختلفة الخاصة بالوارد إلى السودان .

وفي الجانب السياحي نجد مجموعة من المنتجعات السياحية الفخمة مطلة على شاطئ البحر الأحمر والشعب المرجانية والأسماك البحرية (29) والجزر المتناثرة وسط البحر أشهرها جزيرة سنجنيب وأم الفردوس (30).

## الخاتمة

تعتبر بورتسودان من أحدث المدن السودانية وأجملها، والتي يعود عمرانها إلى الحقبة الاستعمارية البريطانية للسودان والتي امتدت في الفترة من العام 1899م إلى العام 1955م. وقد تميزت مدينة بورتسودان بموقعها الاستراتيجي، خاصة أنها مطلة على البحر الأحمر وهي تربط السودان بجميع دول العالم عن طريق الميناء الحديث المتطور والذي تم انشاؤه في العام 1909م وقد تطورت المدينة من جميع النواحي سواء المعمارية أو طرق النقل المختلفة الجوية والبحرية والسكك الحديدية وهي تعتبر مدينة اقتصادية من الدرجة الأولى من خلال تصدير الموارد السودانية المختلفة مثل الثروة الحيوانية بكل أنواعها والمحاصيل الزراعية (الصبغ العربي، القطن، السمسم، الفول السوداني، العلف إلخ.....) والموارد البترولية، كما تستقبل جميع الواردات الضخمة وجميع احتياجات السودان.

وتعتبر مدينة بورتسودان أيضاً من أجمل المدن السودانية من الناحية السياحية على امتداد الساحل حيث توجد المنتجعات السياحية إضافة للمناطق الأثرية المتناثرة في أرجاء المدينة ويوجد في المدينة مهرجان التسوق يقام سنوياً.

ويوجد العديد من الجزر داخل مياه البحر الأحمر (جزيرة أم القروش شمال شرق بورتسودان، جزيرة سنجنيب وهي جزيرة مرجانية بها فناء لإرشاد السفن في ميناء بورتسودان على بعد حوالي 25 كلم شرق وتكثر بها الشعب المرجانية والأسماك.

## النتائج:

1. تباين من ناحية الجغرافية الطبيعية بين مناطق مدينة بورتسودان المختلفة.
2. من المدن الحديثة التي أسسها الإنجليز إبان استعمارهم للسودان 1899م-1955م.
3. شح مصادر المياه الصالحة للشرب.
4. تعتبر المدينة الاقتصادية الأولى في السودان.

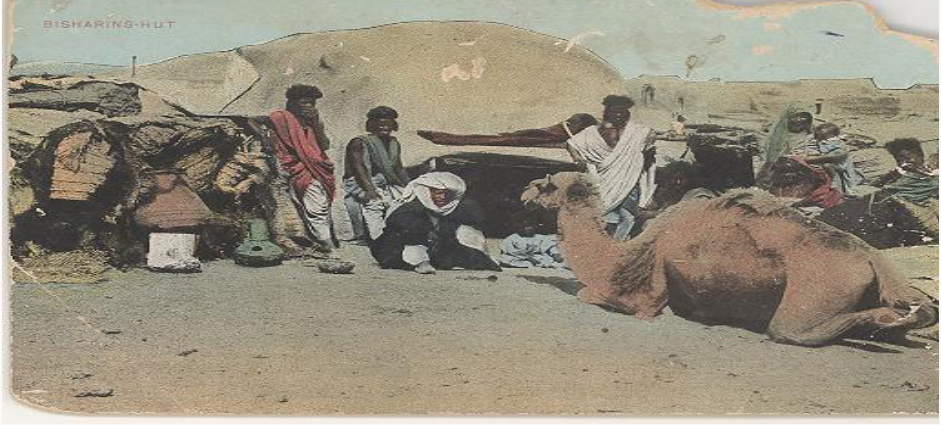
## التوصيات:

إجراء مزيد من الدراسات والبحوث العلمية بكل أنواعها عن بورتسودان خاصة أنها غنية بالموارد الطبيعية المتنوعة.

## المصادر والمراجع

- (1) كسلا اسم يطلق علي مدينة في شرق السودان نسبة الي الجبل الموجود في المنطقة، وقد نشأت المدينة علي دلتا القاش، تعتبر كسلا من المدن السياحية الكبرى في السودان علي الحدود مع دولة اريتريا.
- (2) ميناء تاريخي ورد في كتب الرحالة والجغرافيين العرب.
- (3) من أنظمة الحكم التي تم تطبيقها في السودان في عام 1972م.
- (4) تم تقسيم السودان حديثاً إلى خمسة وعشرين ولاية، وبعد انفصال وقيام دولة جنوب السودان في العام 2011م أصبح السودان يتكون من ثمانية عشر ولاية.
- (5) تقرير لجنة إعادة النظر في تقسيم المديرية 1974م، دار الوثائق السودانية، ص 175
- (6) تقع هذه المنطقة في الحدود الشمالية الشرقية مع مصر.
- (7) لجنة إعادة النظر في تقسيم المديرية، مرجع سابق، ص 288
- (8) ضابط بحرية بريطاني زار هذه المنطقة.
- (9) لازم بريطاني وهو ايضا زار المنطقة قبل قيام الميناء.
- (10) صلاح الدين الشامي، بورتسودان ميناء السودان الاول، مكتبة مصر، بدون تاريخ، ص 4
- (11) حاكم عام السودان في الفترة من العام 1900م الي العام 1916م وهو من الاداريين البريطانيين الذين وضعوا قواعد الادارة الحديثة في السودان.
- (12) عادل عباس أحمد، بورتسودان دراسة في جغرافية المدن، جامعة القاهرة، ماجستير 1978م، ص 8
- (13) جمهورية السودان، تقويم السودان 1962م، المطبعة الحكومية، ص 54
- (14) المرجع نفسه، ص 62
- (15) عادل عباس، مرجع سابق، ص 84 و 96
- (16) عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، موسوعة تاريخ المدن السودانية، غير منشور.
- (17) تخطيط المدن 12/5/3، مدينة بورتسودان.
- (18) تخطيط المدن 14/5/3، دار الوثائق السودانية.
- (19) عبد العزيز محمد موسى وآخرون، مرجع سابق.
- (20) المرجع نفسه.
- (21) دار الوثائق السودانية، تخطيط المدن 14/5/3، مرجع سابق.
- (22) وزارة الطرق والجسور، إنجازات الطرق والجسور، مطبوعات المركز القومي للإنتاج الإعلامي، سلسلة إصدارات الوعد الحق، 2005، ص 40
- (23) وزارة الطيران، إنجازات وزارة الطيران، 2005، مطبوعات المركز القومي للإنتاج الإعلامي، سلسلة إصدارات الوعد الحق، ص 30
- (24) عادل عباس أحمد، مرجع سابق، ص 42.
- (25) المرجع نفسه، ص 42
- (26) عبد العزيز محمد موسى وآخرون، مرجع سابق
- (27) وزارة مجلس الوزراء، الجهاز المركزي للإحصاء 2009-2005م
- (28) في العام 2014م تم افتتاح المتحف البحري في مدينة بورتسودان وهو خاص بالاحياء البحرية ويضم المتحف احواضا للاسماك البحرية تحتوي علي عدة انواع من اسماك الزينة بالإضافة الي الاحياء البحرية الاخرى، تشمل الفقرات والافاريات بالإضافة الي أكثر من 300 نوعا من الاسماك والكائنات الحية.
- (29) محمية بحرية تقع علي بعد 13 كيلو ميلا بحرياً من ميناء بورتسودان، داخل المياه الاقليمية السودانية في البحر الاحمر وبها انواع مختلفة ومتنوعة من الاسماك، تضم مجموعة كبيرة من الشعب المرجانية المختلفة، توجد حولها بعض الانشاءات البحرية الاثرية الضخمة.

## الملاحق



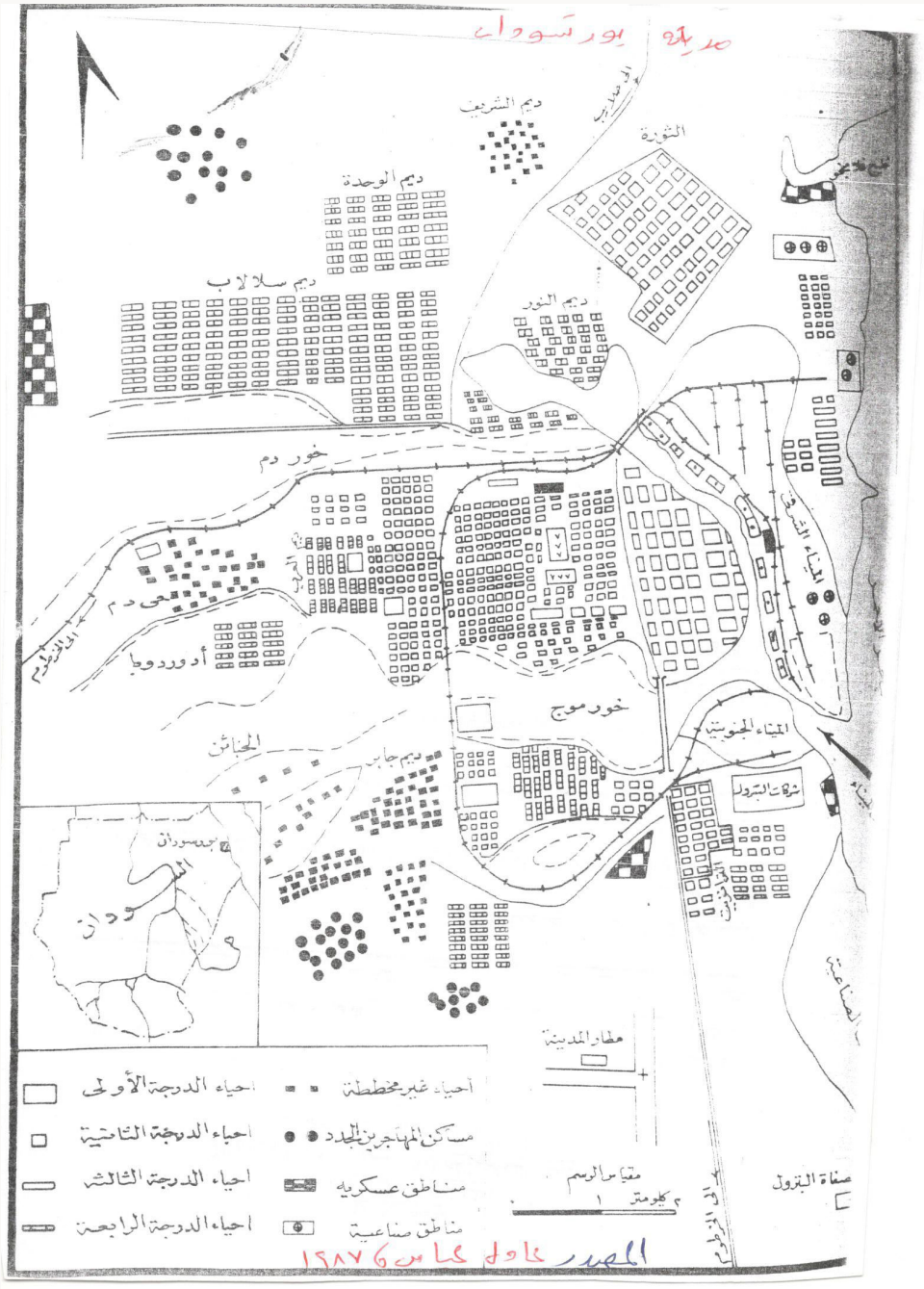
جانب من الحياة الطبيعية في بورتسودان



مناطق سياحية على شواطئ البحر الأحمر في بورتسودان



سفينة على مرسى البحر الأحمر في بورتسودان



## كوش والسامري والجزر المنسية

باحث - جامعة السودان للعلوم  
والتكنولوجيا

د. عباس أحمد الحاج حمد

### المستخلص:

تنبع أهمية هذا البحث بوضع أرض السودان خياراً أول للمكان الذي عاش فيه سيدنا موسى وهدفت إلى إعادة قراءة تاريخ فترة انتزعت من تاريخ أرض السودان دون إثبات واضح ولأهمية هذه الفترة كان لا بد من البحث في بعض الوثائق المرتبطة بأرضه وما ذكر عن تاريخ ما قبل كوش والروم والفرس والاعريق والعرب علنا نصل إلى تاريخ حقيقي يدعم ما بيننا و جيراننا ويوثق وشائج المصالح المشتركة . نعم كانت الأحداث في وسط أرض كوش ( أرض السودان الآن ) لكن كان امتدادها إلى جزر السودان في البحر الأحمر جزر سياحية وأخرى عقدية ذكرت قصتها في القرآن والتوراة وهي مرتبطة بقصة سيدنا موسى عليه السلام أين عاش وما احتمال خط سيره استنادا على ماذكر في الوثائق مستخدما المنهج التاريخي في استرداد المعلومات الواردة في المخطوطات والوثائق والصور الأثرية وكانت بعض هذه الجزر مأهولة بالسكان حتى عام 1906م. اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي في جمع المعلومات ومن حسن الصدف أن تتقدم شركة سعودية لتنفيذ مشروع سياحي أطلق عليه قلب العالم في إحدى هذه الجزر المنسية . لتستبين أهمية هذه الجزر العقدية وهي عامل جذب استثنائي يعود للبلاد بخير عظيم .

### Kush, the Samaritan, and the Forgotten Islands

The importance of this research stems from assuming the land of Sudan as a first choice for the place in which the prophet Musa (Moses) lived. This research aims to re-read the history of a period that was previously extracted from the history of the land of Sudan without clear evidence. Because of the importance of this period, it is necessary to seek supporting documents and manuscripts related to aforementioned issues and to what was already mentioned about the history of pre-Kush, the Romans, the Persians, the Greeks and Arabs. This may help to arrive at a true history that joins Sudan and its neighbors and ties the common interests. It is already known that these events occurred in the land of Kush (the land of Sudan now). However, the considered events has extended

to some Sudanese islands that lies in the red sea, whose story was mentioned in the Qur'an and the Torah, and they are linked to the story of prophet Musa (Moses) as well. Some of these islands were populated until 1906. The important questions are about where the prophet Musa lived and what is the likelihood of his path, based on what was mentioned in historical documents and manuscripts using historical methods to retrieve the information contained in archaeological manuscripts, documents and photos. The conducted research in this paper follows the descriptive historical approach in collecting information. Furthermore, it is a fortunate event for a Saudi company to implement a tourism project called "The Heart of the World" in one of these forgotten islands, to demonstrate the importance of these nodal islands, which are an exceptional attraction that returns to the country with great benefits.

## المقدمة:

السودان دولة لها إرث عالمي يتداخل مع كل تاريخ العالم وحضاراته القديمة ، بكل مسمياته المختلفة (كوش، كرمة ، نبتة ، مروي ، الحبشة (اثيوبيا) ، النوبة أرض الأقواس أرض النبال تاسيتي ) حضارة علمت العالم القديم الكثير من العلوم والمعارف واتصفت أرضه بالقدسية فهابته الحضارات الأخرى ثم ضعف فطمعت فيه الإمبراطوريات ( الفرس والإغريق والروم ) وذكر أنه هزم كل هذه الإمبراطوريات ومما ذكر أن العرب هزموا الروم شمال مروي عام 42 ق.م فمن هم العرب المعنيون؟؟ وذكر أيضا أن الفرس فقدوا جيشهم في صحراء النوبة (جيش قمبيز المفقود 525 ق.م) ومازال سر اختفائه لغزا يحير العالم ( جيش قمبيز المفقود ) مما جعل لهم رهبة في ذلك الزمان.

ومعظم هذه الأحداث إما أنها حدثت في شرق السودان أو في الأجزاء المتاخمة له وهذا يعني أهمية المنطقة منذ أقدم العصور، لذا كان لابد من مدارس بعض الأحداث ومعرفة المناطق، فمعرفة تاريخنا يقودنا إلى اتخاذ القرار السليم لنعرف كيف نستقرأ التاريخ لنتحوط لاتخاذ ما يناسب كل مرحلة فإذا عرفنا تاريخنا وإرثنا تحوطنا لمن لهم اطماع في أرضنا .

## السودان الموقع الجغرافي-

من المعلوم أن السودان يتبوأ موقعاً عالمياً مهماً وبه ثروات مهمة جعلته عرضة لطمع كل من يظن أنه الأقوى ، ومن المحير أنهم يتمنون تقسيمه أو زواله من الخريطة لو ضمنوا أمن المنطقة ومصالحهم ، فقديمًا كانت له قوة روحية ترهبهم والآن ليس له تلك القوة الروحية ولكن بإمكانه أن يفعلها بتخطيط سليم. فقوته الروحية قديما ذكرت في تاريخ الفرس والروم والإغريق والعرب ووردت في قول رسولنا الكريم (لا تحاربوا الحبش حتى يحاربوكم ...وحدث آخر اتركوا الأحباش ما تركوكم ) مما جعل سيدنا عمر ابن الخطاب يكتب لعبدالله بن أبي السرح أن يدخل معهم في اتفاق ، وكانت اتفاقية البقظ وقبل ذلك ورد نص توراتي يصف أهله بالقوة والشدة.<sup>(1)</sup>

## الإصحاح الثامن عشر

- ١ يا ارض حفيف الاجنحة التي في عبر انهار كوش<sup>٢</sup> المرسله رسلا في البحر وفي قوارب  
من البردي على وجه المياه. اذهبوا اليها الرسل السريعون الى امة طويلة وجرداء الى شعب  
٢ مخوف منذ كان فصاعداً امة قوية وشدة ودوس قد خرقت الأنهار ارضها. يا جميع سكان  
المسكونة وقاطني الارض عند ما ترتفع الراية على الجبال تنظرون وعند ما يضرب بالبوق  
نهبون  
٤ لانه هكذا قال لي الرب اني اهدأ وانظر في مسكني كالحجر الصافي على البقل كغيم  
٥ الندي في حر الحصاد. فانه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعند ما يصير الزهر حصراً  
٦ نضجاً ينقطع النضبان بالمناجل ويتزع الاقنان وبطحها. اترك معاً الجوارح الجبال  
ولحوش الارض فتصيف عليها الجوارح وتشتي عليها جميع وحوش الارض  
٧ في ذلك اليوم تقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل واجرد ومن شعب مخوف  
منذ كان فصاعداً من امة ذات قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار ارضها الى موضع اسم  
اب الجنود جيل صهيون

نص من التوراة - سفر اشعيا .

وهذه القوة الروحية نجدها في النص التوراتي ( شعب طويل واجرد ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً من امة ذات قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار ارضها .) وخرق الأنهار لأرض السودان لاجدال فيه ومن المعلوم أن سيدنا موسى نشأ وترعرع في أرض كوش ، وقد ورد ذلك كثيراً في التوراة ، وقصصه معروفة للجميع وما يهمنا هنا قصته مع السامري الذي أغوى قوم موسى وبدل دينهم بعبادة العجل وورد في عدد من الوثائق أن جزيرة السامري هي من ضمن الجزر السودانية إذن لا بد أن نضعها ضمن المناطق التي سار إليها سيدنا موسى وبنو اسرائيل .

## سيدنا موسى وارتباطه بكوش :-

ولزيد من التوضيح أين عاش سيدنا موسى ؟

يمكن مشاهدة هذا الفيديو فهو يبين المكان طبقا لما أورده المؤرخ الاغريقي استرابو وقد ذكر أن النهر في الأرض هو ذات النهر في السماء في علم الفلك والنص التوراتي وما ذكره استرابو يحددان المنطقة المذكورة ، وقد وردت أسماء ملوك كوش والمناطق كثيراً في التوراة ولاشك أن هذا الذكر له دلالة تؤكد أهمية المكان وقد حاولت أحصاء أسم كوش في التوراة ، فوجدته تجاوز الأربعين مرة ، مما يدل على أن الأحداث قد كانت هنا.

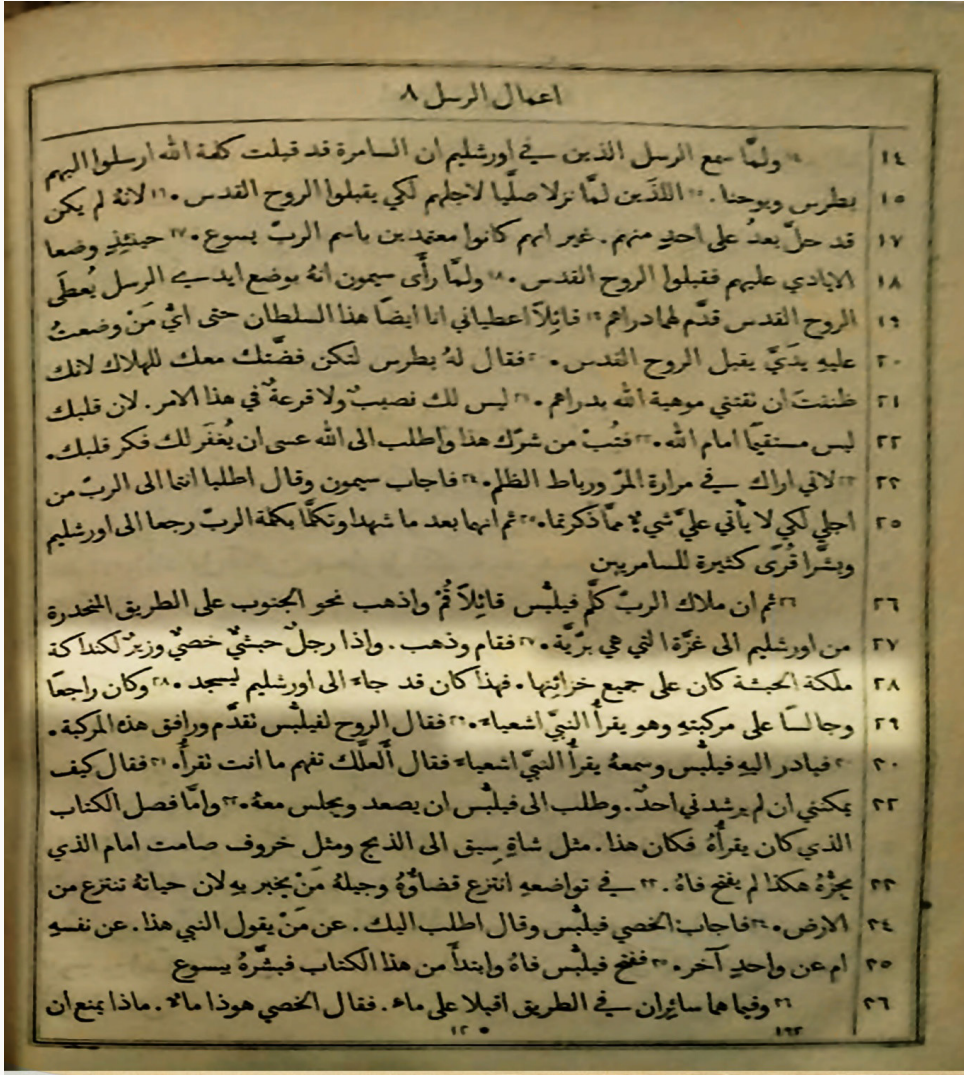


في هذا الفيديو تم تحديد المكان وفقا لما ذكره المؤرخ الاغريقي استرابو أن النهر في الأرض هو ذات النهر في السماء في علم الفلك وحدد المنطقة ما بين أسوان والجبل المقدس (جبل البركل) وشكل انحناء النهر يطابق تماما الوصف المكتوب وقد أجمع علماء العالم القديم أن من سمى اسماء علم الفلك هو سيدنا إدريس عليه السلام .

رابط فيديو أرض حفيف الأجنحة : ( فيلم وثائقي كنت قد انتجتة لمنظمة الفاو ووزارة الزراعة السودانية .) مقدمة فيلم أرض حفيف الأجنحة ، رابط : <https://www.dropbox.com/s/uguq0fkbepf0zuq/land%20of%20angle%20wings.mp4?dl=0>



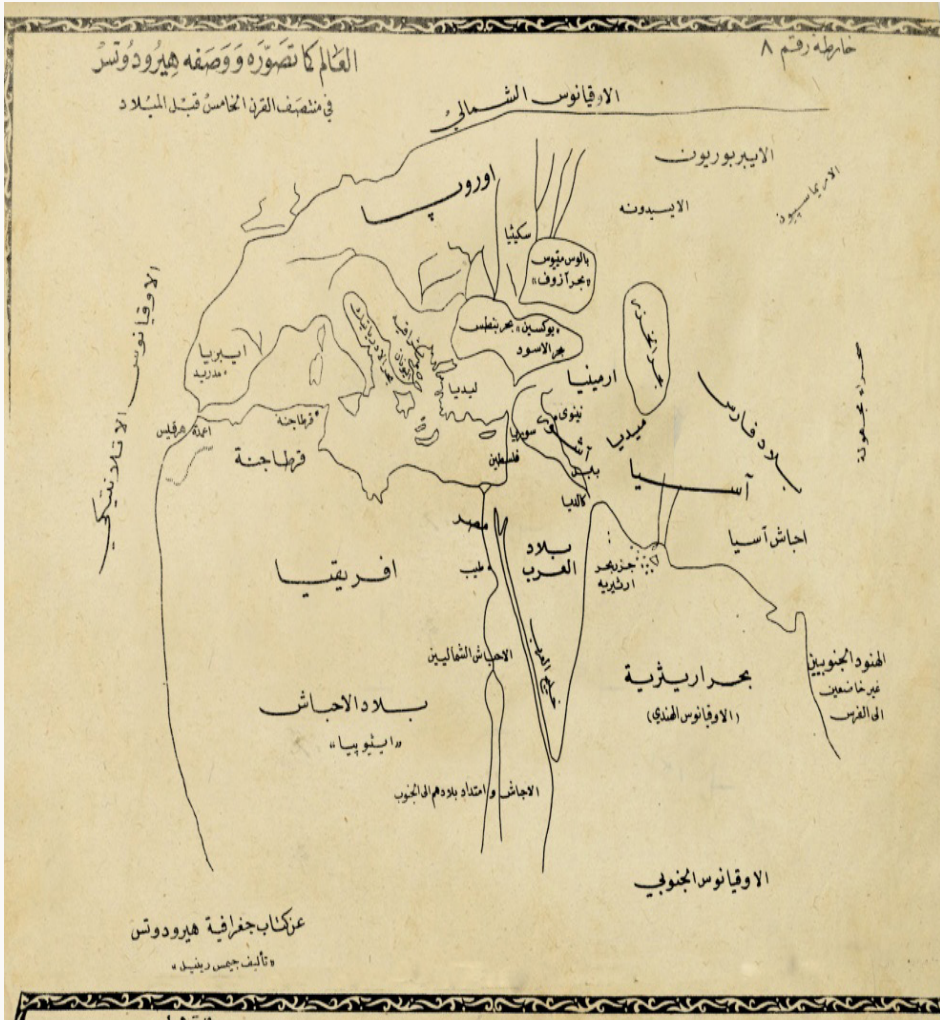
بسائط علم الفلك وصور السماء - لأبي الحسين الصوفي الرازي - مخطوطة  
(وورود بعض النصوص التوراتية يدعم ما ذكره استرابو، وهيرودتس وبعض علماء السودان أمثال ، بروفيسور عبدالله الطيب ، وبروفيسور حسن الفاتح قريب الله الذين أكدوا أن الحبشة المقصودة هي أرض السودان الآن ففي هذا النص التوراتي ذكرت الكنداكة بأنها ملكة الحبشة وذكرت مدينة أورشليم (القدس) مما يوضح أن هناك صلة قديمة ما بين ارض السودان والشام ..



### نص من التوراة أعمال الرسل الاصحاح الثامن....

( رجل حبشي خصي وزير للكنداكة ملكة الحبشة كان على جميع خزانها فقد جاء إلى اورشليم لیسجد وكان راجعاً على مركبته وهو يقرأ النبي اشعيا ) وفي هذا النص دالتين الاولى ان وزير خزانة الكنداكة رجل حبشي وصف بأنه خصي وقد يدل ذلك على أنهم كانوا يخصصون من يقوم بخدمة الكنداكات وهذه العادة استمرت إلى عهد قريب فقد كان سلاطين دارفور يخصصون الاغوات ممن كانوا يرسلونهم الى الحرمين بأرض الحجاز ( لكي لا يكون لهم الرغبة في النساء ) والحفاظ على عفة النساء كنوع من التدين أو العرف ، والدلالة الثانية أن الكنداكات كن ملكات لأرض الحبشة مما يؤكد أن المعني بذلك هو السودان لأن كلمة كنداكة

لم تطلق إلا على ملكات مملكة مروي ، وما زالت أهرامات الكنداكات في البجراوية ، وإذا نظرنا إلى الخرائط التي رسمها المؤرخ الإغريقي هيرودوتس نجد أن مدينة مروي رسمت بالقرب من البجراوية حيث الإهرامات (خريطة هيرودوتس).<sup>(2)</sup> (رسم هذه الخريطة في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وهي توضح أن الحبشة هي أرض السودان) وهناك ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن الكنداكة قد ذكرت في التوراة مما يعني أنها سبقت سيدنا موسى الذي أنزلت عليه التوراة .

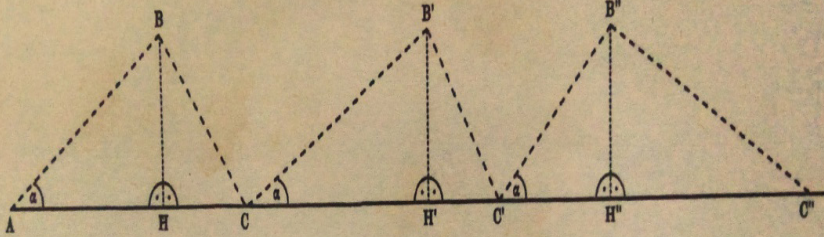


(خريطة هيرودوتس)

لا شك أن وزير الكنداكة تحرك من المدينة الملكية (البجراوية) حيث كان يبدأ طريق الحج القديم (يؤكد المستر وايلد : - وجود طريق قديم جدا من مروي إلى رأس بناس يخرق

طريق سواكن - بربر حتى رواية محمد قول .وفي الطريق علامات يتبعها الحجاج الأحباش الذين كانوا يؤمنون القدس عن طريق البادية بدلا من طريق سواحل البحر الأحمر الذي كان شديد الخطر عليهم وكثيرا ما ذبحت قوافلهم اليهودية والمسيحية بيد قبائل البجة .وهذه العلامات مبنية بأحجار جبلية في أرض وعرة على شكل مثلث ذي فجوتين أو ثلاث من أعلاه أما قاعدته فمساحتها متران في مترين والارتفاع ثلاثة أمتار تقريبا وكل مثلث مطلي بالجير الأبيض الذي لم تغيره آلاف السنين ، ثم جاء عصر رعمسيس الثالث الذي بذل جهده في فتح البلاد الإفريقية التي تسكنها الفيلة فبنى أسطولا أنزله الى البحر الاحمر وسافر فيه رعمسيس لإرتياد بلاد البنت<sup>(3)</sup> (شرق إفريقيا - المقصودة الحبشة والصومال) وارتياح البحار والصحارى مرتبط بعلم الفلك وعلم الفلك نشأ في أرض كوش . وكانوا يستخدمون حساب التثليث أو حساب الظل وسماه الفيلسوف الإغريقي فيثاغورس حساب المثلثات وقد اعترف انه اخذه من الفيلسوف والمعلم الاغريقي الأول ابندقليس والذي اعترف أنه أخذه من لقمان الحكيم في عهد سيدنا داود وسيدنا سليمان، وقد أجمع ياقوت الحموي وابن حوقل والمسعودي أن لقمان الحكيم من أرض النوبة ( مدينة دنقلا ) .ولمزيد من التوضيح نورد ما ذكره فؤاد سزكين(جامعة فرانكفورت) في كيفية قطع المسافات عن طريق علم الفلك ، وقد وجد في أقدم الخرائط في العالم وقد أثبت أنها خرائط عربية وقد استخدمها كريستوفر كولومبوس بواسطة البحارة العرب ومنهم محمد عبدالله الادريسي وهو من العلماء الذين تحدثوا عن أرض الحبشة وما يعيش فيها من غريب الحيوانات منها كلب النهر (قيطس) (وهو الاسم المذكور في علم الفلك وهو نفس الاسم المعروف في السودان ) وذكر البردة (الرعاة). ومايثير الدهشة هو:- من أين أتى الادريسي بكل هذه المعارف عن أرض الحبشة (السودان) ومن ضمن ما ذكر أن عاصمة الحبشة مدينة سوبا وأن ملكها كان أعدل الملوك في الارض وتسير أمام موكبها الافياء والزراف والاسود والنمور والذئاب المقاتلة .يحكم بالعدل في الطريق ويبدو ان شهادة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (النجاشي ملك لا يظلم عنده أحد)، اتت من هذا الإرث العدلي الفريد.فميزان العدل في علم الفلك هو ميزان ملك الحبشة والحضارات السودانية المتعاقبة ويرمز لإسم الله في اللغة المروية (وقد ذكر ذلك في علم الفلك وورد أن واضع اسماء علم الفلك هو هرمس (سيدنا إدريس) (نبي ماقبل دولة كوش). ويقول أبوالفتح عبدالكريم الشهرستاني :- إن واضع أسماء البروج والكواكب السيارة هو إدريس عليه السلام ، وقوله (حكم هرمس العظيم المحمود آثاره المرضي أقواله الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام وهو الذي وضع اسماء البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والخفيض والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقاربة والرجعة والاستقامة وبين تعديل الكواكب وتقديمها .)<sup>(4)</sup> نعود الى اتباع السير بحساب المثلثات (التثليث) في البحار والصحارى

## اكتشاف المسلمين للقارة الأمريكية قبل كريستوفر كولومبوس



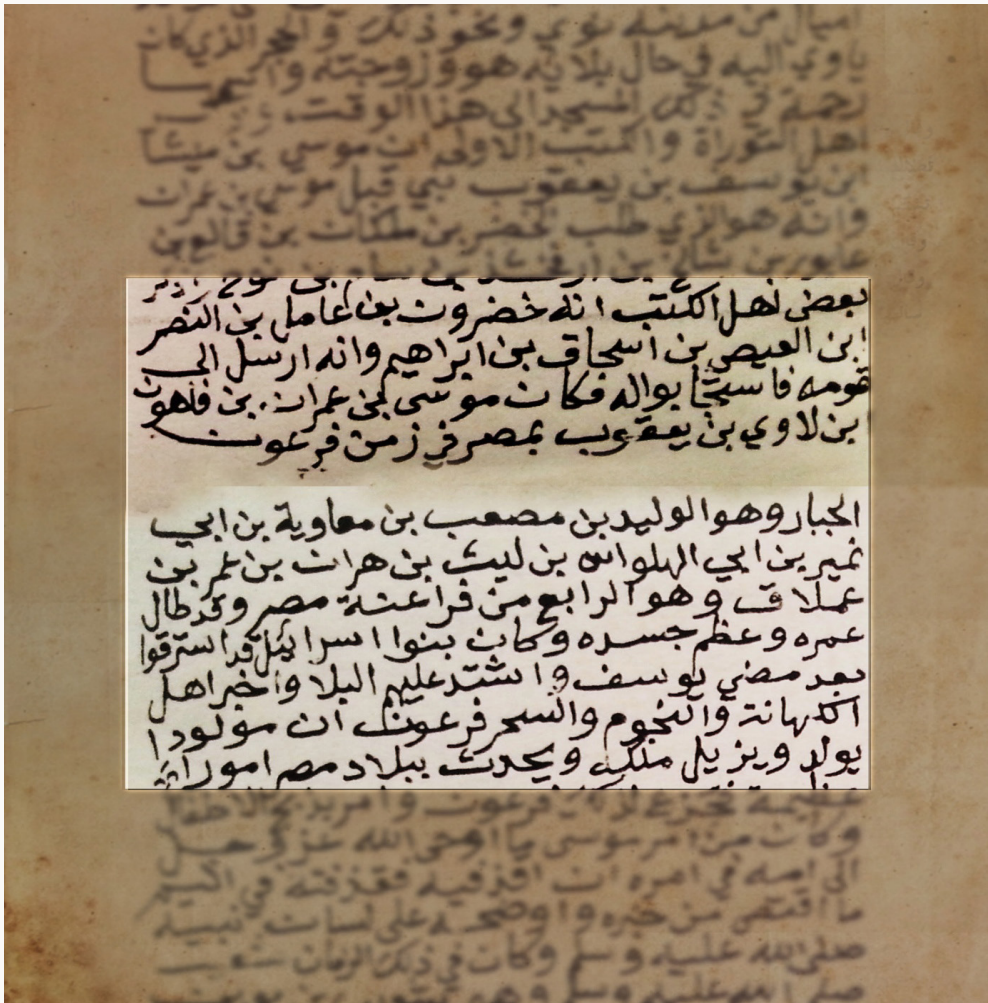
شكل ٦: طريقة لاستخراج المسافات في عرض البحر بحساب المثلثات. بعد حساب درجة العرض عند نقطة الانطلاق (A) كان البحارة يتجهون نحو نقطة (B) مع التزام زاوية ( $\alpha$ )، فيحسب درجة عرضها، ومن خلال ذلك كانوا يحسبون المسافة (BH). ثم يغيرون المجرى متجهين نحو نقطة (C) وهي على نفس درجة عرض نقطة الانطلاق). فيستخرجون المسافة ( $AC=AH+HC$ ) بحساب المثلثات، ويكررون عملية التثليث إلى أن يبلغوا الهدف. وكانوا يستخرجون درجات العروض بحساب ارتفاع القطب.

## اكتشاف المسلمين لأمريكا وسيرهم بعلم الفلك وقد اخذ من سيدنا ادريس

(رسمة حساب المثلثات) (طريقة لاستخراج المسافات في عرض البحر بحساب المثلثات بعد حساب درجة العرض عند نقطة الإنطلاق. وحساب المثلثات عرف به فيثاغورس وقد اعترف بأنه أخذه من أرض الحبشة عن لقمان الحكيم).

كان البحارة يتجهون نحو نقطة بي مع إلتزام زاوية (ايه) .....ومعرفة أهل كوش بعلم الفلك يجعلنا نضع احتماليين لمسير سيدنا موسى ببني اسرائيل ويقول الكاتب السوداني محمد صالح ضرار ولد سيدنا موسى عليه السلام (في زمن رعمسيس الثاني واشتهر بتعذيب بني اسرائيل).<sup>(5)</sup> والسؤال الذي لم يجب عليه كتاب مصر من أين أتوا بأسم فرعون موسى (رعمسيس الثاني) (رعمسيس 1339 ق.م) وقد ورد اسم رعمسيس وهي منطقة قرب سكوت في الاصحاح الثاني سفر الخروج (فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على اكتافهم وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى طلبوا

من المصريين أمتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوهم . فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضا من غنم وبقر مواش وافره جدا وخبزوا العجين الذي أخرجه من مصر خبز ملة فطير إذ كان لم يختمر (6) وخبز مله خبز ينضجوه على الرمل ومازال بدو السودان يصنعونه وقد شاهدت ذلك في إحدى رحلاتي في الصحراء وكلمة ملة كلمة يعرفها أهل السودان وتعني الرمل أو الرماد الساخن . ورغم أن كتاب مصر سموها فرعون موسى رعمسيس إلا أن كل المراجع العربية أجمعت على أنه عربي واسمه الوليد ابن مصعب بن معاوية. (7)



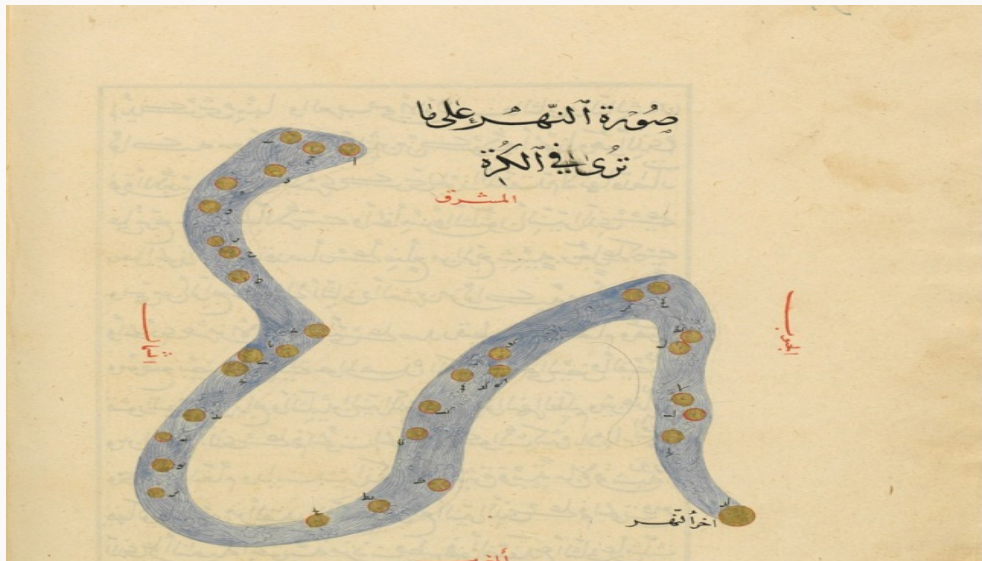
مخطوطة المسعودي

وذكر ذلك ايضا ابن حوقل (وفرعون موسى مصعب بن الوليد).<sup>(8)</sup>  
وثيقة ابن حوقل .

٧ - وكانت هذه الديار عظيمة خطيرة الملوك ، ملكها الفراعنة والتبابعة ومنهم من ملك أكثر أهل الأرض في سالف الزمان : كتبع الذي مدّن مدينتي صنعاء وسمّر قند ، وكان يقيم بهذه حولا وبهذه آخر . ومن أهلها فرعون ابراهيم وهو سنان بن علوان وفرعون موسى مصعب بن الوليد . وبعث فيها كثير من الانبياء وكان من اكرمهم نبينا صلى الله عليه وسلم . ولم يكُ فيما سلف الزمان ولا على مر الدهور والايام ممن علت كلمته واتسعت مملكته ، واستفحلت جبايته كتبع وذوي القرنين من ثبت الملك فيه وفي عقبه وجيت اليه الأموال ، وتخرق في المروءة والافضال كمن ملكها من أهلها في الاسلام مع أكثر الأرض ، من حيث لم يرم أكثرهم عن مواطنهم ولا برحوا عن أماكنهم ، يدعى لهم في اطرافها ويدر عليهم الاموال من أخلافها .

وكثير من الوثائق التي تثبت أن هذه الديار هي ديار العرب وفي حديث لرسولنا الكريم ذكر فيه زوجة فرعون بإسمها ((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)).<sup>(9)</sup> وعرفت آسية بنت مزاحم بأنها بنت عبيد بن الوليد وهذه الأسماء عربية المعنى والدلالة وكتاب مصر الحالية لا يريدون ذلك لكي لاتبعد الشقة من تاريخهم الذي صنعوه وسموه على فرعون موسى ، أعود الى الاتجاه الذي سلكه سيدنا موسى وخلفه فرعونه الوليد بن مصعب بن معاوية وبعد رعمسيس مروا على سكوت وسكوت معلومة المكان في السودان ومعالم المنطقة بأنهارها تشابه الوصف الذي أورده القرآن . يقول الكاتب محمود عثمان رزق :- (لاشك أن مقالة فرعون التي قال فيها (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)<sup>(10)</sup> ، وقد قصد بها استعراض قوته السياسية والاقتصادية لكثرة الأنهار في بلاده وكثرة المراعي والحيوانات والمنتجات الزراعية وهذه العبارة تدل دلالة صريحة على أن فرعون كان للأسف اسما لملك كوشي).<sup>(11)</sup>

فكثرة الأنهار التي ورد ذكرها في القرآن على لسان فرعون ، تدل دلالة واضحة على المكان حيث يوجد نهر عطبرة ونهر ستيت والنيل الأزرق والنيل الأبيض ونهر الرهد ونهر الدندر ونهر السوبات ونهر النيل ، ومصر ليس فيها إلا نهر واحد وهو النيل ، وتطابق ما ذكر في التوراة مع ما ذكر في القرآن (راجع نص التوراة ص 4) (ياارض حفيف الاجنحة التي



صورة النهر على ماترى في الارض والسماء(الرازي)

الاحتمال الاول لخط سير سيدنا موسى في اتجاه جبل البركل قد يكون العبور باتجاه دارفور حيث حزام الصمغ العربي ( وقد ذكر الصمغ في طعامهم ) وورد في التوراة ( فشد مركبته وأخذ قومه معه وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبية )<sup>(12)</sup> فهل ياترى يمكن أن نجد بقية منها (فقال ماذا فعلنا حتى اطلقنا اسرائيل من خدمتنا وورد في التوراة أن سيدنا هارون مات على جبل حور بالقرب من وادي هور (نص توراتي ) ووادي هور معروف بذات الاسم من جانب الضفة الأخرى لجبل البركل وهو من الأودية التي تصب في النيل وذكر في كتاب المستدرک (ذكر وفاة هارون بن عمران أنه مات قبل موسى عليه السلام ..أخبرنا الحسن بن محمد الاسفرائيني ثنا محمد بن احمد بن البراء ثنا عبد المنعم بن إدريس عن ابيه عن وهب بن منبه ,قال ونعى الله هارون لموسى حين اراد الله ان يقبضه ,فلما نعه له حزن )<sup>(13)</sup>.

ومما هو معلوم أن أهل دارفور يكثر في اسمائهم اسم هارون وموسى ويعقوب .وعبور سيدنا موسى وقومه لايتنافى مع اتجاههم الى شرق السودان حيث توجد أشجار الصمغ أيضا في منطقة تسمى حتى اليوم بمنطقة {التيه} هذه المنطقة يخترقها طريق الحج القديم للحجاج اليهود والمسيحيين وذكر أن وزير الكنداكة قد سلك ذات الطريق. وأورد الأستاذ محمود رزق منطقة لعبور سيدنا موسى وقومه حيث ذكر أنه قد ( يكون لفرعون أكثر من قصر رئاسي يحكم منه تلك المساحة الضخمة من البلاد.فإذا صحت هذه النظرية فقد تكون لنا دافعا لتحديد منطقة السبلوقة كمنطقة مرشحة لغرق فرعون .فقد يكون قصر فرعون الثاني كان عند مقرن النيلين وقام بمطاردة موسى (ع) نحو الشمال ف ضرب البحر في منطقة السبلوقة .وتقع منطقة السبلوقة شمال ولاية الخرطوم ، وتمتد في الجزء الجنوبي من ولاية نهر النيل بين خطي عرض 16 درجة و12 دقيقة و16 درجة و24 دقيقة شمالا ، وخطي طول 33 درجة و33 درجة و36 دقيقة شرقا .فهي تمتد لمسافة 40 كلم من الجيلي جنوبا حتى ود بانقا شمالا في شكل بيضاوي .ويوجد في هذه المنطقة صدع جيولوجي على النيل عند الشلال السادس يسمى بصدع (أم حريكة ) وهو صدع يشق النيل عرضا ، وهو الشق الوحيد على طول نهر النيل في كل المنطقة حسب علمي )<sup>(14)</sup> ، وقد قمت بزيارة هذه المنطقة ووجدتها ذات طبيعة غريبة وكأن شاطئها الغربي مقطوع بسيف ، حيث ليس هناك شاطئ مدرج كالأنهر بل شكل حائط يكون زاوية قائمة مع سطح المياه ويستحيل الخروج من النهر في هذه المنطقة وعلى جانبي النهر جبلان وهناك كهف في أعلى الجبل على شكل نصف دائري لاتدخل إليه الشمس مطلقا يسمى بحجر الضل (الظل)يقول كبار السن أن سيدنا موسى والخضر جلسا في هذا المكان .

أعود الى بقية القصة يقول اليعقوبي عن غرق فرعون (ولما غرق فرعون موسى لم يبق في البلد إلا الذرية والعبيد والنساء فأجتمع رأيهم على أن يملكو امرأة يقال لها دلوكه)<sup>(15)</sup> ولاندري هل للاسم صله بالغناء والايقاع المعروف في السودان الآن أم لا . وذكر اليعقوبي

أيضا (فلما ملكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشام فغزاهم ملك العمالقة وهو يومئذ الوليد بن دومع ، فرضوا أن يملكوه عليهم فاقام دهرًا طويلا ثم ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف )<sup>(16)</sup>. وما ذكره اليعقوبي يتماشى مع تاريخ العرب المذكور وما ذكره رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

واحتمال آخر بالعبور بمنطقة دكة بالقرب من بربرحيث كان فرعون موسى يستجلب الذهب من الصحراء وسيره بهذا الطريق يجعلنا نتجه الى منطقة البحر الأحمر (بحر القلزم).

## سيدنا موسى والسامري

### جزيرة السامري:

للسودان جزر كثيرة في البحر الأحمر ذكرت المراجع أن عددها 60 جزيرة .<sup>(17)</sup>

### جزر البحر الاحمر

يمتد ساحل السودان على البحر الاحمر من خط عرض ٢٢° شمالا الى خط ١٨° شمالا ومن خط طول ٣٥° شرقا الى خط ٣٢° شرقا بطول يبلغ ٦٧٥ كم في خط مستقيم . وعلى الرغم أن الساحل يبدو أكثر تعقيدا من الساحل المصري حيث تكثر به التعاريج ، ويوجد به ١٦ شروفا أو خليجا ، إلا أن الجزر قليلة جدا أمامه ، وأغلبها صغيرة المساحة جدا وما هو الا قمم الحاجز المرجاني . وبصفة عامة تكثر الحواجز المرجانية والحلقات أمام سواحل السودان وحول جزرها وأكبرها شعب San ganeb Reef (Western AVabia , Op. Cit., p.106) وشعاب أرخبيل مجموعة سواكن المبنية في الخريطة رقم (٦٣)

ويبلغ عدد الجزر الذي أمكن حصرها من كافة المراجع والخرائط أمام ساحل السودان بحوالى ٦٠ جزيرة . تبدأ بمجموعة الجزر الواقعة أمام

مرسى أبوليميل جنوب خط عرض ٢٢° ش ( World Map - Sheet 567-B ) وعددها ٦ جزر ، يليها جنوبا جزر سيال(٣) ثم مجموعة من الجزر الصغيرة جدا ( Gays ) منها المجموعة الواقعة أمام مرسى أبوالقاسم والمجموعة الأخرى المعروفة باسم جزر روابيت

وعند خط عرض ٣٠° / ٢٢° شمالا توجد جزيرة الديبابة أو عليه ثم جزيرتي كواللة وحلايب الكبير التي تعد أكبر الجزر في هذا النطاق، وهاتان الجزيرتان سطحهما منخفض ويغلب على تكوينهما الرمال والمرجان.

ومن جزيرة حلايب الواقعة عند خط عرض ٢٠° / ٢٢° شمالا ، حتى خط عرض ٢١° شمالا تكاد تختفى الجزر أمام الساحل حتى تظهر جزيرة مكور جنوب راس ابوشجرة مباشرة وتعد امتدادا طبيعيا لهذه الرأس . وهي أكبر جزر السودان مساحة وأعلاها ارتفاعا ، حيث يصل ارتفاع أعلى قممها ٣٠٠ متر في النصف الجنوبي من الجزيرة ، كما توجد قمة أخرى في نطفاها الشمالي ارتفاعها ٢٦٦ مترا . والجزيرة مستطيلة الشكل طولها ٩٦ كم ومتوسط عرضها ٢٥ كم وبذلك تبلغ مساحتها ٢٤ كم<sup>٢</sup> تحدها خافات شديدة الانحدار وتحيط بها الحواجز المرجانية وتنمو أشجار المانجروف عند نهايتها الجنوبية ) Western A.abia , p. 110

ومن ضمن الجزر جزيرة في غاية الأهمية وهي جزيرة السامري وقد أشار إليها أبو عبدالله محمد الشريف الإدريسي المولود عام 492هـ وذكرها بذات الاسم محمد صالح ضرار (في كتب رحلات العرب قرأت أسماء أربع جزائر هي سواكن ودهلك والنعمان والسامري)<sup>(18)</sup>. ويواصل ضرار (لعلهم يقصدون بالأخيرتين جزيرة ابن عباس وجزيرة عيري الواقعة جنوبها على بعد عشرين ميلا وكلاهما كانتا أهلتين بالسكان .ولقد وجدت في كليتهما آثار إسلامية ونقوشا عربية ولا أعرف جزرا غيرهما بالبحر الأحمر وآخر رجل كان يسكن سنة 1906م في جزيرة عيري بأغنامه اسمه إدريس ابوعمير من قبيلة طارقيلي ألمدة)<sup>(19)</sup>. ورغم أن اسم ابو عمير يجعلنا نقف عنده إلا اننا نرجح ماقاله الادريسي من حيث حجم الجزيره ونتساءل عن هذه الجزيرة لماذا سميت بهذا الاسم وهذا التساؤل يجعلنا نبحث عن الحقيقة وسط هذا الكم من الجزر , جزيرة راس مقدم جزيرة راس عسيس جزيرة لاريوت جزيرة راس قصر وتمثل نقطة الحدود السودانية الارتية ومجموعة جزر امارات الواقعة على خليج العقيق والجزر الاكبر مساحة الواقعة في خور نورات وجزر سنقنيب وجزر مرسى ابوفصيل وعددها ستة جزر , وجزر سيال وجزر روابيت وجزيرة الديبابة (علبة) وجزيرتي كواله وجزيرتي حلايب الكبير التي تعد اكبر الجزر وجزيرة مكور وجزيرة راس ابو شجرة وجزائر العقيق (باكياء) وجزيرة بهدور (ابن عباس) وجزيرة مشاتيبي جزيرة الشيخ عبدالله الجبرتي الواقعة شمال جزيرة سواكن وجزيرة مسامرو وجزيرة دقل.

### جزيرة السامري

#### الجزء الخامس

إن هذا الجزء الخامس من الإقليم تضمن من البلاد التي على ساحل بحر القلزم مدينة عيذاب وما اتصل بها قبلها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب وليس بها طريق معروف ولا يستدل عليها إلا بالجمال والكدي النانة لأنها رمال سائلة وضاحض غامرة وربما أخطأ بها الدليل الماهر وأكثر الاستدلال بها بالنجوم ومسير الشمس من المشرق إلى المغرب وفي هذا الجزء قطعة من بحر القلزم وجملة من جزائره العامرة والخالية ومراسيه المشهورة المذكورة والكور الصغار مثل السرين والسقية وجدة والجحفة والجار وفيه من البلاد البرية صكبان ومكة والطائف وقديد والمدينة وعيذاب ونحن واصفون الآن جميع ما ذكرناه من ذلك وصفاً تاماً باستقصاء وشرح متقن بفضل الله تعالى وقوته.

وأكبر جزيرة فيه من هذا الجزء جزيرة النعمان وبها قوم لازمون لها ساكنون بها ومنها جزيرة السامري يسكنها قوم يهود سامرية وعلامتهم أن يقول أحدهم إذا لقي إنساناً "لا مساس" وبهذه اللفظة يعرف أنهم من اليهود المنسوبين إلى السامري صاحب العجل في زمن موسى عليه السلام.

وهذه الجزيرة معروضة للإيجار إلى أحد المستثمرين العرب فهل هي الجزيرة المقصودة أم أن للقصة بقية قصة لم تكتمل فصولها وأن كلمة لا مساس التي وردت في القرآن الكريم اختلف فيها العلماء المسلمين ما بين نفي السامري عقاباً له من سيدنا موسى وقد اختلفت التفاسير في كلمة لا مساس التي وردت في تفاسير الجلالين والطبري وابن كثير والقرطبي والبغوي وفتح القدير والسيوطي رغم أنه ليس هناك اختلاف كبير فيما بينها (لمن أراد البحث أكثر).

﴿ وَمَا أَعْبَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ (83)

قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا نَحْمِلُنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُم وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ أَخْلِفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)

وفي النص السابق عبارة سيدنا هارون لسيدنا موسى عندما أخذ بلحيته ( يا ابن ام ) وهي عبارة مازال يستخدمها اهل السودان (ياود أمي ) وهذه العبارة استوقفت البروفسير عبدالله الطيب ( في إحدى محاضراته في قاعة الشارقة ) .

وقد اشار أيضا الكاتب والمؤرخ السوداني محمد صالح ضرار في كتابه تاريخ سواكن والبحر الأحمر الى أن السيد يحيى الفضلي في محاضرة له قال : ( اننا نتأخم البحر الأحمر ولنا فيه ثغر جميل له شهرة عالمية وكانت لسواكن شهرة طائلة حيث أن سفن الملك سليمان بن داود كانت تسير الى ثريشيش مع عبد حورم وتأتي مرة كل ثلاث سنوات الى سواكن وتحمل ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس كما جاء في التوراة. وسواكن أول ميناء في ذلك الوقت تصل اليها السفن من الشرق الاقصى والأدنى ) (20) .

ويقول الكاتب محمد صالح ضرار : ( إنه وجد في كتب رحلات العرب أسماء 4 جزائر هي سواكن ودهلك والنعمان وجزيرة السامري ولعلمهم يقصدون بجزيرة النعمان

والسامري جزيرة ابن عباس وجزيرة عيري الواقعة جنوبها على بعد 20 ميلا وكتاهما كانتا أهلتين بالسكان ولقد وجدت في كليهما آثار إسلامية ونقوشا عربية ولا أعرف جزرا غيرها بالبحر الأحمر. وسكان بهدور رحلوا الى عدومبنة إلا ثلاث عائلات أما عيري فسكانها أمويون وقد تفرقوا واندمجوا في قبائل البجة وتوجد أسماء أكثر موتاهم على مقابر الجزيرة وآخر رجل كان يسكن سنة 1906م جزيرة عيري بأغنامه اسمه ادريس ابو عمير من قبيلة طارقيلي ألمدة (21).

ويضيف محمد صالح ضرار : ( يقول المستر وايلد بوجود طريق قديم جدا من مروي الى راس بناس يخترق طريق سواكن بربر حتى رواية محمد قول وفي الطريق علامات يتبعها (الحجاج الأحباش)\* الذين كانوا يئمون القدس عن طريق البادية بدلا عن طريق سواحل البحر الأحمر الذي كان شديد الخطر عليهم وكثيرا ما ذبحت قوافلهم اليهودية والمسيحية بيد قبائل البجة وقد ورد وصف طريق الحج القديم في رحلة وزير الكنداكة الى اورشليم . وهذه الخطورة والتعدي لن يكون عبر كل الازمنة . وما ذكره الادريسي عن جزيرة السامري يجعلنا نعتقد أن قصة السامري حدثت بالقرب من بحر القلزم وكان النفي للجزيرة التي عاش فيها مع قومه وقطعا ستكون هناك بقية من آثار وحياة أخرى (وكل الجزر تمتاز بجمالها) ومن المعلوم أن طيور اوروبا وآسيا تأتي الى هذه الجزر في فصل الشتاء مما يجعل هذه الجزر قبلة للسياح إذا أحسن التخطيط لها .

وقديما كانت تجارة الذهب والحيوانات البرية دافعا لقدم العرب والروم والفرس والإغريق الى أرض مروي. وقد ورد في التاريخ القديم ثراء أرض مروي بالذهب وغيره من المعادن وقد أشار إلى ذلك ابن حوقل وغيره من علماء المسلمين وهناك ما هو أقيم من الذهب نراه في إرث دولة مروي فلنتأمل هذا الذهب الموشى للكنداكة والموجود الآن بمتحف برلين بألمانيا. ومن المعلوم أن خروج بني اسرائيل صاحبه أخذ ذهب قوم فرعون وقد صنع منه السامري عجله المذكور في القصة .

## المصادر والمراجع :

- (1) درار، مناهج البحث العلمي، مطبعة السودان للعملة الطبعة الاولى الخرطوم 2012م، ص 41
- (2) التوراة سفر أشعياء الاصحاح الثامن عشر طبعة 1816م مطبعة استور نيويورك.
- (3) احمد سوسه العراق في الخراط القديمة مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1959م تاريخ هيرودوتس 484ق.م. خارطه رقم 8 ص 29
- (4) محمد صالح ضرار تاريخ سواكن والبحر الاحمر الدار السودانية للكتب — الطبعة الثانية — 1988 م — ص 27
- (5) الشهرستاني 548 هجرية الملل والنحل الحلبي للنشر، ص 142
- (6) محمد صالح ضرار تاريخ سواكن والبحر الأحمر ص 28 —
- (7) الكتاب المقدس الاصحاح الثاني عشر سفر الخروج 12
- (8) المسعودي 332 هجرية مروج الذهب ومعادن الجوهر ص 44\_45 وثيقه مخطوطة المسعودي.
- (9) ابن حوقل - صورة الأرض - ص 31.
- (10) أبو هشام عبدالله بن الصديق — الأسر القرشية الطبعة الأولى جدة 1404 هجرية 1983م ص 107.
- (11) سورة الزخرف الآية 51. محمود رزق - السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين ص 78 مطبعة جامعة الخرطوم الطبعة الأولى.
- (12) سفر الخروج الإصحاح 12 التوراة طبعة 1816م.
- (13) المستدرك في الصحيحين الجزء الثالث ص 463.
- (14) محمود رزق — السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين - ص 130 — الطبعة الثالثة دار المصورات.
- (15) اليعقوبي الجزء الأول طبعة 1955م - 1375 هجرية - ص 211.
- (16) نفس المرجع
- (17) جزر البحر الاحمر ،الملف العلمي ، الجمعية العلمية ، الملكية معهد البحوث والدراسات العربية ص 176.
- (18) ضرار صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ص 25.
- (19) نفس المرجع.
- (20) نفس المرجع.
- (21) محمد صالح ضرار - تاريخ سواكن والبحر الاحمر - الدار السودانية للكتب ط 2 1408 هجرية - 1988م ص 25.
- (22) ضرار- تاريخ سواكن والبحر الاحمر- ص 30. مرجع سابق

## المصادر والمراجع :

### أولا : المصادر

- (1) القرآن الكريم (سورة الزخرف الاية 51 )
- (2) التوراة سفر أشعياء الاصحاح الثامن عشر طبعة 1816م مطبعة استور نيويورك.
- (3) الشهرستاني 548 هجرية الملل والنحل الحلبي للنشر، ص 142
- (4) الكتاب المقدس الاصحاح الثاني عشر سفر الخروج 12 ط- 1816م
- (5) المسعودي 332 هجرية مروج الذهب ومعادن الجوهر ص 44\_45 وثيقه مخطوطة المسعودي.
- (6) ابن حوقل - صورة الأرض - ص 31.
- (7) سفر الخروج الإصحاح 12 التوراة طبعة 1816م.
- (8) المستدرك في الصحيحين الجزء الثالث ص 463.
- (9) اليعقوبي الجزء الأول طبعة 1955م -1375 هجرية - ص 211.

### ثانيا : المراجع :

- (1) درار، مناهج البحث العلمي، مطبعة السودان للعملة الطبعة الاولى الخرطوم 2012م، ص 41
- (2) صالح ضرار تاريخ سواكن والبحر الأحمر ص 28
- (3) احمد سوسه العراق في الخرائط القديمة مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1959م تاريخ هيرودوتس 484ق.م. خارطه رقم 8 ص 29
- (4) صالح ضرار تاريخ سواكن والبحر الأحمر ص 28
- (5) أبو هشام عبدالله بن الصديق — الأسر القرشية الطبعة الأولى جدة 1404 هجرية 1983م ص 107.
- (6) محمود رزق - السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين ص 78 مطبعة جامعة الخرطوم الطبعة الأولى.
- (7) جزر البحر الاحمر ، الملف العلمي ، الجمعية العلمية ، الملكية معهد البحوث والدراسات العربية ص 176.
- (8) ضرار صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ص 25.
- (9) نفس المرجع.

- (10) نفس المرجع.
- (11) محمد صالح ضرار - تاريخ سواكن والبحر الاحمر - الدار السودانية للكتب ط2  
1408هجرية - 1988م ص 25.
- (12) -ضرار- تاريخ سواكن والبحر الاحمر- ص 30، مرجع سابق

## محمل دارفور على ضوء الوثائق العثمانية

أ. مشارك - قسم التاريخ - كلية الآداب -  
جامعة الخرطوم

د. أنعم محمد عثمان الكباشي

### مستخلص

اعتمدت هذه الدراسة على الوثائق العثمانية الموجودة في الأرشيف العثماني، وهي وثائق مكتوبة باللغة العثمانية (التركية القديمة). وقد تناولت هذه الوثائق محمل دارفور الذي كان يُرسل إلى مكة المكرمة. وذكرت أن هذا المحمل قديم جداً، وهو عادة من عادات سلاطين تلك المنطقة. كما عكست لنا وجهة نظر الدولة العثمانية حول محمل دارفور. وبالطبع فإن تناول الوثائق العثمانية لهذا المحمل، يعكس مدى الأهمية التي كان يتمتع بها.

### Abstract

This study was based on the Ottoman documents found on the Ottoman archive, and they were written in Ottoman language (Old Turkish). These documents dealt with the mahmal (محمل) of Darfur that was sent to Mecca. And they mentioned that that mahmal was so old, and it was one of the traditions of the Sultans of the region. They also revealed the perspective the Ottoman Empire had about the mahmal of Darfur. Of course, the fact that the Ottoman documents dealt with this mahmal reflects the importance it had.

### مقدمة

تعتبر سلطنة دارفور من أهم الممالك الإسلامية التي نشأت في القارة الإفريقية، وهي سلطنة بلا شك تحوز على أهمية كبيرة، وذلك بالنظر إلى الأعمال الجليلة التي قدمتها للإسلام والمسلمين. ويأتي على رأس هذه الأعمال، إرسال محمل خاص من أرض دارفور إلى الأراضي المقدسة. وفي الحقيقة فإن إرسال هذا المحمل يعكس مدى الاستقلالية التي كانت تتمتع بها سلطنة الفور، فكما هو معلوم فإن الكيانات السياسية غير المستقلة، لا تملك القدرة على القيام بأي عمل من الأعمال ولو كان بصورة جزئية، فالاستقلالية هي الأساس في إنجاز الأعمال الكبيرة. وبالفعل فإن الاستقلال الذي تمتعت به سلطنة الفور مكنها من العمل بكل حرية، وبالتالي إنجاز أعمال كبيرة مثل إرسال المحمل إلى الحرمين الشريفين، وهو الأمر الذي جعلها تؤسس علاقاتها الخارجية على درجة من الندية والاحترام.

وفقا للمعلومات الموجودة في الوثائق العثمانية الرسمية، فإن عادة إرسال محمل من دارفور إلى الأراضي المقدسة، هي عادة قديمة وليست بالحديثة. وقد أشارت إحدى الوثائق العثمانية الصادرة عن دائرة الصدارة (مجلس الوزراء) إلى هذه المسألة، حيث ذكرت هذه الوثيقة المؤرخة بـ 15 شوال سنة 1321 هـ/ 3 يناير 1904م أن حاكم دارفور علي دينار قام بإرسال محمل من بلاده إلى بلاد الحجاز. وذكرت الوثيقة نفسها أن ابن حاكم وداي كان ضمن أفراد القافلة المرسله من طرف حاكم دارفور. وذكرت أن وداي تقع بين دارفور وبين طرابلس الغرب، وهي منطقة خاضعة لسلطة الدولة العثمانية. وبموجب خضوعها للدولة العثمانية، قام العثمانيون في السنة الماضية بإرسال عساكر وموظفين عثمانيين من طرابلس الغرب إليها. ولعل من أهم النقاط التي تلفت الانتباه في هذه الوثيقة هي إشارتها إلى أن أفراد قافلة دارفور سوف يتوجهون عقب أداء فريضة الحج إلى استانبول من أجل مقابلة السلطان العثماني. بيد أن الوثيقة لم تخبرنا عن سبب هذه الزيارة<sup>(1)</sup>.

تتضمن وثيقة عثمانية أخرى صادرة بالرقم نفسه ومؤرخة بـ إلى البرقية المشفرة المرسله من ولاية الحجاز إلى الصدارة العثمانية. وبناء على ما جاء في هذه البرقية، فإن حكام دارفور يقومون بإرسال المحمل سنويا بصورة منتظمة. ولعل ذلك يعكس لنا مدى الأهمية التي يوليها حكام دارفور لمسألة إرسال المحمل إلى الأراضي المقدسة. ومن الملاحظ أنه سواء هذه الوثيقة أو الوثيقة السابقة، فكلاهما يشير إلى أن مسألة إرسال المحمل إلى مكة المكرمة، هي من اختصاص السلطان العثماني فقط، وذلك باعتباره أمير المؤمنين والخليفة الأعظم لهم. وبالتالي لا يحق لأي حاكم آخر القيام بهذه الوظيفة.

من المعلوم تاريخيا أن الدولة العثمانية بدأت في إرسال المحمل اعتبارا من عهد السلطان محمد الأول (1413-1421م)، وهو السلطان المشهور باسم "محمد جلبي"<sup>(2)</sup>. واعتبارا من هذا التاريخ استمر العثمانيون في إرسال المحمل إلى الأراضي المقدسة دون انقطاع إلى حوالي الربع الأول من القرن العشرين. وقد كان العثمانيون يطلقون على المحمل مصطلح "الصرة الهمايونية" أي الصرة السلطانية<sup>(3)</sup>، وهي القافلة التي كان يرسلها السلطان العثماني اعتبارا من التاريخ المذكور من العاصمة استانبول إلى أرض الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة. وبعد دخول أرض الحجاز تحت سلطة الدولة العثمانية في عام 1517م، بدأ إرسال الصرة السلطانية يتم بصورة منتظمة سنويا. والجدير بالذكر أنه كان يقام احتفال كبير في استانبول بالقافلة السلطانية قبل خروجها متوجهة إلى أرض الحجاز، وقد كان كبار رجال الدولة يشاركون في هذا الاحتفال الخاص بهذه القافلة. بل إن السلطان العثماني كان يشارك بنفسه في هذا الاحتفال العظيم<sup>(4)</sup>.

بيد أن الوثيقة موضوع البحث تشير إلى أن حكام تلك المناطق (يعني دارفور وما جاورها) يطلقون صفة المحمل على مجيئهم إلى أرض الحجاز، وتذكر أنه مما لا شك فيه أن محمل دارفور هو من النوع المذكور. وعلى النحو نفسه فقد أشارت الوثيقة إلى احتجاج الإنجليز من قيام علي دينار بإرسال برقية إلى ولاية الحجاز مباشرة، وقد قام بذلك لدى

وصوله إلى سواكن وهو في طريقه إلى الحجاز، إذ كان من الواجب عليه أن يقوم أولاً بمخاطبة خديوية مصر، ثم تقوم الخديوية بإحاطة الباب العالي علماً بتفاصيل المسألة.

ويعود السبب في ذلك إلى أن خديوية مصر كانت تابعة للدولة العثمانية، في حين أن دارفور كانت تقع خارج حدود سلطة العثمانيين. وبالرغم من أن دارفور لم تكن خاضعة للعثمانيين، إلا أن حكامها قاموا في السنة الماضية، أي في عام 1320هـ/1902م برفع العلم العثماني على أراضيهم. وحسب ما جاء في هذه الوثيقة فإن حكام دارفور كانوا فخورين جداً بمسألة رفع العلم العثماني على أراضيهم<sup>(5)</sup>. وفي الواقع فقد ذكرت إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة بـ 3 ذي الحجة سنة 1325هـ/7 يناير 1908م أن حاكم دارفور أرسل أحد وكلائه ويدعى "محمد الشيخ سيماي أفندي" إلى مكة المكرمة، وفي معيته أمانة الصرة. وحسب ما جاء في محتويات الوثيقة المذكورة فقد كان الوكيل المشار إليه مكلف بطلب علم من العثمانيين، خاصة وأن دارفور ليس بها أي علم من الأعلام الأجنبية حتى الآن. ولهذا السبب فهو يرجو أن تقوم الدولة العثمانية بمحنهم علماً عثمانياً. ووفقاً للبرقية الواردة من ولاية الحجاز، فسوف يتم النظر في هذا الموضوع عقب انتهاء موسم الحج<sup>(6)</sup>. من خلال ما جاء في متن هذه الأوراق الرسمية نصل إلى نتيجة مفادها أن دارفور ظلت أرض مستقلة عصرية على الغزاة حتى التاريخ المذكور. وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن حكامها يسعون إلى تأمين بلادهم والمحافظات عليها من الدول الاستعمارية. وربما هذا هو السبب الذي جعلهم يتجهون إلى الدولة العلية العثمانية طالبين منها مدعم بأحد أعلامها حتى يرفرف في سماء دارفور معلناً عن عرى الصداقة القوية التي تربط ما بين حكام دارفور والحكام العثمانيين. وبهذه الطريقة لن تتمكن أي دولة من الدول الاستعمارية من محاولة ضم دارفور إلى سلطتها خاصة إنجلترا وفرنسا. بناء على ذلك يجب أن ننظر إلى مسألة رفع العلم العثماني هذه باعتبارها رمز للعلاقات الوطيدة بين دارفور والسلطنة العثمانية، وليس نوعاً من أنواع الاستعمار.

ومن الواضح أن مسألة رفع العلم العثماني على أراضي دارفور لم تكن ناتجة عن ضغوطات من طرف الحكومة العثمانية، وإنما نابعة من نظرة محبة وصداقة من حكام دارفور تجاه الدولة العثمانية، وذلك على أساس أن الدولة العثمانية هي دولة إسلامية تقوم ببذل جهود كبيرة من أجل خدمة المسلمين خاصة أولئك الموجودين في أرض الحجاز. وكما هو معلوم فإن سلطنة دارفور كانت تتبنى السياسة نفسها التي تنتهجها الدولة العثمانية. ولهذا السبب فقد رأت أنه لا يوجد أدنى حرج من رفع العلم العثماني على أراضي دارفور.

ومن جانب آخر تطرقت إحدى الوثائق العثمانية إلى البرقية المشفرة المرسلة بصورة مشتركة من طرف أمير مكة المكرمة والي ولاية الحجاز إلى دائرة الصدارة العظمى العثمانية. وقد تناولت هذه البرقية قيام الحكام الزوج في إفريقيا الوسطى بتجهيز وإعداد المحمل منذ سنوات عديدة. وقد ذكرت هذه الوثيقة الصادرة بتاريخ 14 كانون الأول سنة 1319/27

ديسمبر 1903م إلى قيام حاكم دارفور علي دينار بترتيب المحمل، والتحرك به هو وبعض أقاربه إضافة إلى مائة حاج من دارفور إلى سواكن من أجل التوجه إلى مكة المكرمة. ووفقا لمحتويات هذه البرقية فسوف يحظى هذا الوفد رفيع المستوى بالاحترام والتقدير والتبجيل، وذلك لدى وصوله إلى جدة خلال بضعة أيام. وقد ذُلت الوثيقة بتوقيع والي الحجاز "أحمد راتب" وأمير مكة المكرمة "عون الرفيق"<sup>(7)</sup>.

أما الوثيقة الصادرة من دائرة الصدارة العثمانية بتوقيع الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) "فريد" بتاريخ 8 شوال سنة 1321 هـ/ 27 ديسمبر 1903م فقد أمنت على ما جاء في الوثيقة السابقة، خاصة فيما يتعلق بضرورة معاملة وفد علي دينار المعاملة التي تليق به، مع تقديم كافة أنواع المساعدات اللازمة، وهي المساعدات التي يجب أن يحظى بها المشار إليه والوفد المرافق له، وذلك لدى وصولهم إلى جدة. وفي الوقت نفسه فقد أشارت هذه الوثيقة إلى البرقية المشتركة التي كان قد أرسلها أمير مكة المكرمة والي ولاية الحجاز الجليلة حول ما يجب القيام به في هذا الموضوع<sup>(8)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن الوثيقة الصادرة من القصر السلطاني العثماني بتاريخ 9 شوال سنة 1321 هـ/ 28 ديسمبر 1903م فقد أشارت أيضا إلى تحرك علي دينار وفي معيته محمل دارفور إلى سواكن قاصدين الأراضي المقدسة. غير أن الإضافة الجديدة في هذه الوثيقة تتمثل في قيام الصدر الأعظم العثماني بإصدار مذكرة بتاريخ 8 شوال سنة 1321 هـ/ 27 ديسمبر 1903م تتعلق بالموضوع المشار إليه. ومن الملاحظ أن مذكرة الصدر الأعظم هذه اعتمدت على ما جاء في متن البرقية المرسله من إمارة مكة المكرمة وولاية الحجاز الجليلة. وحسب ما جاء في مذكرة الصدر الأعظم، فإن توجه الوفد المذكور لأداء فريضة دينية، هو أمر لا غبار عليه، بيد أن مسألة ترتيب وتجهيز محمل وإرساله إلى أرض الحجاز، هو من اختصاص صاحب المقام الشريف جناب الخليفة الأعظم (السلطان العثماني) فقط. وقد صدر مرسوم سامي سلطاني حول هذا الموضوع<sup>(9)</sup>.

كما هو ملاحظ فإن الدولة العثمانية كانت متحفظة بدرجة كبيرة على قيام سلاطين دارفور بإرسال محمل إلى الأراضي المقدسة. ولعل هذه الوثائق الصادرة من أرفع الدوائر الإدارية العثمانية تمثل دليلا قويا على ذلك. فعلى سبيل المثال فإن السلطة العثمانية لا ترفض البتة زهاب مجموعة من المسلمين إلى مكة المكرمة من أجل أداء فريضة الحج، إنما ترفض مبدأ تجهيز المحمل وإرساله إلى الحجاز. وقد أوضحت الوثائق العثمانية سبب هذا الرفض، والذي يتمثل في أن قضية إرسال المحمل كل عام إلى الأراضي المقدسة، هو من مهمات واختصاص السلطان العثماني. ومن الواضح أن سلاطين الدولة العثمانية نظروا إلى محمل دارفور باعتباره تدخلا في الشؤون الداخلية لدولتهم، باعتبار أن السلطان العثماني هو المنوط به فقط إرسال المحمل إلى الأراضي المقدسة، وليس بقية الحكام المسلمين الآخرين. وفي الواقع فإنه لم يكن في وسع الدولة العلية العثمانية منع حكام دارفور من إرسال

المحمل إلى مكة المكرمة. ويتعلق الأمر هنا بناحية سياسية مهمة للغاية، وهي أن دارفور لم تكن ولاية تابعة للعثمانيين، ولا تتبع للدولة العثمانية بأي صورة من الصور. وعلى هذا الأساس لن يكون في مقدور الدولة العثمانية إصدار أوامر وقرارات بحق سلطنة دارفور، خاصة مسألة إرسالها محمل إلى مكة المكرمة. وفي مقابل ذلك كان حكام دارفور ينظرون إلى الدولة العلية العثمانية نظرة إيجابية على أساس أن العثمانيين كانوا يحملون لواء الإسلام، ويقدمون خدمات جليلة لخدمته وخدمة المسلمين. وهنا لابد من الإشارة أيضا إلى أن الدولة العثمانية لم يكن لديها أدنى عدا مع حكام دارفور، وكل ما في الأمر أنها كانت تتحفظ على قيام هؤلاء الحكام بإرسال المحمل.

وعلى النحو نفسه فإن الوثيقة العثمانية المؤرخة الصادرة بتاريخ 17 كانون الأول سنة 1319/30 ديسمبر 1903م تؤكد على حرية زهاب حاكم دارفور والوفد الذي في معيته إلى الأراضي المقدسة من أجل أداء فريضة الحج. وفي الوقت نفسه فإنها تتحفظ على أن يقوم هذا الحاكم بإرسال محمل من بلاده إلى بلاد الحرمين الشريفين<sup>(10)</sup>. وفي هذا الإطار فإن الوثيقة العثمانية المؤرخة بـ 24 كانون الأول سنة 1319/6 يناير 1904م تؤكد على مسألة أنه لا يوجد أي نوع من أنواع المحاذير فيما يتعلق بذهاب حاكم دارفور أو وفد من تلك المناطق إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج<sup>(11)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن الوثيقة الصادرة من دائرة رئاسة الكتابة بالقصر السلطاني العثماني بتاريخ 16 شوال سنة 1321 هـ/4 يناير 1904م تشير إلى أن إرسال محمل من طرف حكام دارفور، هو أمر غير رسمي، وهو يأتي من باب العادة، إذ درج حكام تلك المنطقة على إرسال وفد باسم المحمل. بناء على ذلك أكدت الوثيقة على أنه ليس هناك ما يحول دون توجه الوفد المشار إليه إلى أرض الحجاز. ونسبة لأهمية هذه القضية، فقد أصدر السلطان العثماني مرسوما ساميا ينص على ضرورة إجراء ما هو لازم في هذا الموضوع<sup>(12)</sup>. انطلاقا من محتوى هذه الوثيقة، نستشف أن ما يطلبه المرسوم السلطاني العثماني هو عدم منع محمل دارفور من التوجه إلى الأراضي المقدسة. ومن الضروري هنا أن ننتبه إلى دقة العثمانيين، إذ تعمدوا إطلاق مفردة "وفد" بدلا عن مفردة "محمل"، وذلك في إشارة واضحة إلى عدم اعترافهم التام بوجود محمل آخر غير المحمل الذي ترسله الدولة العثمانية. ومن الملاحظ كذلك أنهم عندما يستخدمون مصطلح "محمل" دارفور، يشيرون إليه بكونه عادة درج حكام دارفور على القيام بها منذ فترات تاريخية سابقة، وهو الأمر الذي يعني أن هذا المحمل ليس محملا رسميا، وإنما هو مجرد تقليد لا أكثر.

من خلال ما تم عرضه سابقا، نلاحظ أن العلاقة بين السلاطين العثمانيين وسلاطين دارفور لم تكن على درجة سيئة، إنما كانت في أحسن حالاتها، وذلك بالرغم من تحفظ الدولة العثمانية الواضح من مسألة قيام سلاطين دارفور بإرسال محمل خاص بهم إلى الأراضي المقدسة. وفي الواقع فإنه يوجد عدد من الوثائق العثمانية الرسمية يشير إلى هذه

العلاقات الطيبة بين الطرفين. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإدارة العثمانية تعترف اعترافاً صريحاً باستقلالية دارفور، وأنها ليست خاضعة لأي قوة أجنبية. وفي الوقت نفسه فإن ذلك يعتبر اعترافاً ضمنياً من الدولة العثمانية بعدم سيطرتها على منطقة دارفور، وأن العلاقات الموجودة بين الجانبين، هي علاقات يسودها الاحترام والتقدير. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الاعتراف يمثل مدى الثقل السياسي والديني الذي كانت تمثله سلطنة الفور بالنسبة للدولة العثمانية، وهو الأمر الذي جعل العثمانيين يقرون باستقلاليتها، وعلاقاتها الطيبة معهم. وفي ذات الإطار تشير الوثيقة إلى الهدايا التي كانت قد أرسلتها الحكومة العثمانية في السابق إلى سلطنة الفور. بل وتؤكد أن تكريم مثل هؤلاء الحكام المسلمين (أي حكام دارفور)، هو من ضمن الواجبات التي ينبغي على مقام الخلافة العظمى باستانبول القيام بها. إن قيام حكام دولة ما بتكريم حكام إحدى الدول الأخرى، يعني بصورة أو بأخرى مدى العلاقات الوطيدة التي تربط بين الجانبين، فمسألة تبادل الهدايا هي مؤشر لوجود علاقات طيبة بين الدولتين، ولعل الوثائق العثمانية تعكس لنا ذلك بوضوح تام. ونجد من الأدلة الأخرى التي تؤكد على متانة العلاقات بين حكام دارفور وسلاطين الدولة العثمانية، هي لجوا هؤلاء الحكام إلى السلاطين العثمانيين فيما يتعلق بتدخل الموظفين المصريين في حركة مواطني دارفور جيئةً وذهاباً لأي غرض من الأغراض سواء للتجارة أو للحج أو غيرهما. ولم يخيب السلاطين العثمانيين ظن حكام دارفور فقد قاموا بمخاطبة والي مصر طالبين منه عدم التدخل في شؤون مواطني دارفور، على اعتبار أن هذا الأمر خارج سلطاته الممنوحة له<sup>(13)</sup>.

بناءً على الخطاب المرسل باللغة العربية بتوقيع حاكم دارفور إلى السلطان العثماني بتاريخ 14 ربيع الأول 1261هـ/ 24 مارس 1845م، فقد أصبح الموظفون المصريون يمثلون عائقاً كبيراً أمام استمرارية المراسلات بين سلاطين دارفور وسلاطين الدولة العثمانية. ولهذا السبب فإن سلطان دارفور يرجو من السلطان العثماني إصدار مرسوم سامي سلطاني يمنع الموظفين المشار إليهم من التدخل في الشؤون الخاصة بدارفور، وعلاقاتها مع الدولة العثمانية. كما يشير الخطاب كذلك إلى مدى الاحترام والتقدير الذي يحظى به حكام دارفور لدى السلاطين العثمانيين. وفي هذا الصدد يشير حاكم دارفور إلى أن جده حظي بهدايا قيمة من طرف السلطان العثماني. وقد تمثلت هذه الهدايا في مسبحة من اللؤلؤ وخاتم من الياقوت وسيف مرصع بالجواهر. وحسب إفادة الحاكم المذكور، فإنه لا يزال يحتفظ بهذه الهدايا من باب التبرك والتمن بها.

من النقاط المهمة التي تلفت الانتباه في هذا الخطاب الموجه من حاكم دارفور إلى سلطان الدولة العثمانية، هي إشارته إلى أنه لا يزال يحتفظ بالهدايا السلطانية المذكورة. بل يشير إلى أن مراسم الجلوس على كرسي الحكم في سلطنة دارفور لا تكتمل إلا بعد التوشح بالهدايا المذكورة. وفي الواقع فإن هذا أمر مثير للاهتمام. ومن الضروري جداً إعداد بعض

الدراسات حول مثل هذه النقاط غير المرئية ذات الأثر الكبير على سير العلاقات وتطورها بين الدول. زفي الواقع فإن جميع هذه المعلومات المأخوذة من المصادر العثمانية الأولية تعكس نقطة محورية واحدة، وهي وجود علاقات متينة بين الدولة العثمانية وسلطنة الفور.

ومن جهة أخرى فإن حاكم دارفور يذكر في خطابه هذا الموجه إلى السلطان العثماني أن خطبة الجمعة في جوامع دارفور تقرأ باسم سلطان الدولة العلية العثمانية، ويقوم الجميع بعد أداء الصلاة بالدعاء للسلطان بأن يمنحه الله عز وجل النصر المؤزر وأن يؤيده ويعلي شأنه. وحسب ما جاء في الخطاب المذكور، فإن عدد الجوامع في دارفور خلال تلك الفترة التاريخية يبلغ واحد وأربعين جامعاً<sup>(14)</sup>. وفي مقابل ذلك فإن حكام دارفور كانوا بالفعل يحظون بتقدير واحترام كبير من قادة الدولة العثمانية، وعلى رأسهم السلطان والصدر الأعظم. وعلى سبيل المثال جاء في استهلاكية الخطاب الموجه من الصدر الأعظم العثماني إلى حاكم دارفور بتاريخ 26 شعبان 1271هـ/13 مايو 1855م ما يلي: ”فخر الأمراء والحكام، حائز المفاخر والاحترام، صاحب العز والاحتشام، المختص بمزيد عناية الملك العلام، أدامه الله على مر الأيام، بعد بيان الشوق الوافر والحب المتكاثر، نفيد مقامكم السامي بوصول إبراهيم أفندي ...“<sup>(15)</sup>.

أما إذا رجعنا إلى مسألة لماذا يتحفظ العثمانيون على قيام سلاطين دارفور بإرسال المحمل إلى الأراضي المقدسة؟ فإن الإجابة على هذا السؤال ربما تأخذ منحنيين اثنين هما، أولاً: حسب فهم السلاطين العثمانيين، فإن قضية إرسال المحمل إلى أراضي الحجاز، هي قضية خاصة بالسلطان العثماني فقط، ولا يجوز لأي حاكم آخر القيام بهذه المهمة. وربما يعود السبب في ذلك إلى أبعاد سياسية، وهي أن قيام أحد سلاطين المسلمين بإرسال هذا المحمل إلى مكة المكرمة، يعني بصورة أو أخرى تابعة هذه الأرض المباركة للحاكم المشار إليه. لذا فإن قيام حاكم آخر أو حكام آخرون بالعمل نفسه، يشير أيضاً إلى احتمالية اندلاع نزاع بين هؤلاء الحكام، أو على الأقل منازعة الحاكم المذكور في مهمته المقدسة التي يقوم بها، وهو الأمر الذي يعني وجود خطر على مكانته السياسية في العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في أرض الحجاز، باعتباره حامي الأراضي المقدسة والمحافظ على أمن المسلمين من الأعداء<sup>(16)</sup>.

ثانياً: من الواضح أن هناك بعض الحجاج السودانيين كانوا يرفضون العودة إلى بلادهم بعد انقضاء موسم الحج. وبالإضافة إلى رفضهم لمبدأ العودة إلى بلادهم، فإن هؤلاء الحجاج كانوا يتسللون وسط العربان للقيام بالأعمال غير القانونية. وبناء على هذا الأمر الخطير تشكل مجلس خاص من الإدارة العثمانية للنظر في مسألة السودانيين هؤلاء. وبعد التداول والنقاش قرر المجلس المذكور منع السودانيين من الوصول إلى الحجاز، مع ضرورة المحافظة على أمن السواحل، وتوفير مجموعة من السفن السلطانية للقيام بذلك. وحسب المعطيات المتوفرة من خلال التحقيقات التي أجريت في هذه المسألة، فإن السودانيين المذكورين يرفضون فكرة العودة إلى بلادهم بسبب التعديات التي يقوم بها عثمان دقنة.

ولعل المذكورين اتخذوا هذه التعديلات ذريعة لهم للبقاء في أرض الحجاز. عليه فقد قررت الدولة العثمانية نقل هؤلاء السودانيين المخالفين إلى مناطق بعيدة عن الحجاز مثل بنغازي، وتم إصدار الأوامر اللازمة في هذا الخصوص إلى نظارة (وزارة) الداخلية من أجل القيام بما هو مطلوب.

والجدير بالذكر أن المجلس المذكور تشكل من ناظر الخارجية، وناظر الداخلية، وناظر البحرية، وقائد الجيش، ورئيس مجلس شورى الدولة، وشيخ الإسلام، والصدر الأعظم، ومستشار الصدارة، وناظر المعارف، وناظر التجارة والأشغال العامة، وناظر الأوقاف السلطانية، ووكيل ناظر المالية، وناظر العدل<sup>(17)</sup>.

## خاتمة

من خلال المعلومات الواردة في الوثائق العثمانية الرسمية يمكن القول أن هذه الدراسة الأولية توصلت إلى بعض النتائج المتعلقة بمحمل دارفور. ويمكن أن نوضح هذه النتائج في النقاط التالية، أولاً: لقد حظي محمل سلاطين دارفور بانتشار واسع على مستوى العالم الإسلامي، ووصلت أخباره حتى عاصمة الدولة العثمانية استانبول. ثانياً: من الواضح أن محمل دارفور لم يكن بالشيء البسيط اليسير، بل كان عملاً كبيراً تقوم به إحدى الممالك الإسلامية المعروفة. ولهذا السبب وجد الاهتمام الكبير من طرف الدولة العلية العثمانية، وهي الدولة الإسلامية الأولى في تلك الفترة، وقد آلت على نفسها حماية المسلمين من كل عدو، والدفاع عن الحرمين الشريفين. إذن فإن اهتمام دولة بحجم الدولة العثمانية بمحمل دارفور يشير إلى أهمية هذا المحمل وضخامته. وانطلاقاً من هذه النقطة لابد أن ننظر إليه باعتباره عملاً كبيراً يقوم به حاكم السلطنة من أجل خدمة الإسلام والمسلمين في أرض الحرمين الشريفين. ثالثاً: لقد عكس لنا محمل دارفور العلاقات التي كانت سائدة بين الدولة العثمانية وبين سلطنة الفور، وهي علاقات كما ذكرنا كانت مبنية على أساس الود والصداقة والإخوة الإسلامية. وبالتالي لم يؤثر إرسال المحمل عليها سلباً. ولا شك أن هذه نقطة تحسب لصالح سلاطين الفور وكذلك سلاطين الدولة العثمانية. رابعاً: إن عدم اعتراف سلاطين الدولة العثمانية بمحمل دارفور، لا يعني عدم أهمية هذا المحمل، إنما يعكس لنا رؤية الدولة العثمانية المتعلقة بضرورة وجود محمل واحد يتجه إلى أراضي الحجاز، وهو المحمل السلطاني العثماني الذي يتحرك سنوياً من استانبول عاصمة الخلافة.

## الملاحق

ملحق رقم (1)

I. HUS 112/44

هو

قصر يلدز السلطاني

دائرة رئاسة الكتابة

7688

إن المحمل المرسل من طرف حاكم دارفور إلى الحجاز لم يتم تجهيزه وترتيبه بصورة رسمية، إن أن الحكام الموجودين في تلك الأرجاء يقومون في بعض الأحيان بإرسال وفد باسم المحمل، وهذا تقليد موجود منذ القديم. وهكذا فإن الوفد الذي في هذه السنة يسير وفقا للمنوال نفسه. والجدير بالذكر أن ابن حاكم وداي \_الواقعة تحت إدارة الدولة العثمانية\_ كان ضمن أعضاء هذا الوفد. وحسب ما هو شائع ومنتشر، فإن المشار إليهم يرغبون في الذهاب إلى استانبول عقب أداء فريضة الحج من أجل لقاء صاحب المقام العالي جناب السلطان. وقد أصدرت ولاية الحجاز الجلييلة إعلاما في هذا الخصوص. ومن جهة أخرى اطلع صاحب المقام العالي على المذكرة الخاصة الصادرة من حضرة الصدر الأعظم بتاريخ 51 شوال سنة 1231، والتي تتعلق بالموضوع نفسه. وبالنظر إلى الإيضاحات المعروضة، فإنه ليس هناك أي محذور من توجه الوفد المذكور إلى الحجاز. ولهذا السبب فقد صدر مرسوم سامي شريف من جناب الخليفة الأعظم بإجراء ما هو لازم. والأمر والفرمان في هذا الباب لحضرة من له الأمر.

في 16 شوال سنة 321 (1321)

رئيس كتاب حضرة السلطان

العبد الضعيف

”تحسين“.

ملحق رقم (2)

I. HUS 112/25

هو

قصر يلدز السلطاني

دائرة رئاسة الكتابة

7493

لقد تم إعداد وتجهيز محمل من طرف حاكم دارفور علي دينار، ووصل المشار إليه مع ابن عمه ومعهما مائة من الحجاج إلى سواكن. وفي هذا الصدد أصدر الصدر الأعظم

مذكرة خاصة بتاريخ 8 شوال سنة 1231 تدور حول المعلومات التي قدمتها إمارة مكة المكرمة وولاية الحجاز الجلييلة حول هذا الموضوع. وقد اطلع صاحب المقام العالي على هذه المذكرة. إن توجه الحجاج المذكورين لأداء فريضة دينية، لهو أمر لا غبار عليه. بيد أن ترتيب الحمل وتجهيزه، هو من اختصاص صاحب المقام الشريف حضرة الخليفة الأعظم. بناء على ذلك يجب الالتزام بما نص عليه المرسوم السامي الشريف الصادر من جناب الخليفة الأعظم حول هذا الموضوع. والأمر والفرمان في هذا الباب لحضرة من له الأمر.

في 9 شوال سنة 321 (1321)

رئيس كتاب حضرة السلطان

العبد الضعيف

”تحسين“.

### ملحق رقم (3)

BEO 2244/168243

الصدارة العظمى

دائرة المكاتبات

الرقم: \_

تاريخ الورد: \_

تاريخ التسويد: 17 كانون الأول سنة 1319

المقابلون: \_

المبيض: \_

المسود: \_

تاريخ التبييض: 17 (كانون الأول سنة 1319)

شفرة إلى ولاية الحجاز

ج (جواب)

لا يمكن بأي حال من الأحوال النطق بأي شيء فيما يتعلق بذهاب حاكم دارفور والوفد المرافق له من أجل أداء فريضة دينية. بيد أن تجهيز الحمل وترتيبه يعتبر من اختصاص صاحب المقام الشريف الخليفة الأعظم. بناء على ذلك ينبغي ألا يتم إرسال الحمل المذكور، شريطة أن يتحقق هذا الأمر بصورة مناسبة.

العبد الضعيف

يوجد توقيع.

## ملحق رقم (4)

Y. A. HUS 463/40

هو

الباب العالي

دائرة الصدارة

أمدي ديوان همايون

3319

لقد قام الحكام الزوج الموجودين في إفريقيا الوسطى بترتيب المحمل وتجهيزه منذ سنوات عديدة، وبالإضافة إلى ذلك يقومون دائماً بإرسال أعداد كبيرة من الحجاج. وفي هذه المرة قام حاكم دارفور حضرة علي دينار بترتيب المحمل وتجهيزه، حيث وصل هو وابن عمه ومائة من الحجاج الآخرين إلى سواكن، وسوف يحظون بالمساعدة اللازمة لدى وصولهم إلى جدة خلال بضعة أيام. والجدير بالذكر أنه وردت برقية مشتركة في هذا المعنى من إمارة مكة المكرمة وولاية الحجاز الجليلة. وتم تقديم وعرض هذه البرقية طياً، سيدي.

في 8 شوال سنة 1321 (1321)

الصدر الأعظم

”فريد“.

## ملحق رقم (5)

Y. A. HUS 463/101

هو

الباب العالي

دائرة الصدارة العظمى

قسم المكاتبات

عدد

البرقية المشفرة الواردة من ولاية الحجاز

ج (جواب) 17 كانون الأول سنة 1319

إن المحمل المرسل من طرف حاكم دارفور علي دينار لا يحمل الصفة الرسمية التي يحملها المحمل المرسل من استانبول ومصر. وعلى الوجه الذي تم به عرض ذلك سابقاً، فإن بعض حكام تلك المناطق يطلقون صفة المحمل على مجيئهم (إلى أرض الحجاز). ولا يوجد هناك أدنى شك من أن محمل دارفور هو من ذلك النوع. وبالرغم من أن هذا المحمل يرد بصورة رسمية كل عام، إلا أنه من الواجب عدم الموافقة بإرساله، شريطة أن يتم هذا الأمر بصورة مناسبة ولائقة. ومن جهة أخرى فلم يقبل الإنجليز بقيام حاكم دارفور بإرسال

برقية إلى ولاية الحجاز مباشرة. والحال أنه كان يجب عليه مخاطبة خديوية مصر الواقعة تحت حكم الدولة العلية العثمانية، ومن هناك تتم مخاطبة الباب العالي. ومع أن دارفور لا تقع تحت حماية خديوية مصر، إلا أنها قامت اعتباراً من السنة الماضية برفع العلم العثماني على أراضيها، وهي فخورة بذلك. ومن جانب آخر فليس لدينا أي معلومات تدور حول إرسال برقية في هذا الخصوص إلى الخديوية. أما إذا جئنا إلى ابن حاكم وداي الواقعة بين دارفور وبين طرابلس الغرب، فهو ينوي زيارة صاحب المقام العالي جناب السلطان، وذلك بعد أداء فريضة الحج. وكما هو معلوم فإن وداي تقع تحت سلطة الدولة العثمانية. وحسب ما هو شائع هنا، فقد توجهت مجموعة من العساكر والموظفين في السنة الماضية من طرابلس الغرب إلى وداي. أما فيما يتعلق بالمشار إليهم، فسوف يغادرون سواكن في يوم غد متوجهين إلى جدة. وفي حالة أن يصدر قرار في هذا الخصوص، فسوف يتم التحرك وفقاً لمحتواه.

في 20 كانون الأول سنة 319 (1319)

والي الحجاز

”أحمد راتب“.

## المصادر والمراجع: أولا: الوثائق العثمانية

- Y. A. HUS 463/40.
- Y. A. HUS 463/101 (1).
- Y. A. HUS 463/101 (2).
- Y. A. RES 45/31.
- DH. MUI 45-1/36.
- İ. HUS 112/25.
- İ. HUS 112/44.
- İ. HR 119/5835 (1).
- İ. HR 119/5835 (2).
- İ. HR 121/6047.
- BEO 2244/168243.
- BEO 2246/168445.
- HR. MKT 108/73.
- HR. MKT 108/96.
- HR. SYS 966/24.

## ثانيا: المراجع

- Buzpınar, Tufan -Mustafa KüçükKaşçı, "Haremeyn", DİA, XVI, İSTANBUL, 1997, p. 153-157.
- ATALAR, Münir, OSMANLI DEVLETİ'NDE SURRE-İ HUMAYUN VE SURRE ALAYLARI, ANKARA, 1991.
- ATEŞ, İbrahim "OSMANLI ZAMANINDA MEKKE VE MEDİNE'YE GÖNDERİLEN PARA VE HEDİYELER", VAKIFLAR DERGİSİ, XIII, 1981.
- ELKABASHI, Anam Mohamed Osman SURRA DEFTERLERİ VE 1049/1639 TARİHLİ SURRE DEFTERİ, YÜKSEK LİSANS, İSTANBUL, 2001.
- INLACIK, Halil THE OTTOMAN EMPIRE, THE CLASSICAL AGES 1300-1600, LONDON, 1973.

- الكباشي، أنعم محمد عثمان ، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وفقا للوثائق العثمانية، المدينة المنورة، 1436 هـ.

- (1) 1OSMANLI ARŞİVİ (OA), Y. A. HUS 463/101.
- (2) 2Anam Mohamed Osman ELKABASHI, SURRA DEFTERLERİ VE 1049/1639 TARIHLI SURRE DEFTERİ, YÜKSEK LİSANS, İSTANBUL, 2001, p. 11.
- (3) انظر أنعم محمد عثمان الكباشي، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وفقا للوثائق العثمانية، المدينة المنورة، 1436 هـ، ص. 90-112.
- (4) 4Münir ATALAR, OSMANLI DEVLETİ'NDE SURRE-İ HUMAYUN VE SURRE ALAYLARI, ANKARA, 1991, p. 9; İbrahim ATEŞ, "OSMANLI ZAMANINDA MEKKE VE MEDİNE'YE GÖNDERİLEN PARA VE HEDİYELER", VAKIFLAR DERGİSİ, XIII, 1981, p. 118; Tufan Buzpınar-Mustafa KüçükKaşçı, "Haremeyn", DİA, XVI, İSTANBUL, 1997, p. 153-157.
- (5) 5OA, Y. A. HUS 463/101, Date:
- (6) 6OA, DH. MUİ 45-1/36.
- (7) 7OA, Y. A. HUS 463/40.
- (8) 8OA, Y. A. HUS 463/40.
- (9) 9OA. İ. HUS 112/25.
- (10) 10OA, BEO 2244/168243.
- (11) 11OA, BEO 2246/168445.
- (12) 12OA, İ. HUS 112/44.
- (13) 13OA, İ. HR 119/5835; HR. SYS 966/24.
- (14) 14 OA, İ. HR 119/5835; HR.MKT 108/96; İ. HR 121/6047.
- (15) 15OA, HR. MKT 108/73.
- (16) 16Halil INLACIK, THE OTTOMAN EMPIRE, THE CLASSICAL AGES 1300-1600, LONDON, 1973. P. 320-323.
- (17) 17OA, Y. A. RES 45/31.